اليهودية

للإمام ابن حزم الأندلسي

تحقيق وتعليق

دكتور محمود علي حماية

مدرس بكلية أصول الدين

بأسيوط

الطبعة الأولى

١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م

دار الطباعة المحمدية

٣ درب الأتراك بالأزهر

اليهودية

للإمام ابن حزم الأندلسي

تحقيق وتعليق

دكتور محمود علي حماية

مدرس بكلية أصول الدين

بأسيوط

الطبعة الأولى

١٤٠٢ هـ — ١٩٨١ م



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــــــة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعــــد :

فإن القارىء لكتاب الله يجد آيات كثيرة تعرض لعقائد الأديان الأخرى وتناقش مقالاتهم بأسلوب حكيم ، وحجة بالغة ، وذلك كقوله تعالى : « يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق » إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ، إنتهوا خيراً لكم ، إنما الله إله واحد — سبحانه — أن يكون له ولد ، له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا(١) » وكقوله — سبحانه — « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر أنى يؤفكون »(٢) .

وقد حرص القرآن الكريم على دعوة أهل الكتاب إلى الدخول فى

---

(١) النساء : الآيه ١٧١ (٢) المائده : الآية ٧

الإسلام ، والإيمان بمحمد — عليه الصلاة والسلام — مبينا أن دعوته التى جاء بها موافقة فى جوهرها لما دعا إليه الأنبياء السابقون ، وأن معجزته الكبرى ، القرآن الكريم - جاءت مصدقة للكتب السماوية السابقة ومهيمنة عليها ، ولكن القرآن لم يكره أحداً على قبول عقائده ، بل أكد أهمية الإقناع فى مجال قبول العقائد ، أما فى مجال التعايش الاجتماعى فقد نظم الإسلام حقوق الأقليات غير المسلمة وواجباتهم ، وعاش أهل الذمة طوال أربعة عشر قرنا فى رحاب المجتمع الإسلامى يجدون كل سماحة وأمن ، لهم مالنا ، وعليهم ما علينا .

ولعل مما يشير إلى شىء من تلك الروح الخيرة ، مارواه أبو يوسف قال حدثنى عمر بن نافع عن أبى بكر قال : مر عمر ، رضى الله عنه ، بباب قوم وعليه سائل يسأل . وكان شيخا ضرير البصر فضرب عمر عضده . وقال : من أى أهل الكتاب أنت . فقال يهودى قال فما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال : أسأل الجزية والحاجة والسن فأخذ عمر بيده ، وذهب به إلى منزله وأعطاه مما وجده ، ثم أرسل به إلى خازن بيت المال وقال له : أنظر هذا وضرباءه فو الله ما أنصفناه ، أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) وهذا من المساكين من أهل الكتاب . ثم وضع عنه الجزية وعن ضربائه قال أبو بكر : أنا شهدت ذلك من عمر ورأيت ذلك الشيخ(١) .

وعمر عندما فعل ذلك كان ينطلق من قول نبى الإسلام ، صلوات الله

---

(١) أبو يوسف : كتاب الخراج ١٢٦ (المطبعة السلفية) نقلا عن الدكتور محمد سيد طنطاوى . فى بنى إسرائيل ١/١٦٦

عليه ، « من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه »(١) .

فى هذا الجو الصحيح وجد علم مقارنة الأديان فى الفكر الاسلامى أتباعا لمنهج القرآن الكريم فى مناقشة العقائد السابقة سواء كانت صحيحة أو باطله ، وقد رأينا علماءنا الأوائل يهتمون بهذا العلم ، ويؤلفون الكتب المتعددة لبيان الملل المختلفة التى تغاير ملة الإسلام .

ومن أشهر هذه الكتب كتاب « مقالات الإسلاميين » لأبى الحسن الأشعرى المتوفى سنه ٣٣٠ هـ ، وكتاب «الفرق بين الفرق» للبغدادى المتوفى سنة ٤٢٩هـ . وكتاب «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة» لأبى الريحان البيرونى المتوفى سنة ٤٤٠ هـ ، وكتاب « التبصير فى الدين » « للأسفراييني المتوفى سنة ٤٧١ هـ ، وكتاب « الملل والنحل » للشهرستانى المتوفى سنة ٥٢٨ هـ :

غير أن خير كتاب ألف فى هذا الباب هو كتاب : « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » لأبى محمد بن حزم المتوفى سنة ٤٥٦هـ .

وذلك للأسباب الآتية :

أولا : يحرص ابن حزم على الدقة والضبط فى حكاية عقائد الآخرين ، وقد لام فى مقدمة كتابه «الفصل» المصنفين فى الملل والنحل ظلمهم لخصومهم إذ لم يوفوهم حق إعتراضهم(٢) .

وقد قال عالم غربى فى الموسوعة الإسلامية : إن ابن حزم كان منصفا لخصومه ، ولم يكن من طبعه إختلاق التهم يرميهم بها »(٣) .

---

(١) ذكره السيوطى فى الجامع الكبير ٢٠٩/١ ط الهيئة المصرية الكتاب (بدون تاريخ) . وذكره أبو يوسف فى كتاب الخراج .

(٢) راجع مقدمة كتاب الفصل

(٣) أنظر : أرندونك : الموسوعة الإسلامية (مادة ابن حزم) .

ثانياً : الإتساع والشمول :

حيث تناول فيه الأديان المختلفة والنحل المتباينة، فهو يبدأ بالسوفسطائية الذين يشكون في كل شيء ولا يثبتون حقيقة ما ، وينتهي بالفرق الإسلامية الذين يؤمنون بالإله الواحد.

وتلك حسنة من حسنات كتاب « الفصل » إذ أن كثيراً من مؤرخي الأديان يكتفون بصنف خاص من المذاهب والأديان مثل كتاب أبي الحسن الأشعري الذي اكتفى فيه بمقالات الإسلاميين ، وكتاب تحقيق ما للهند من مقولة الذي قصره صاحبه على عقائد الهنود كما هو واضح من عنوانه .

ثالثا : لقد كان ابن حزم موفقا في المنهج الذي رسمه لنفسه ، وسار عليه في كتابه «الفصل» أعني به منهج التقرير والنقد ، حيث كان ابن حزم يقرر الفكرة ، أكمل ما يكون التقرير ، ثم يأخذ بعد ذلك في مناقشة أصحابها ، وتفنيدها بنقد يشهد إما لها أو عليها . وهـذا بخلاف منهج الشهرستاني ، مثلا ، الذي اقتصر فيه صاحبه على التقرير والعرض ، دون نقد أو توضيح[1] .

وعندي أن منهج ابن حزم له فضائل متعددة :

(أ) الحيوية والحركة ، والبعد عن الجفاف والجمود ، مما يعين القارىء على مواصلة القراءة ، ويطرد عنه الضيق والملل ، وهو يطالع كتابا من أكبر كتب الملل .

(ب) إعطاء القارىء المسلم فيضا من الحجج والأدلة يستطيع بها الدفاع عن العقيدة التي يحملها ، والدين الذي شرفه الله به .

---

(١) أنظر : كتابه الملل والنحل ٢٣/١

(ج) كشف ما فى الأديان الأخرى من تحريف وباطل ، مما يزيد المسلم إستمساكا بدينه وحبا للرسالة التى ختم الله بها الرسالات ، ونسخ بها ما سبق من عقائد وأديان .

(د) تنمية ملكة المناظرة ، وتعلم فن النقاش والمحاورة ، والكشف عن الأساليب الملتوية والمقدمات الخاطئة التى لا تتفق مع مقررات العلم ، والتى يمكن أن يستخدمها الخصم فى الجدل .

(هـ) دراسة الشبهة دون بيان لمخاطرها قد تترك أثراً فى نفس القارىء فتعلق بذهنه دون أن يدرى جوابا عليها ، خاصة للمبتدئين الذين لا يميزون بين صحيح الآراء وباطلها .

(و) دراسة الآراء وعرضها سهل ميسور ، أما الرد على الباطل منها فيحتاج إلى قدرة خاصة فى الجدل . فليس كل من يؤرخ لعقيدة يمكنه أن يضع يده على مواطن القوة والضعف فيها كما فعل العلامة بن حزم(١) .

رابعا : يمتاز كتاب الفصل عن غيره من كتب الملل والنحل بالسبق والريادة خاصة فى دراسة نصوص التوراة والإنجيل ونقدها نقداً علميا جعل أحد علماء النصارى يقول : إن عقائد النصارى التى ناقشها علماؤهم ، ممن ذكر أسماءهم — سبقهم فى بحثها ودراستها ابن حزم فى كتابه الفصل(٢) .

ومما يؤكد دور ابن حزم الريادى فى علم مقانة الأديان أن التناقضات التى أثبت العلم الحديث وجودها فى التوراة والانجيل قد سبق بها

---

(١) راجع ص ١٤٢ من هذا البحث .

(٢) راجع الموضع السابق .

ابن حزم وأوردها فى كتابه منذ القرن الرابع الهجرى قبل أن يهتدى إليها أحد من العلماء المحدثين(١) .

وقد عرف علماء الغرب قيمة هذا الكتاب فأضفوا على صاحبه هالة من التقدير والإجلال ، فأقاموا له النصب التذكارية ، والمؤتمرات العلمية التى تتحدث عن فضله وعلمه(٢) .

فلا غرو أن يعكف على كتاب الفصل المستشرق الأسبانى آسين بلاثيوس سنوات طويلة ، دارسا لمخطوطاته وتحليل مادته ، وقد أخرج هذه الدراسة فى خمس مجلدات بعد أن ترجم بعض أجزاء « الفصل » إلى اللغة الأسبانية .

ولعل من الخير أن نشير إلى شىء من ثناء العلماء على كتاب الفصل إعجابا ، وتقديرا ، لهذا العمل الكبير .

يقول « بروكلمان » عن كتاب الفصل : « إنه مؤلف دينى تاريخى عظيم وهو كتاب لم يسبق إلى مثله فى الأدب العالمى »(٣) .

---

(١) راجع نفس الموضع .

(٢) أقامت مدينة قرطبة تمثالا للإمام ابن حزم على باب أشبيليه (أحد نواب قرطبة) حيث كان يمر ابن حزم كل يوم إلى المسجد من سوق العطارين ، وقد نحت على أعلى قاعدة التمثال سطر بالخط الكوفى الأندلسى : « بمناسبة الذكرى المئوية التاسعة لوفاة أبى محمد على بن أحمد بن حزم ، تقدم قرطبة أصدق التحية لمن تعتبره أبناء من أعظم أبنائها » (راجع سعيد الأفغانى : نظرات فى اللغة عند ابن حزم ص ٥٦) .

(٣) راجع ص ١٣٤ من هذا البحث .

ويقول عالم غربي آخر : « إن ابن حزم كرم فى الغرب باعتباره مؤسسا لعلم مقارنة الأديان »(١) .

ولست الآن فى مجال حصر ماقاله علماء الغرب عن كتاب الفصل ، واعترافهم لصاحبه بالسبق والابتكار ، فهذا مما يطول ذكره .

ولكن كتابا بهذه الأهمية القصوى فى علم مقارنة الأديان ينبغى أن يوثق نصه أولا توثيقا علميا قبل أن تدور حوله الأبحاث والدراسات ، وإذا ما أضفنا إلى أهمية توثيق هذا النص القيم الفريد أن الكتاب ذاته متداول فى طبعات رديئة تسودها الأغلاط والأخطاء إلى حد بعيد ، اتضح لنا مدى أهمية القيام بتحقيق كتاب الفصل تحقيقا علميا مع دراسة تكشف عن قيمة الكتاب ومنهجه والدور الذى يلعبه فى علم مقارنة الأديان .

وقد كان الأمل أن يتناول التحقيق كتاب الفصل كاملا . ولكنه كتاب يقع فى خمس مجلدات ويحتاج إلى لجنة تتوفر عليه تحقيقا ودراسة . ومن هنا ابتدأت بالجزء الأول فى رسالتى للدكتوراه آملا أن يتوفر لى من الجهد والوقت ما يسمح بالاستمرار إلى نهاية الشوط إن شاء الله .

وكتاب اليهودية الذى نقدمه للسادة القراء ورد فى كتاب (الفصل فى الملل والأهواء والنحل) للإمام ابن حزم الأندلسى ، وقد رأيت من الخير نشر الكتاب دون ذكر لفروق النسخ التى اعتمدت عليها فى تحقيق

---

(١) راجع الموضع السابق .
(٢) راجع الموضع السابق .

الكتاب ، حتى لا نثقل على القارىء الكريم ، وسوف أثبتها كاملة عند نشر رسالتى للدكتوراه ، وسيكون ذلك قريبا بإذن الله .

والله — سبحانه — أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه نافعا لعباده .

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؟

دكتور
محمود على حماية
مدرس بكلية أصول الدين
بأسيوط

مقدمة التحقيق وتشتمل على : —

- ✡ حياة ابن حزم
- ✡ منهج ابن حزم فى دراسة اليهودية

١ — أسرته

تدل روايات المؤرخين عن أسرة ابن حزم على مكانة مرموقة، وعراقة في النسب، فقد قال الفتح بن خاقان: «بنو حزم فتية علم وأدب، ونبيه مجد وحسب، ولى الوزارة منهم غير واحد، ونالوا بقرطبة جاها عريضا»(١).

وكان والده أحمد بن سعيد من عقلاء الرجال الذين نالوا حظا وافرا من الثقافة والعلم، ولذلك كان يعجب ممن يلحن في الكلام، ويقول: «إني لأعجب ممن يلحن في مخاطبة، أو يجيء بلفظة قلقة في مكاتبة لأنه ينبغي له إذا شك في شيء أن يتركه، ويطلب غيره، فالكلام أوسع من هذا»(٢) ومن نصائحه التي أسداها لابنه — أبي محمد — وكان يرددها قوله:

إذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن على حالة إلا رضيت بدونها(٣)

فهو بحق — كما ذكر ابن بشكوال — «كان من أهل العلم والأدب والخير، وكان له في البلاغة يد قوية» ولا جرم إن هذه الخلال الكريمة التي أضفتها الأقدار على والد ابن حزم هي التي أهلته لمنصب الوزارة الذي اختاره له ابن أبي عامر الذي عرف بدقة حكمه، ونفوذ بصيرته في الحكم على الرجال، وتمييز جواهرهم(٤).

توفى أبوه كما يروى المقرى عن ابن حيان بذى القعدة سنة اثنتين

---

(١) الفتح بن خاقان: مطمح الأنفس ص وانظر أيضا نفح الطيب ١/٢٩٠

(٢) الحميدى: جذوة المقتبس ص ١٢٦ (الدار القوميه سنة ١٩٦٦).

(٣) المرجع السابق ص ١٢٦

(٤) أنظر طه الحاجرى: ابن حزم ص ٢٢

وأربعمائة بعد أن ساءت حاله وتتابعت عليه المحن والنكبات والتغريم فى آخر حياته ، ولا يبعد أن يكون مات قهرا بعد ذلك العز الشامخ (١) .

وكان لابن حزم أخ أكبر منه سنا ، يكنى بأبى بكر ، تزوج بعاتكة بنت قند ، صاحب الثغر الأعلى أيام المنصور ابن أبى عامر ، ويصف ابن حزم زوجة أخيه هذه فيقول..«وكانت لامرمى وراءها فى جمالها، وكرم خلالها ، ولا تأتى الدنيا بمثل فضائلها » (٢).

ويبدو أن ابن حزم لم يكن له من الأخوة غير أبى بكر هذا . لأنه ألف كتاباً — مفقودا — عنوانه : « تواريخ أعمامه وأبيه وأخيه » فقد نص على أخيه بالأفراد وليس بالجمع (٣) .

وكان من النابهين فى هذه الأسرة — أيضا — فى ذلك الوقت أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم والد أبى المغيرة عبدالوهاب بن حزم ، ويصفه صاحب « المطمح » فى سياق الكلام عن ابنه المغيرة بأنه فقيه علم وأدب ، ونبيه مجد وحسب » (٤) وأصل أسرة ابن حزم ـ قبل أن تهاجر إلى قرطبة — من قرية « منت ليشم » وتسمى الآن « منتنجار »أو « كاسا منبخا » .

وهى قرية من أعمال (نبله) تقع غرب الأندلس ، وكان يتردد اليها ابن حزم ، وقد ذكر ياقوت . أنها كانت ملكه وملك سلفه من قبله (٥) .

---

(١) سعيد الافغانى : ابن حزم ص ٢١—٢٢ .

(٢) ابن حزم : طوق الحمامه ص ١٥٤ .

(٣) عبد الحليم عويس : ابن حزم ص ٤١ ، وراجع مبحث تراث ابن حزم المفقود .

(٤) عبد الكريم خليفة : بن حزم ٢٦ ،

(٥) ياقوت . معجم الأدباء ١٢/٢٤٠ .

٢ — مولده

ولد الإمام أبو محمد على بن حزم فى الجانب الشرقى من قرطبة فى آخر يوم من أيام رمضان سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، وكانت ولادته فى ذلك اليوم قبل طلوع الشمس وبعد سلام الإمام من صلاة الصبح (١) .

وهذا التاريخ يوافق اليوم السابع من نوفمبر سنة ٩٩٤ من السنة الميلادية (٢) .

وقد ولد فى بيت والده الوزير بقرطبة وكان قد مضى على الوالد ثلاث سنوات فى وزارة الحاجب المنصور .

وقد كتب صاحبنا « أبو محمد » هذا التاريخ إلى القاضى صاعد بن أحمد الأندلسى بخط يده ، وهو لاشك بهذا التعيين الدقيق — يدل على مكانة تلك الأسرة ومدى ما كانت عليه من تحضر ورقى ، جعلها تهتم بأخبار مواليدها هذه العناية البالغة .

---

(١) وفيات الأعيان ٣/١٣/ومعجم الأدباء ١٢/٢٣٧ والصلة لابن بشكوال ٢/٤١٠ والنفح للمقرى ١/٣٥٩ .

(٢) دائرة المعارف الإسلاميـــة (مادة ابن حزم) ١/٢٥٤ . ط . دار الشعب .

٣ — نسبه

اسمه على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموى . وجده يزيد أول من أسلم من أجداده ، وأصله من فارس ، وجده خلف (١) . (أول من دخل الاندلس من آبائه (٢)):

أما كنيته التي وردت في كتابه « الفصل » وغيره من كتبه وعرف بها فهي « أبو محمد » وشهرته « ابن حزم » .

وهذا النسب الذي ذكره ابن خلكان وغيره من المؤرخين كالمقرى والذهبي والحميدي وابن العماد يدل على أنه ينتمي لأسرة فارسية ، إذ أن جده الأقصى في الإسلام — وهو يزيد — كان مولى ليزيد بن أبي سفيان أخي معاوية الذي أسلم عام الفتح وولاه أبو بكر أمرة الجيش الأول الذي ذهب لفتح الشام (٣) .

---

(١) هو خلف بن معدان جاء إلى الأندلس في جيش الفاتح مع موسى ابن نصير سنة ٩٣هـ وقيل قدم إليها في معية عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) سنة ١٣٨ هـ (أنظر ابن حزم مؤرخاً ٣٦) .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣/١٣ .

(٣) أنظر أبا زهرة: ابن حزم ٢٣ وعبد الحليم عويس: ابن حزم الأندلسى مؤرخا ٣٦ .

٤ — نشأته

نشأ ابن حزم نشأة مترفة تحوط بها النعمة ، وتلازمها الراحة والترف ، وذلك شأن أبناء الوزراء والأمراء الذين يجدون كل وسائل المتع والبذخ ميسرة لهم ، فلا ضيق فى رزق ، ولا حاجة إلى مال . وقد تلمس شيئا من هذا النعيم الذى كان يتقلب فى أعطافه ابن حزم من خلال كتابه (طوق الحمامة) الذى يحدثنا فيه عن سعة داره وماوعت من خدم وجوارى ، فيقول فى معرض حديثه عن جارية عرفها فى صباه : « فلمهدى بمصطنع كان فى دارنا لبعض مايصطنع له فى دور الرؤساء ، تجمعت فيه دخلتنا ، ودخلة أخى رحمه الله ، من النساء ونساء فتياتنا ومن لاث بنا من خدمنا ، ممن يخفف موضعه ويلطف محله ، فلبثن صدرا من النهار ، ثم تنقلن إلى قصبة كانت فى دارنا ، مشرفة على بستان الدار ، ويطلع منها على جميع قرطبة وفحوصها (١) ، مفتحة الأبواب ، فصرن ينظرن من خلال الشراجيب وأنا بينهن ، فإنى لأذكر أنى كنت أقصد نحو الباب الذى هى فيه ، أنسا بقربها ، متعرضا للدنو منها ، فما هو إلا أن ترانى فى جوارها فتترك ذلك الباب ، وتقصد غيره فى لطف حركة فأتعمد أنا القصد إلى الباب الذى صارت إليه ، فتعود إلى مثل ذلك الفعل من الزوال إلى غيره ، وكانت قد علمت كلفى بها (٢) الخ .

وكانت نعمة والد ابن حزم — على مايظهر — فاشية ، وغناه مستفيضا فكانت له دور محدثة ودور قديمة : « ثم انتقل أبى رحمه الله من دورنا المحدثة بالجانب الشرقى من قرطبه ، فى ربض الزاهرة ، إلى دورنا القديمة فى الجانب الغربى من قرطبة ببلاط مغيث ، فى اليوم الثالث من قيام أمير المؤمنين محمد

---

(١) الفحوص : الوديان والسهول والجبال المخضرة التى تحيط بقرطبة .
(٢) طوق الحمامة : ص ١٤٥ تحقيق الدكتور الطاهر أحمد مكى .

المهدى بالخلافة ، وانتقلت أنا بانتقاله ، وذلك فى جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلثمائة (١) .

ولعل إجماع المؤرخين على أن القرية التى مات فيها وكانت ملكه وملك آبائه من قبله مايدلنا على أنه كان فى رغد من العيش ، وسعة فى الرزق حتى لقى ربه .

ويطيب لنا أن نترك صاحبنا ، يحدثنا عن حياته المترفة ، واصفا أحدى نزهاته مع جماعة من أصدقائه فيقول : تنزهت أنا وجماعة من أخوانى من أهل الأدب والشرف إلى بستان لرجل من أصحابنا ، فجلسنا ساعة ، ثم أفضى بنا القعود إلى مكان دونه يتمنى فتمددنا فى رياض أريضة ، وأرض عريضة ، للبصر فيها منفسح وللنفس لديها مسرح ، بين جداول تطرد كأباريق اللجين وأطيار تغرد بألحان تزرى بما أبدعه معبد(٢) والغريض وثمار مهدلة قد ذللت للأيدى ، ودنت للمتناول ، وظلال مظلة تلاحظنا الشمس من بينها ، فتتصور بين أيدينا كرقاع الشطرنج ، والثياب المدبجة ، وماء عذب يوجدك حقيقة طعم الحياة ، وأنهار متدفقة تنساب كبطون الحياة ، لها خرير يقوم ويهدأ ونواوير مونقة ، مختلفة الألوان ، تصفقها الرياح الطيبة إلى النسيم ، وهواء سجسج ، وأخلاق جلاسى تفوق كل هذا ، فى يوم ربيعى ذى شمس ظليلة ، تارة يغطيها الغيم الرقيق ، والمزن اللطيف ، وتارة تنجلى ، فهى كالعذراء

---

(١) المرجع السابق : ١٤٦ — ١٤٧ .

(٢) معبد ، أبو عياد معبد بن وهب ، زنجى الأب ، مولى لعبد الرحمن ابن قطن فى المدينة المنورة ، وعمل فى شبابه صيرفيا ، ثم احترف الموسيق فيما بعد ، وأصبح مغنى الأمراء من بنى أميه فى المشرق ويصفه اسحاق الموصلى بأنه « من أحسن الناس غناء ، وأجودهم صنعه ، وأحسنهم خلقا ، وهو فحل المغنيين توفى عام ١٢٥ هـ .

الغريض : ويكنى أبا يزيد ، أو أبامروان ، والغريض لقب معناه المغنى المجيد ، وهو من أصل بربرى . (راجع هامش الطوق ص ١٣٣) .

المخفرة ، والخريدة الخجلة ، تتراءى لعاشقها من بين الأستار ثم تغيب فيها، حذر عين مراقبة ، وكان بعضنا مطرقا كأنه يحادث أخرى »(١) .

بيد أن هذا النعيم الخلاب لم يدم لهذا الغلام ، لقد قلب له الدهر ظهر المجن فكان البؤس وكانت المحن ، إذ كان أبوه وزيراً ، وقديما قال الحكماء « من أكل من مال السلطان فقد سعى بقدمه على دمه (٢) » خاصة عندما تتبدل الأحوال بتغير الحكم وخروجه من سلطان إلى سلطان ، وابن حزم يقص علينا كيف تبدل الحال بعد الحال ، وكيف ذاق كأس الحياة وآلامها ، وهو فى ريعان شبابه فيقول : شغلنا بعد قيام أمير المؤمنين هشام المؤيد بالنكبات ، وباعتداء أرباب دولته ، وامتحنا بالإعتقال والتغريب والاغرام الفادح والاستتار وأرزمت الفتنة وألقت باعها وعمت الناس وخصتنا ، إلى أن توفى أبى الوزير رحمة الله ، ونحن فى هذه الأحوال بعد العصر يوم السبت لليلتين بقيتا من ذى القعدة عام اثنتين وأربعمائة (٣) .

وقد أضيف إلى هذه النوازل المجتمعة أولى كوارث ابن حزم العائلية وهى وفاة أخيه أبى بكر الذى لم نعرف له أخا غيره ، فى الطاعون الواقع بقرطبة فى شهر ذى القعدة سنة أحدى وأربعمائة وهو ابن اثنتين وعشرين سنة (٤) . ثم كانت النازلة العائلية الثانية — قاصمة الظهر — هى وفاة والده الوزير أحمد بن سعيد بتأثير النكبات التى حلت به وببيته ، وذلك فى ذى القعدة سنة ٤٠٢ هـ - فاتصلت حال ابن حزم بعده بالنكبات وخلال العام التالى (٤٠٣ هـ) حلت بابن حزم النازلة العائلية الثالثة إذ ماتت جارية له يصفها بقوله : « كانت فيما خلا اسمها « نعم » وكانت أمنية المتمنى ، وغاية

---

(١) ابن حزم : طوق الحمامة ١٣٣ - ١٣٤ .

(٢) أبو زهرة : ابن حزم ص ٢٩ :

(٣) ابن حزم : طوق الحمامة ص ١٤٧ .

(٤) ابن حزم : الطوق ص ١٥٤ .

الحسن خلقا وخلقا ، وموافقة لى ، وكنت أبا عذرها ، وكنا قد تكافأنا المودة ، ففجعتنى بها الأقدار ، واخترمتها الليالى ومر النهار ، وصارت ثالثة التراب والأحجار .

وسنى حين وفاتها دون العشرين سنة ، وكانت هى دونى فى السن ، فلقد أقمت بعدها سبعة أشهر لا أتجرد عن ثيابى ،ولا تفتر لى دمعة على جمود عينى وقلة أسعادها ، وعلى ذلك فو الله ماسلوت حتى الآن ، ولو قبل فداء لفديتها بكل ماأملك من تالد وطارف »(١) .

وقد استمرت الإحن والفتن ، حتى اضطروا إلى الخروج من قرطبة إلى المرية ، « ثم ضرب الدهر ضرباته ، وأجلينا عن منازلنا ، وتغلب علينا جند البربر فخرجت عن قرطبة أول المحرم سنة أربع وأربعمائة ، وغابت عن بصرى بعد تلك الرؤية الواحدة ستة أعوام وأكثر(٢) .

تلك هى المرحلة الأولى من حياة ابن حزم ، وهى مرحلة تمتد خمسة وعشرين عاماً مختلفة الأطوار ، ذاق فيها ابن حزم حلو الحياة ومرها ، وبدأت صور حياته فى قصر أبيه تتلاشى أمام المحن المتتاليه ، ما كان منها بسبب السياسة وما كان منها من صنع القدر (٣) .

وسوف نرى فيما بعد كيف أثرت هذه الأطوار المختلفة فى تكوين ابن حزم باعتباره مؤرخا للأديان .

---

(١) المرجع السابق : ص ١٢٤ .

(٢) المرجع السابق : ص١٤٧ :

(٣) عبد الحليم عويس : ابن حزم مؤرخا ص ٥٠

٥ـ شيوخه

كان أول سماع ابن حزم من أبي عمر أحمد بن محمد الجسور قبل الأربعمائة(١) ، وكان شيخه في المنطق محمد بن الحسن المذحجي المعروف بابن الكتاني ، وكان أديبا شاعراً طبيبا له في الطب رســائل ، وكتب في الأدب ، ومات بعد الأربعمائة(٢) ، وابن حزم يدعوه بأستاذه حين يعرض في رسالته في فضل علماء الأندلس لذكر كتبه في الطب ويصفها بأنها «كتب رفيعة حسان» أو رسائله الفلسفية ويصفها بأنها «مشهورة متداولة ، وتامة الحسن ، فائقة الجودة ، عظيمة المنفعة(٣) » وقد صحب ابن حزم حين شب عن الطوق أبا علي الحسين الفاسي الذي كان قدوة طيبة في خلقه ودينه ، ويقول عنه ابن حزم : أحسبه كان حصورا لأنه لم تكن له امرأة قط ، ومارأيت مثله جملة علما وعملا ، ودنيا وورعا(٤) » .

ويذكر صاحب معجم الأدباء أن ابن حزم ابتدأ دراسة الفقه على الشيخ الفقيه أبي محمد ابن دحون الذي كان عليه مدار الفتيا في قرطبة(٥)

كما تلقى أيضاً الفقه والحديث على عبدالله الأزدي المعروف بابن الفرضي ،

---

(١) الحميدي : جذوة المقتبس ١٠٧ (الدار المصرية للتأليف والترجمة).

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣/١٣

(٣) فضل الأندلس لابن حزم ص ٣٦٥ ، ٣٦٦

(٤) طوق الحمامة ص ١٦٦

(٥) معجم الأدباء لياقوت ١٢/٢٤٢ ط دار المأمون ، وانظر ابن حزم في الطوق ص ١٥٩

وهذا الشيخ « لم ير مثله بقرطبة فى سعة الرواية ، وحفظ الحديث ، ومعرفة الرجال والافتنان فى العلوم ، إلى الأدب البارع ، والفصاحة المطبوعة ، قل ما كان يلحن فى جميع كلامه من غير حوشية ، مع حضور الشاهد والمثل ، فيما يقول ابن حيان عنه(١) » .

وكان من شيوخ ابن حزم أبو محمد الرهونى ، عبد الله بن يوسف ابن نامى ، الذى « كان رجلا صالحا خيرًا فاضلا ، لا يقف بباب أحد وكان مجودا للقرآن ، قديم الطلب ، حسن الخلق ، جيد العقل ، خاشعا ، كثير البكاء ، متحريا فيما يسمع متحفظا به ، ورعا فى دينه »(٢) وذكر من شيوخه مسعود بن سليمان مفلت أبو الخيار ، وعنه — على مايظهر — أخذ القول بالظاهر حتى صار فيه إماما متفردا ، قال الضبي : مسعود .. فقيه عالم زاهد يميل إلى الاختيار والقول بالظاهر ، ذكره أبو محمد بن حزم ، وكان أحد شيوخه(٣) » .

كما يذكر لنا ابن حزم فى كتابه « طوق الحمامة » أنه قرأ معلقة طرفة بن العبد مشروحة فى المسجد الجامع بقرطبة على أبى سعيد الفتى الجعفرى(٤) فعلمنا من هذا الخبر أن حلقات الأدب كانت حافلة فى المسجد بالأندلس لا يتحرجون فيها من رواية الشعر وشرحه ولا يتأثمون .

وقد درس الجدل والكلام على أستاذه أبى القاسم عبد الرحمن بن أبى زيد المصرى الذى ذكره ابن حزم بقوله : وأذكر فى مثل هذا — إبانه

---

(١) ابن بشكوال : الصلة ١/٢٥٣
(٢) طه الحاجرى : ابن حزم ص٧١ - ٧٢
(٣) بغية الملتمس : ص٤٦٨
(٤) طوق الحمامة : ص١٠٠

الاضطرابات السياسية — أنى أكنت مجتازاً فى بعض الأيام بقرطبة فى مقبرة باب عامر فى لمة من الطلاب ... ونحن نريد مجلس الشيخ أبى القاسم عبد الرحمن بن أبى يزيد المصرى بالرصافة أستاذى رضى الله عنه(١) » .

وله غير هؤلاء شيوخ كثيرون ، فقد أجمع المترجمون له على أنه سمع سماعا كثيرا وذكر هو نفسه أنه طلب الحديث على سائر شيوخ المحدثين بقرطبة ، ووصفوه بالإكثار من علوم الشريعة والأدب ، وقرطبة إذ ذاك تغص بالفحول من العلماء(٢) .

٦ — تلاميذه

١ — من أشهر تلاميذ ابن حزم محمد بن أبى نصر فتوح الأزدى الحميدى الأندلسى الميورقى (ت ٤٨٨ هـ) صاحب كتاب « جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس » . يقول ابن خلكان : « الحميدى روى عن أبى محمد على بن حزم الظاهرى واختص به ، وأكثر من الأخذ عنه ، وشهر بصحبته(٣) » ويعترف الحميدى لأستاذه بالفضل فى نهاية تعريفه بتاريخ الأندلس الذى بلغ ستا وثلاثين صفحة من كتاب جذوة المقتبس فيقول : هذا آخر ما استفدنا أكثره من شيخنا أبى محمد على بن أحمد رحمه الله(٤) » .

٢ — وكان من أخص تلاميذ ابن حزم - أيضاً - القاسم صاعد بن أحمد

---

(١) المرجع السابق : ١٠٢
(٢) د. ط. الحاجرى : ابن حزم صورة أندلسيه ص ٣٦
(٣) وفيات الأعيان : ترجمة الحميدى
(٤) الحميدى : جذوة المقتبس ص ٣٦

الأندلسي المتوفى سنة ٤٩٣ هـ وكتابه «طبقات الأمم» يشهد فى منهجه ومادته بأنه متأثرا تأثراً كبيرا بابن حزم(١).

٣ — ومن تلاميذ ابن حزم : أبو محمد ، عبد الله بن محمد بن العربى الذى حكى تلمذته لابن حزم فى هـــذه العبارة التى يوردها ياقوت عن أبى بكر ، محمد بن طوخان قال : «وقال لى الوزير الإمام العربى : صحبت الشيخ الإمام أبا محمد على بن حزم سبعة أعوام، وسمعت منه جميع مصنفاته، حاشا المجلد الأخير من كتاب الفصل ، وهو يشتمل على ست مجلدات من الأصل الذى قرأنا منه ، فيكون الفائت نحو السدس ، وقرأنا من كتاب الايصال أربع مجلدات .. ولم يفتنى من تأليفاته شيء سوى ماذكرته من الناقص ، وما لم أقرأه من كتاب الايصال ، وكان عند الإمام أبى محمد بن حزم كتاب الايصال فى أربـع وعشرين مجلدا ، بخط يده ، وكان فى غاية الادماج(٢) ».

٤ — كما نشر علمه بالمشرق ولده أبو رافع ، وروى عنه أبناه : أبو أسامة يعقوب ، وأبو سليمان المصعب(٣) . هؤلاء أبرز تلاميذ ابن حزم تتلمذوا عليه وتأثروا به ، ولسنا فى مجال الإحاطة والحصر فما أكثر الذين نهلوا من علمه ، وتتلمذوا عليه أو على كتبه إلى يوم الناس هذا .

---

(١) عبد الحليم عويس صـ١٨٤

(٢) ياقوت : معجم الأدباء ٢٤٢/١٢ - ٢٤٣

(٣) عبد السلام هارون : مقدمة كتاب جمهرة أنساب العرب لابن حزم صـ٧ (دار المعارف) .

٧ — علمه

اشتهر ابن حزم بعلمه الغزير ، وثقافته الواسعة ، ولم ينكر عليه تلك المنزلة أحد من معاصريه ، سواء أ كانوا مؤيدين له أم كانوا مناوئين.. فهو بحق موسوعة علمية أحاطت بأكثر المعارف التى كانت فى عصره فى تمكن وإحاطة ، تدهش الألباب ، وتطلق ألسنة العلماء بالمدح والثناء : يقول الإمام الذهبي(١) : « وكان إليه المنتهى فى الذكاء والحفظ وسعة الدائرة فى العلوم » .

وقد شهد له الغزالى بأن كتابه (أسماء الله الحسنى) يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه ،(٢) وكان — على حد قول صاعد — « أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام ، وأوسعهم معرفة مع توسعة فى علم اللسان ، ووفور حظه من البلاغة والشعر ومعرفة بالسنن والآثار(٣) » .

ويقول عنه الحميدى : « كان أبو محمد حافظا للحديث وفقهه مستنبطا للأحكام من الكتاب والسنة ، متفننا فى علوم جمة ، عاملا بعلمه(٤) » .

لقد كان — رضى الله عنه — « لا يدع المثابرة على العلم والمواظبة على التأليف ، والإكثار من التصنيف حتى كمل من مصنفاته فى فنون من العلم وقر بعير(٥) ، ولذلك يخبر ابنه الفضل المكنى أبا رافع : أن مبلغ تواليفه

(١) تذكرة الحفاظ ١١٤٦/٤

(٢) المرجع السابق ١١٤٧/٣

(٣) ابن بشكوال : الصلة ٤١٦/٢

(٤) الحميدى : جذوة المقتبس ص٣٠٧ وراجع أيضاً بغية الملتمس للضبى ص٤١٥ .

(٥) ياقوت : معجم الأدباء ٢٤٩/١٢

فى الفقه والحديث والأصول ، والنحل والملل ، وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الأدب والرد على المعارض نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة . وهذا شىء ماعلمناه لأحد ممن كان فى دولة الاسلام قبله إلا لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، فإنه أكثر أهل الإسلام تصنيفا »(١)

والحق أن الإمام ابن حزم حقيق بهذا الثناء المستطاب ، إذ أننا لا نجد بابا من أبواب العلم إلا ضرب فيه بسهم وافر ، وتحدث فيه حديث الفاهم الواعى ، ويكفى للمصنف أن يقرأ كتابه العظيم « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » ليعرف كيف أفاض الله على هذا الرجل من علمه ، وأمده بالكثير من آلائه وفضله ، وإننا لنرجىء الحديث عن ثقافة هذا الشيخ فى كتابه هذا إلى مكانها الآتى من البحث ، آملين أن تكشف دراستنا للكتاب عما كان عليه صاحبه من أحاط علمية شاملة شهد له بها الأعداء والأصدقاء على السواء

٨ — وظائفه فى الدولة

كان ابن حزم وفيا للبيت الأموى . . يعمل على انبعاث الدولة الأموية ويرى أحقيتها فى الخلافة دون غيرها من الناس . . وقد كان ذهابه للمرية تعبيرا عن هذه الرغبة ، إذ كان « خيران العامرى » يظهر ميلا لبنى أمية فى أول أمره(٢) .

بيد أن العيش لم يطب له فى تلك المدينة — المرية — إذ اتهمه واليها

---

(١) ابن بشكوال : الصلة ٢ / ٤٩٦

(٢) راجع عبد الحليم عويس : ابن حزم مؤرخا ص ٥٣

من قبل الحموديين سنه ٤٠٧ ﻫ بالعمل للبيت الأموى لاعادة السلطان إليه .

ويقول ابن حزم فى هذا الصدد : «وظهرت دولة الطالبية وبويع على ابن حمود الحسنى ، المسمى بالناصر بالخلافة ، وتغلب على قرطبة وتملكها ، واستمر فى قتاله إياها بجيوش المتغلبين والثوار فى أقطار الأندلس . وفى أثر ذلك نكبنى خيران ، إذ نقل إليه من لم يتق الله — عز وجل — من الباغين — وقد انتقم الله منهم — عنى وعن محمد بن اسحاق صاحبى ، أنا نسعى فى القيام بدعوة الدولة الأموية ، فاعتقلنا عند نفسه شهرا ، ثم أخرجنا على جهة التغريب ، فصرنا إلى حصن القصر(١) :

ولقينا صاحبه أبو القاسم عبد الله بن محمد بن هزيل التجيبى المعروف بابن المقفل . فأقمنا عنده شهورا فى خير دار أقامه ، وبين خير أهل وجيران وعند أجل الناس همة . وأكملهم معروفا . وأتمهم سيادة ، ثم ركبنا البحر قاصدين بلنسية عند ظهور أمير المؤمنين المرتضى عبد الرحمن بن محمد ، وساكناه بها (٢) .

ولسنا فى مجال تحقيق هذه التهمة التى نسبت إلى ابن حزم وأودت به إلى السجن والتى يظهر لنا من أسلوب صاحبها - الذى لم ينفها عن نفسه - أن لها نصيبا من الواقع . وإنما الذى يعنينا فى هذا المقام أن ابن حزم بعد هذا التغريب والنفى الذى لاقى فيه من أخوانه العون والاكرام — ذهب إلى بلنسية عندما علم بظهور أمير المؤمنين عبد الرحمن ابن محمد الأموى الذى

---

(١) حصن القصر : قرية صغيرة ، ماتزال قائمة حتى يومنا هذا فى مقاطعة اشبيليه (الطاهر مكى هامش الطوق)

(٢) ابن حزم . طوق الحمامة ص ١٥٥ .

لقب بالمرتضى وأخذ يدعو لنفسه فى بلنسية وقد كان المرتضى هذا أصلح من بقى من بنى أمية ، ويبدو أن ابن حزم كان يأمل أن تنبعث الدولة الأموية على يديه وتظلل بلاد الأندلس من جديد لذلك أخذ يعاونه حتى صار وزيراً من وزرائه(١) . بيد أن أمره لم يبق طويلا فاغتيل المرتضى وانتهى أمره ووقع ابن حزم بأيدى أعدائه سنة ٤٠٣ بعد وفاة أبيه بعام(٢) .

ثم تولى ابن حزم الوزاة لعبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار الذى بايعه أهل قرطبة بالخلافة فى رمضان سنة ٤١٤ ولقبوه بالمستظهر(٣) ، وكان عمره حين ذاك اثنتين وعشرين سنة ، وكان رحب الصدر رقيق الطبع شاعرا ناثراً خطيبا بليغا ، ولم تدم وزارته تلك أكثر من سبعة وأربعين يوما ، إذ ثار على المستظهر ابن عمه المستكفى فى طائفة من أرازل العوام ، فقتله لثلاث بقين من ذى القعدة من السنة نفسها(٤)

وبعــــد ذلك بسنوات عاد ابن حزم للوزاة أيام هشام بن المعتد بالله

---

(١) هذا رأى بعض الباحثين أمثال الأستاذ سعيد الأفغانى وصاحب دائرة المعارف الإسلامية (مادة ابن حزم) الذين يرون أنه كان وزيرا للمرتضى ولكن الدكتور عبد الحليم عويس فى رسالته عن ابن حزم مؤرخا يرى أنه كان مستشاراً كبيراً فحسب ولم يبلغ إلى مرتبة الوزارة (راجع عبد الحليم عويس ص ٥٤

(٢) سعيد الأفغانى : ابن حزم ورسالته فى المفاضله ص ٢٥ وانظر أيضاً أبا زهرة ص ٤١

(٣) المقرى : نفح الطيب ١ /٢٠٤

(٤) انظر عبد الحليم عويس ص ٥٤

ابن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الذي تولى الخلافة بين سنتي ٤١٨هـ ٤٢٢هـ(١)

وقد كان هذا آخر عهده بالسياسة والوزارة . لقد طلق المناصب إلى غير رجعة وأقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن(٢)

ويبدو أن انحراف الحكام وتكالبهم على الدنيا جعل ابن حزم يزهد في السياسة والاشتغال بها ، لذلك نراه بعد أن يذكر في كتابه « نقط العروس » من تسمى باسم مضاف إلى الدولة مثل فخر الدولة وعماد الدولة ، وعضد الدولة .

يقول : « ثم انحرف الأمر واتسع ، ثم رزل الأمر بالمشرق والمغرب حتى تسمى هذه الأسماء السماسرة ورذالات الناس ليرى الله عز وجل عباده هوان ماتنافسوا عليه ، وغالوا به ،وصح(٣) قول رسول الله ـ ﷺ حقيق على الله أن لا يرفع الناس شيئا إلا وضعه الله أو كلاما هذا معناه .. واستبان أن الحقيقة هي العمل لله ـ عز وجل ـ والعدل في البلاد ،والعمل بمكارم الأخلاق وحمل الناس على الكتاب والسنة ، فذلك الذي لا يقدر عليه سخيف ولا يطيقه ضعيف وبهذا يتبين فضل القوى على الساقط المهين

---

(١) الأفغاني : ابن حزم ص٢٥

(٢) ياقوت : معجم الأدباء ١٢ /٢٣٧

(٣) روى البخاري في صحيحه (٤ /٣٨)

عن أنس رضى الله عنه قال : (كان للنبي صلى الله عليه وسلم ناقة تسمى العضباء لا تسبق ، فجاء أعرابي على قعود فسبقها ، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه ، فقال : حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه)

(كتاب فضل الجهاد والسير ـ باب ناقة النبي ﷺ)

لا بأسماء يقدر على التسمى بها كل خسيس واهن ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ، وحسبنا الله ونعم الوكيل »

ولقد كانت دولة عبد الملك وسليمان والوليد وعمر وهشام لاعضد لها وعماد ولا ألقاب إلا أسماءهم وكانت قد طبقت الدنيا طاعة واستقامة، والدولة الآن أكثر ما كانت أعضادًا وعمدًا ، وقد طبقت الدنيا ضعفا ومهانة ، والله المستعان(١)

٩ — رحلاته

تعددت رحلات ابن حزم إلى المدن المختلفه من بلاد الأندلس .. وكان أكثر هذه الرحلات يصاحبها القلق والاضطراب ، إذ كان مضطرا فى كثير من تلك الأسفار ولم يكن مختارا ؛ وإن كان لدينا من الآثار التى تركها لنا أبو محمد مايدل على رغبة كانت تجيش فى نفسه لزيارة المشرق ، حيث كانت بغداد قبلة العلوم ، وأمنية المتمنى من المفكرين والعلماء لينهلوا من علمها ، ويجلسوا إلى شيوخها ، ولذلك نرى ابن حزم يصور هذه المشاعر التى شاءت إرادة الله أن لاتتحقق بقوله

ولى نحو اكتاف العراق صبابة
ولا غرو أن يستوحش الكلف الصب
فإن ينزل الرحمن رحلى بينهم
فحينئذ يبدو التأسف والكرب
هنالك يدرى أن للبعد غصة
وأن كساد العلم آفته القرب(١)

(١) ابن حزم : نقط العروس : ٨٦ تحقيق الدكتور شوقى ضيف
(٢) الحميدى : جذوة المقتبس ص ٣١٠ راجع معجم الأدباء ٢٠٥/١٢

ومن المدن الأندلسية التى رحل إليها — ابن حزم — وكان لها أثر بالغ فى حياته الفكرية كما سنوضح فى خاتمة هذا الفصل — مدينة المرية التى ذهب إليها عندما وقع انتهاب جند البربر لمنازل ابن حزم فى الجانب الغربى بقرطبة ونزولهم فيها ، واضطرته الأحداث الأسيفة إلى مغادرة مسكنه بقرطبة وسكنى مدينة المرية(١) .

بيد أن المقام لم يطب له فيها ، إذ كان اتجاه ابن حزم السياسى — موالاة الأمويين — يثير له المتاعب ويخلق حوله جوا من الريبة يحول دون راحة باله ويحجب عنه كل هدوء ومن ثم لم ينعم بالاستقرار فى المريه إلا ثلاثة سنوات اعتقل بعدها عند «خيران» — حاكم المدينة — بضعة أشهر (٢) .. هاجر بعدها إلى حصن القصر(٣) فى الجانب الغربى من الأندلس حيث أقام عند صاحبه أبو القاسم بن هذيل شهورا هادئة مستقرة .. ومن خلال كتب ابن حزم يتبين لنا أنه سافر بعد ذلك إلى بلنسيه(٤) لأغراض سياسية ، ثم فى نهاية هذا الشوط الأول عاد إلى قرطبة .

وقد كان شعور ابن حزم فى هذه الرحلات أنه المطارد المبعد عن الأهل والوطن ظلما وعدوانا ، ولذلك نجده يقول فى كتابه «طوق الحمامة» :

أنت تعلم أن ذهنى متقلب وبالى مضطرب بما نحن فيه من نبو الديار والجلاء

---

(١) طوق الحمامه ص١٥٥

(٢) المرجع السابق ص١٥٦

(٣) حصن القصر : قريه صغيرة ، ماتزال قائمه حتى يومنا هذا فى مقاطعه اشبيليه (هامش الطوق ص١٥٦) .

(٤) بلنسيه : مدينه ، ومحافظه ، كبيرة فى شرقى أسبانيا ، على شاطىء البحر المتوسط (دكتور الطاهر مكى هامش الطوق ص١٥٦) .

عن الاوطان ، وتغير الزمان ، ونكبات السلطان ، وتغير الاخوان ، وفساد الأحوال وتبدل الأيام ، وذهاب الوفر والخروج عن الطارف والتالد ، واقتطاع مكاسب الآباء والأجداد، والغربة فى البلاد، وذهاب المال والجاه ، والفكر فى صيانة الأهل والولد ، واليأس عن الرجوع الى موضع الأهل ، ومدافعة الدهر ، وانتظار الأقدار ، لاجعلنا الله من الشاكرين إلا إليه ، وأعادنا إلى أفضل ما عودنا ، وإن الذى أبقى لأكثر مما أخذ ، والذى ترك أعظم مما تحيف ، ومواهبه المحيطة بنا، ونعمه التى غمرتنا لا تحد ولا يؤدى شكرها ، والكل منحه وعطاياه ، ولا حكم لنا فى أنفسنا ونحن منه واليه متقلبنا، وكل عارية راجعة إلى معيرها، وله الحمد، أولا وآخرا، وعودا وبدءا »(١)

* * *

أما البلاد التى رحل إليها فى النصف الأخير من حياته بعد أن ترك الوزارة وتفرغ للعلم فقد كانت بسبب حدته فى الرأى — أو بتعبير ابن حيان — عدم معرفته بسياسة العلم إذ كان يصك معارضه صك الجندل حتى استهدف إلى فقهاء وقته ، فما لوا إلى بغضه ورد أقواله فأجمعوا على تضليله ، وشنعوا عليه ، وحذروا سلاطينهم من فتنته ... وطفق الملوك يقصونه عن قربهم ، ويسيرونه عن بلادهم »(٢) ، فذهب أول أمره إلى شاطبة ، ثم انتقل إلى القيروان بالمغرب حيث كان يناقش علماءها ، ويتبادل معهم وجهات النظر المختلفة ، ويخبرنا ابن حزم عن ذلك فيقول : « ولقد سألنى يوما أبو عبد الله محمد بن كليب من أهل القيروان أيام كونى بالمرية ، وكان طويل اللسان جدا متقفا للسؤال فى كل فن(٣) .

وقد رحل — أيضا — إلى ميورقة التى كانت تخضع لولاية أحمد بن رشيق

---

(١) طوق الحمامة ص ١٩٧ .

(٢) ابن بسام الذخيرة المجلد الأول القسم الأول ص ١٤١ .

(٣) طوق الحمامة ص ٧٣ .

ويصفه المؤرخون بأنه كان يميل إلى الحديث والفقه(١) ، وذوهيبة مفرطة وتواضع وحلم عرف به مع القدرة(٢) .

وفى ميورقة حدثت مناظرات بينه وبين أبى الوليد الباجى الذى ارتحل إلى الشرق وتعلم فيه علم الكلام والجدل والفقه والحديث وغيره ثم عاد إلى الأندلس فوجد لكلام ابن حزم طلاوة إلا أنه كان خارجا عن المذهب ولم يكن بالأندلس من يشتغل بعلمه ، فقصرت ألسنة الفقهاء عن مجادلته وكلامه ، واتبعه على رأيه جماعة من أهل الجهل (!!) وحل بجزيرة ميورقه فرأس فيها واتبعه أهلها ، فلم قدم أبو الوليد كلموه فى ذلك فدخل اليه وناظره ، وشهر باطله ، وله معه مجالس كثيرة(٣) .

وقد استطاع الباجى إجلاء أبى محمد عن ميورقه بعد أن استعان عليه بأميرها الذى تولى بعد ابن رشيق ، وحرض عليه الجماهير. ولم تذكر كتب التاريخ ولا كتب التراجم إلى أين غادرها ، وان كان بعض الباحثين(٤) ، يرى أنه ذهب إلى أشبيليه حتى استقر به المقام فى نهاية المطاف إلى قريته ، التى كانت ملكة وملك سلفه من قبل . وهناك أمضى بقية حياته حتى لقى ربه . أما عن أثر هذه الرحلات فى تكوين ابن حزم باعتباره مؤرخا للأديان فهذا ما سنذكره فى موضعه من تلك الدراسة باذن الله .

---

(١) ابن الآبار : الحلة السيراء ٢ / ١٢٨ .

(٢) الحميدى : الجذوة ١٢٢ وانظر — المرجع السابق .

(٣) المقرى : نفح الطيب ١ / ٣٥٤ .

(٤) عبد الحليم عويس : ابن حزم ص ٥٧ .

١٠ — علاقة ابن حزم بمعاصريه

إن الذى يطالع سيرة الامام ابن حزم يأسى للآلام والمحن التى واجهها من كثير من معاصريه ، إذ عمل الكثيرون من الفقهاء والحكام على حربه وتضليله ، وقليل أولئك الذين أنصفوا الرجل وعرفوا له مكانته وعلمه ، وهذه الثورة التى ظلت مشتعلة حتى لقى الشيخ ربه .. والتى تولى كبرها بعض الفقهاء وأدعياء العلم مردها — للأسباب الآتية :

(أ) قسوة ألفاظه ، وجرأته على الأئمة ، فقد كان — رضى الله عنه — يصك برأيه معارضه صك الجندل ، ويرميه به رمية تشبه انشاق الخردل ، حتى نفرت عنه القلوب ، فمال هؤلاء عليه يهضمون ويكفرون ، ويحذرون السلاطين والعوام من آرائه حتى أقصوه عن قربهم ، وسيروه عن بلادهم »(١) .

(ب) عدم ممالأته للحكام ، ورفضه لقبول هداياهم كغيره من الفقهاء استعلاء بعلمه وخلقه ، واستنكارا لسلوكهم وانحرافهم، حيث رآهم يستعين بعضهم على بعض بالنصارى، ويأتون من الأعمال والأخلاق ما تاباه شرعة الاسلام ، وقد أعطى الله ابن حزم خلقا قويا جعله ينطق بالحق ولا يجارى أحدا من الناس . وقد سجل ابن حزم — وهو المؤرخ — مهازل الولاة فى عهده(٢) — دون مجاملة — وشكى إلى الله — سبحانه — تخريبهم لدينهم وتعميرهم لدنياهم(٣) . ولا شك أن هذا الموقف أوجد جفوة بينه وبين الحكام،

---

(١) ياقوت : معجم الادباء ١٢ / ٢٤٨ (بتصرف وتلخيص).

(٢) أقرأ مثلا مبحث (أخلوقة لم يقع فى الدهر مثلها) فى كتابه نقط العروس .

(٣) راجع خاتمة كتاب « الرد على ابن النغريلة اليهودى ، لابن حزم .

وكان من أسباب عداوتهم الشديدة للشيخ — رحمه الله — مما جعلهم يعملون على تشويه سمعته ونفيه واضطهاده ، والتضيق عليه ما وجدوا إلى ذلك سبيلا .

(ج) تركه لمذهب مالك — رضى الله عنه — وهو مذهب أهل الأندلس فى عصره ، واعتناقه لمذهب الشافعى أولا ثم تركه إلى القول بالظاهر وعدم تقليد إمام من الأئمة ،وقد كان ذلك سببا لعداوات وخصومة بينه وبين الناس لم تهدأ حتى بعد أن فارق الدنيا وواراه الثرى .

(د) موقفه من اليهود والنصارى دفاعا عن عقيدته ، وكشفا لزيف الأديان الأخرى وبيان ما فى كتبها من ضلال وكذب، ليثبت أنها من صنع البشر ، وأنها لا يمكن أن تكون من لدن حكيم عليم — وقد كان للجالية اليهودية فى عصره مكانة عند الساسة استطاعوا معها أن يصلوا إلى أرقى المناصب فى الدولة ، ويكيدوا للمسلمين بتشويه أفكارهم والهجوم على مقدساتهم ، ووضع العقبات أمام الداعين إلى الله وخلق التهم حولهم، ولا يخفى علينا حيل اليهود وأخلاقهم فى كل زمان ومكان .

* * *

ومن اشتهر بعدائه لأبى محمد ابن حزم الإمام أبو الوليد سليمان بن خلف الباجى الذى رحل إلى المشرق والتقى بالعلماء ، ولبث فى رحلته ثلاثة عشر عاما يتنقل بين العراق والحجاز ، فلما عاد من رحلته هذه وجد لكلام ابن حزم طلاوة ، وقد عجز الفقهاء من المالكية عن مجادلته وكلامه ، فدخل إلى ميورقة حيث ناصره العامة وأدعياء العلم على ابن حزم حتى أخرجوه منها(١) . ورحم الله ابن حزم لم تمنعه الخصومة التى قامت بينه وبين الباجى

(١) نفح الطيب ١/٣٤٤ .

أن يوفيه حقه ، بل قال فيه : « لو لم يكن لأصحاب المذهب المالكى بعد عبد الوهاب إلا مثل أبى الوليد الباجى لكفاهم »(١) .

وممن تحامل على الامام ابن حزم ولم ينصفه الامام أبو بكر ابن العربى صاحب كتاب « العواصم من القواصم » لقد أكثر من هجومه عليه ، ووصفه بصفات وعبارات يترفع عن ذكرها آحاد العقلاء فضلا عن الصفوة من العلماء(٢) . وقد غضب الإمام الذهبى — رضى الله عنه — لهذا التحامل والجور ، وعلق على عبارات أبى بكر بن العربى بقوله : « قلت : لم ينصف القاضى أبو بكر — رحمه الله — شيخ والده فى العلم ، ولا تكلم فيه بالقسط ، وبالغ فى الاستخفاف به ، وأبو بكر على عظمته فى العلم لا يبلغ رتبة أبى محمد ولا يكاد ، فرحمهما الله وغفر لهما »(٣).

---

(١) نفح الطيب ١ / ٣٥٤ .

(٢) راجع تذكرة الحفاظ ٣ / ١١٤٩ .

(٣) ذكرت الدكتورة سهير فضل الله أبو وافية المدرسة بقسم الفلسفة بكلية البنات جامعة عين شمس فى رسالتها « ابن حزم وأراؤه الفلسفية والكلامية » ص ٩٧ : أن أبا بكر ابن العربى تراجع عن موقفه العدائى من ابن حزم ، واعتنق مذهبه الظاهرى ، وتقول : « وله رؤية قصها علينا فى فتوحاته المكية إذ قال « رأيت رسول الله — ﷺ — فى المنام ، وقد عانق أبا محمد بن حزم فغاب الأول فى الآخر فلم تر إلا واحدا وهو رسول الله ﷺ ، وهذه غاية الوصلة — الفتوحات المكية ١ / ٥١٩ — وأقول هذا خطأ واضح ، لأن هذه الرؤية لابن عربى الصوفى وكتابه « الفتوحات المكية » أشهر من الشمس وقد قام بتحقيقه الاستاذ عثمان أمين ، وقد كان ابن عربى هذا من المعجبين بأبى محمد بن حزم ، المعتنقين لمذهبه فى الفروع رغم قوله بالباطن فى العقائد والأصول ، وقد كان فى القرن =

وقد كان لهذا الفريق أثر كبير فى كتابات ابن حزم وبخاصة كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل وغيره من كتب الخلاف، ومهما يكن من أمر فلم تكن هذه الجفوة التى وقعت بين ابن حزم وهذا الصنف من الفقهاء شرا على الاطلاق بل كانت مبعثا لتراث ضخم وأنشطة علمية نضرت وجه التاريخ وساهمت فى الدفاع عن عقيدة الاسلام وتراث المسلمين.

وبجانب هذا النمط من المتحاملين نرى طرازا اخر من الناس، أخذوا أنفسهم بقول الحق فذكروا المحاسن والهفوات، من هؤلاء أبو مروان ابن حيان الذى قال عن ابن حزم — بعد أن ذكر هفواته — «... إلى أن يحرك بالسؤال فيفجر منه بحر علم لا تكدره الدلاء»[1] ولذلك يعلق الامام الذهبي — عقب روايته لكلام ابن حيان — بقوله: هذا القائل منصف فأين كلامه من كلام أبى بكر بن العربى، وهضمه لمعارف ابن حزم»[2].

وبعد أن أورد ابن حيان شعره — ابن حزم — فى نعى نفسه قال: «ويالبدائع هذا الحبر على غرره، ماأوضحها على كثرة الدافنين لها، والطامسين لمحاسنها، وعلى ذلك فليس ببدع فيما أضيع منه، فأزهد الناس فى عالم أهله، ... والحسد داء لادواء له»[3].

= السابع فهو ليس معاصرا لابن حزم بخلاف أبى بكر بن العربى صاحب كتاب «العواصم من القواصم» الذى كان معاصرا لابن حزم وظل على عدائه للشيخ إلى أن لقى الله.

(١) تذكرة الحفاظ ٣ / ١١٥٢.

(٢) السابق.

(٣) معجم الادباء ١٢ / ٢٥٤ والافغانى: ابن حزم ورسالته فى المفاضلة ١٤٣ — ١٤٤.

وقد كان لصاحبنا أصدقاء تربطه بهم صلات الحب والمودة ، وقد عرف ابن حزم بالاخلاص والوفاء ، ولعل أشهر هؤلاء أبو عامر أحمد بن شهيد صاحب كتاب « التوابع والزوابع » وأحد مشاهير الاسلام في الأدب والشعر وقد تولى الوزارة مع صديقه ابن حزم للمستظهر ، وعملا معا في خدمة المعتد بالله .

وفي المرض الذي مات فيه ابن شهيد أرسل إلى ابن حزم قصيدة تفيض رقة وإخلاصا ونبلا جاء فيها(١) :

كأني وقد حان ارتحالي لم أفز   قديما من الدنيا بلمحة بارق

فمن مبلغ عني ابن حزم وكان لي   يدا في ملماتي وعند مضايقي ؟

عليك سلام الله إني مفارق

وحسبك زادا من حبيب مفارق(٢)

---

(١) راجع ترجمة ابن شهيد في نفح الطيب ١/ ١٧٧ .

(٢) ديوان ابن شهيد بتحقيق يعقوب زكي ص ١٣٤ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة) بدون تاريخ .

١ ـ صفاته وأخلاقه

جمع ابن حزم من كريم الشمائل، وجميل الصفات ماجعله الإنسان النبيل والعالم الذى فاضت بحوثه وتناقلت الأجيال كتبه :

١ ـ وأول هذه الصفات تلك الحافظة القوية التى سيطر بها على مقالات الآخرين، واستوعب أدلتهم وبراهينهم، واستطاع أن يحفظ سير الأولين ويربط علومه التى استحفظها ووعاها بعضها ببعض فى تناسق فكرى اختص به من بين معاصريه من العلماء والفقهاء(١) .

٢ ـ كما عرف ابن حزم بتدينه وصلاحه، ولقد أحسن ابن بشكوال عندما أراد أن يجمع أخلاقه فى كلمة واحدة فقال : « . . . كان عاملا بعلمه »(٢) .

لقد كان رضى الله عنه متواضعا لله، شاكرا لأنعمه يقول فى أدب العالم « وأن أعجبت بعلمك فاعلم أنه لاخصلة لك فيه، وأنه موهبة من الله مجردة وهبك إياها ربك تعالى فلا تقابلها بما يسخطه فلعله ينسيك ذلك بعلة يمتحنك بها تولد عليك نسيان ما علمت وحفظت . ولقد أخبرنى عبد الملك ابن طريف وهو من أهل العلم والذكاء واعتدال الأحوال وصحة البحث أنه كان ذا حظ من الحفظ عظيم، لايكاد يمر على سمعه شىء يحتاج إلى استعادته . وأنه ركب البحر مرة، فمر فيه هول شديد أنساه أكثر ما كان يحفظ وأخل بقوة حفظه إخلالا شديدا لم يعاوده ذلك الذكاء بعد وأنا

---

(١) راجع الأستاذ محمد أبو زهرة : ابن حزم ص ٦٧ .

(٢) الصلة : ٢/٤١٦ .

أصابتنى علة فأفقت منها ، وقد ذهب ما كنت أحفظ إلا مالا قدر له فما عاودته إلا بعد أعوام ، واعلم أن كثيرا من أهل الحرص على العلم يجدون فى القراءة والاكباب على الدرس والطلب . ثم لا يرزقون منه حظا ، فليعلم ذو العلم أنه لو كان بالاكباب وحده لكان غيره فوقه فصح أنه موهبة من الله تعالى :

فأى مكان للعجب ها هنا . ما هذا إلا موضع تواضع ، وشكر لله تعالى واستزادة من نعمه واستعاذة من سلبها »(١) .

٣ — ومن أبرز صفاته — رضى الله عنه — صفة الوفاء الذى جعله يعيش وفيا لدينه ولإخوانه ولشيوخه ، ولكل من اتصل به ، بل كان وفيا حتى للجماد فهو يسأل الذاهبين إلى قرطبة عن دوره وماجرى لها . وقد كانت مغانيه ، وكان فيها أنس نفسه ، وأنه ليقول فى ذلك « لا أقول قولى هذا ممتدحا ، ولكن آخذ بأدب الله عز وجل : « وأما بنعمة ربك فحدث » : لقد منحنى الله — عز وجل — من الوفاء لكل من يمت إلى بلقية واحدة . .

ووهبنى من المحافظة لمن يتذمم منى ولو بمحادثة ساعة ، وما شيء أثقل على من الغدر ، ولعمرى ما سمحت نفسى قط فى الفكرة فى إضرار من بينى وبينه أقل ذمام ، وأن عظمت جريرته ، وكثرت إلى ذنوبه ، ولقد دهمنى من هذا غير قليل فما جزيت على السوى إلا بالحسنى والحمد لله على ذلك كثيرا »(٢) .

٤ — أما عن عفته وطهره فحسبنا منها أنه عاش فى القصر بين الجوارى والحسان ولكنه مع ذلك لم يقرب معصية ، ولم يباشر فاحشة ويقول فى ذلك :

---

(١) مداواة النفوس .

(٢) طرق الحمامة ١١٢ — ١١٣ .

« يعلم الله وكفى به عليما ، أنى برىء الساحة سليم الإدام ، صحيح البشرة ، نقى الحجزة ، وإنى أقسم بالله أجـل الأقسام أنى ما حللت مئزرى على فرج حرام قط ، ولا يحاسبنى ربى بكبيرة الزنا مـذ عقلت إلى يومى هذا »(١) .

٥ — وما قيل عن حدة ابن حزم ، وشدته فى الرد على الخصوم ، إذا تركنا جانب المبالغة فى هذا القول وجدنا عذره فى ذلك ما قاله هو عن علة الطحال التى أصيب بها . وأنها كانت سبب ضجره وضيق خلقه وقلة صبره ونزقه(٢) .

فضلا عن الجفوة التى لاقاها من الكثيرين فى عصره ، والكيد الذى بلغ إلى إحراق كتبه ، وأن كنا لا نعفيه من بعضها ونود لو ارتفع عليها وسمى فوقها ، بيد أن الكمال لله وحده ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

١٢ — وفاته

توفى الإمام ابن حزم - كما يذكر ابن خلكان - فى آخر نهار الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة (٤٥٦) هـ فى بادية : « لبله » وقيل إنه توفى فى « منت ليشم » وهى قرية ابن حزم رحمه الله(٣).

فكان عمره إحدى وسبعين وعشرة أشهر وتسعة وعشرين يوما(٤) .

---

(١) المرجع السابق : ص ١٦٤ .
(٢) مداواة النفوس (٣) وفيات الأعيان ١٣/٣
(٤) ابن بشكوال : الصلة ٣٩٦/٢ .

وروى أبو بكر محمد بن طرخان التركى قول الإمام أبي محمد عبد الله ابن العربي ان ابن حزم توفى بقريته - وهى على خليج البحر الأعظم - فى جمادى الأولى سنة سبع وخمسين(١).

وهذه الرواية التى تنص على أنه توفى سنة سبع وخمسين تخالف ماعرف بين المؤرخين من أن ابن حزم توفى يوم ٢٨ من شعبان عام ٤٥٦ ه .

ولذلك نجد الإمام ابن كثير يجعل وفاة أبي محمد من حوادث سنة ست وخمسين وأربعمائة(٢).

ونص ابن العماد على أن ابن حزم توفى ليومين بقيا من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة من اثنتين وسبعين سنة(٣).

وهذا هو التاريخ الذى أجمع عليه غالبية المترجمين فقالوا إن ابن حزم توفى يوم ٢٨ من شعبان عام ٤٥٦ ه الموافق ١٠٦٤ م

وكأنما كان - رحمه الله - ينعى نفسه حين قال :

كأنك بالزوار لى قد تبادروا
وقيل لهم : أودى على بن أحمد

فيارب محزون هناك وضاحك
وكم أدمع تذرى وخد مخدد

عفا الله عنى يوم أرحل ظاعنا
عن الأهل محمولا إلى ضيق ملحد

---

(١) الذهبي : تذكرة الحفاظ ١١٥٤/٢ ط حيدر أباد الدكن .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٩١/١٢ .
(٣) ابن العماد : شذرات الذهب ٢٩٩ .

فوا راحتى إن كان زادى مقدما ويا نصبى إن كنت لم أتزود(١)

وبوفاته شعر الناس بإخلاصه وجهاده وعلمه ، وقد ضيقوا عليه في حياته ، فعاش طوافا في البلاد لا يستقر به مقام ولا يهنأ له عيش ، ولقد أراد الله أن ينصف هذا العالم بعد موته . وقد عاش غريبا بعلمه وخلقه في حياته ، فوقف المنصور الموحدى ثالث خلفاء الموحدين على قبره خاشعا وهو يشهد شهادة التاريخ :

« كل الناس عيال على ابن حزم »(٢)

---

(١) معجم الأدباء ١٢/٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٢) نقلا عن د . سهير : ابن حزم ٥٣ .

ابن حزم واليهودية

١ — ابن حزم ونقده للمصادر اليهودية :

عاش ابن حزم فى عصر وصل فيه اليهود إلى مناصب عالية فى الدولة الإسلامية بفضل سماحة الإسلام ، وكان فى مقدمة هؤلاء الذين نالوا حظا وافرا إسماعيل ابن النغريلة اليهودى» الذى كان من الطارئين على الأندلس ولكنه استطاع بدهائه وفطنته أن ينال ثقة حكام المسلمين وإعجابهم حتى أصبح وزيرا لباديس» يصرف شئون الدولة ويشارك فى توجيه دفة الحكم.. وهذا السلطان الواسع الذى أحرزه إسماعيل مكن لليهود كثيرا فى الشئون الإدارية والمالية لأنه كان يختار موظفيه من بنى جلدته . فاكتسبوا جاها فى أيامه واستطالوا على المسلمين(١) .

وقد أبى الحكام فى هذا الوقت أن يضعوا حدا لهذه الحماقات . ويردوا الأمور إلى نصابها ، وذلك لضعفهم وشدة فسادهم . وانشغالهم بالشراب واللهو، وترك مقاليد الحكم للحاشية والنساء من جانب . . وعدم اهتمامهم بقضية الإسلام من جانب آخر ، فأدى هذا التطاول المستمر من هؤلاء اليهود إلى إثارة العامة من الناس(٢) .

---

(١) لسان الدين ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ١/٤٤٦،

(٢) يذكر ابن بسام فى الذخيرة: أن ابن النغريلة اليهودى لما استمر فى سفهه . هب الناس لطلبه فهرب إلى داخل القصر واتبعه العامة حتى ظفروا به وقتلوه ، وقيل إنهم وجدوه مختبئاً فى مخزن للفحم وقد سود وجهه لئلا يعرف، ثم قصدوا اليهود . فاحالوا عليهم قتلا ونهبوا أموالهم(الذخيرة ١/٢/٢٧٢) .

فلا عجب أن نرى ابن حزم يحمل « سلاح الفكر » ليدافع به عن دينه ، بعد ما أعد العدة لذلك فقرأ التوراة قراءة واعية ، ووقف عند كل نص فيها ليدرك مرماه ، ويقف على معناه ، ويبدو أنه كان لدى ابن حزم أكثر من نسخة من التوراة المترجمة إذ نجده يقول : « ورأيت فى نسخة أخرى منها »(١) ويورد نصا مغايرا بعض المغايرة لما أورده من قبل .

بل إننا لنقرأ فى دقة بالغة فى كتابه « الفصل » وصفه لنسخة التوراة التى رجع إليها واستقى منها وذلك إذ يقول : « هى مقدار مائة ورقة وعشرة أوراق فى كل صفحة منها من الثلاثة وعشرين سطرا إلى نحو ذلك بخط هو إلى الانفساح أقرب ، يكون فى السطر بضع عشرة كلمة »(٢) على أن مقابلة النصوص التى يوردها ابن حزم فى كتابه « الفصل » بالترجمة الحديثة الموجودة بين أيدينا الآن تظهر لنا خلافا بين الترجمتين وهو خلاف أقرب إلى الألفاظ منه إلى المعانى ، ولعل هذا يرجع فى المقام الأول إلى أن ابن حزم كان يورد نصوص التوراة بتصرف وتلخيص فى كثير من الأحيان .

وعندما يورد ابن حزم نصا من التوراة كثيراً ما يشير إلى موضعه منها ، فيقول - مثلا - « فى السفر الخامس من أسفار التوراة الذى يسمونه « التكرار » إن الله تعالى قال لموسى اصنع لوحين على حال الأولين ، واصعد إلى الجبل واعمل تابوتا من خشب »(٣) وسفر « التكرار » الذى يذكره ابن حزم هو ما يعرف فى ترجمة « البروتستانت » الموجودة لدينا الآن « بالتثنية » أو كما تسميه ترجمة الكاثوليك : « تثنية الإشتراع » وأحيانا نجده يستعمل الأسماء العبرية ، فيقول : (وأما الكتب التى يضيفونها إلى سليمان

---

(١) الفصل ١/١٢١

(٢) الفصل ١/١٨٧

(٣) الفصل ١/١٩٨

— عليه السلام — فهي ثلاثة واحدها يسمى « شارهسير » ثم معناه شعر الأشعار ، والثاني يسمى : «مثلا» معناه الأمثال ، والثالث يسمى : «فوهلث» معناه الجوامع)[1] .

ولم يكتف ابن حزم بالرجوع إلى أسفار التوراة الخمسة بل درس الأسفار الأخرى ، وكتبا وشروحا لليهود لا يسميها ويكتفى بأن يشير إليها - أحيانا - بقوله : « وفى بعضهم كتبهم[2] » كما يشير إلى كتاب « التلمود »[3]

---

(١) الفصل ١/٢٠٧-٢٠٨ (٢) الفصل ١/٢١٧ - ٢١٨ ، ٢١٩

(٣) التلمود : عبارة عن الروايات الشفوية التى تناقلها الحاخامات من جيل إلى جيل . وينقسم التلمود إلى جزئين هامين :

(أ) المشناه ، وهو الأصل (المتن) .

(ب) جمارا ، شرح مشناه .

ومشناه أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم ، بعد التوراة ، جمعها يهوذا هاناسى فيما بين ١٩٠ ، ٢٠٠م أى بعد قرن تقريبا من تدمير « تيطس الرومانى » الهيكل .

أما « جمارا » فاثنان : جمارا أورشلين (فلسطين) وجمارا بابل .

جمارا أورشليم (أو فلسطين) هو سجل للمناقشات التى أجراها حاخامات فلسطين (أو بالأخص علماء مدارس طبرية) لشرح أصول المشناه . ويرجع تاريخ جمعه إلى عام ٤٠٠ م .

وجمارا بابل هو سجل مماثل للمناقشات حول تعاليم المشناة ، دونها علماء اليهود ، وانتهوا من جمعه سنة ٥٠٠م تقريبا .

فمشناه مع شرحه جمارا أورشليم يسمى « تلمود أورشليم » ومشناه مع شرحه جمارا بابل يسمى « تلمود بابل » وكلاهما يطبع على حدة .

بقوله : « وفى كتاب لهم يسمى شعر توما من كتاب التلمود »[1] وهذا الكلام ليس صحيحا ، لأن شعر توما ليس مبحثا من مباحث التلمود ، إذ أن التلمود يتكون من ستة مباحث تسمى « سيداريم » أى « أحكام » وهى كما يلى :

١ – زيرائيم (البذور) ويتضمن اللوائح الزراعية ،

٢ – موئيد (الأيام المقررة)

يحتوى على لوائح الأعياد والصيام .

٣ – نشيم (المرأة) يتضمن قوانين الزواج والطلاق والنذور والناذر

٤ – نتزيكين (الاضرار) يشمل القوانين المدنية والجنائية .

٥ – كوداشيم (الأشياء المقدسة) ، عن قوانين الصلاة .

٦ – توهاروث (الطهارة) عن قوانين الطهارة والنجاسة[2] .

وقد أشار ابن حزم ، أيضا ـ إلى القسم الخاص بالنساء من التلمود بقوله : (وفى كتاب آخر من التلمود يقال له « سادرناشيم » ومعناه تفسير أحكام الحيض »[3].

كما قرأ تاريخا لليهود لرجل منهم يسميه ابن حزم (يوسف بن هارون)[4] ويقول عنه : إنه من كبارهم وأئمتهم »[5] ولعل من أهم عوامل اهتمام ابن

---

(١) الفصل ٢٢١/١

(٢) ظفر الإسلام خان : التلمود (ط الثالثة ـ دار النفائس) .

(٣) الفصل ٢٢١/١

(٤) هو المؤرخ الشهير المعروف بيوسيفوس (٣٧ ـ ٩٥ ميلاديه) .

(٥) الفصل ٩٩/١ .

حزم بدراسة هذه الكتب أن علماء اليهود كثيرا ما كانوا يختلقون ، في مناقشاتهم معه ، نصوصا لا تعرفها توراتهم ولم تثبت لديهم ، قبل أن يطلع على توراتهم ، ولذلك يقول في معرض حديثه عن كذب اليهود ونسبتهم إلى التوراة ماليس فيها : « وكم عرض لنا هذا مع علمائهم في مناظراتنا لهم قبل أن نقف على نصوص التوراة ، فالقوم لامؤنة عليهم من الكذب حتى الآن إذا طمعوا بالتخلص من مجلسهم لا يكون ذلك إلا بالكذب وهذا خلق خسيس ، وعار لا يرضى به مصحح ، ونعوذ بالله من مثل هذا » .

ثم رأى ابن حزم أن معرفته بلغة خصومه ، بجانب اطلاعه على نصوص كتبهم ، يقوى من موقفه وينفي عنه تهمة الجهل بما يوردونه من آراء فدرس اللغة العبرية ، وليس هـــذا فحسب بلى إننا لا نستبعد معرفة ابن حزم بالسريانية واللاتينية[1] معرفة جعلته يقارن بينها جميعاً ويتحدث عن هذه اللغات حديث الخبير بها ، المدرك لأسرارها ، وقد كان ابن حزم « مولعا بتفحص الفروق في اللهجات الدارجة التي يسمعها حيثما حل وارتحل ، فهداه تدقيقه إلى أن السريانية والعبرانية والعربية كانت لغة واحدة »[2] .

فيقول في كتابه الاحكام : « إن الذى وقفنا عليه وعلمناه أن السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر لا لغة حمير ، لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها فحدث جرش (إحتكاك) كالذى يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان ، ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلسي ، ومن الخراساني إذا رام نغمتهما ، ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص

---

(١) ص ١٣ ، ٥٢ ، ٥٤ من التقريب لحد المنطق تشير إلى معرفته اللاتينية

(٢) سعيد الافغاني : نظرات في اللغة عند ابن حزم ٢٥

البلوط وهى على ليلة واحدة من قرطبة كاد يقول إنها لغة أخرى، غير لغة أهل قرطبة ، وهكذا فى كثير من البلاد فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبديلا لا يخفى على من تأمله »[١] وهذا تصوير للتطوير الدائب لحياة اللغة ليل نهار[٢] .

ويستمر ابن حزم فى بيان أن تطور اللهجات ينتهى بقيام لغة جديدة مع الزمن أصلها كان لهجة ، ويسجل لنا تحريفات شاعت فى المتكلمين باللغة العربية من العوام أو من الأجانب المتعربين ، فيلاحظ أن (العـــامة قد بدلت الألفاظ فى اللغة العربية تبديلا ، وهو فى البعد عن أصل الكلمة كلغة أخرى ولا فرق ، فنجدهم يقولون فى (العنب) : (العينب) ، وفى (السوط) : (أسطوط) وفى (ثلاثة دنانير) : (ثلثدا) ، وإذا تعرب البربرى فأراد أن يقول (الشجرة) قال : (السجرة) ، وإذا تعرب الجليقى أبدل من العين والحاء هاء فيقول (مهمدا) إذا أراد أن يقول (محمدا) ، وينتهى من هذه الملاحظ ليقرر أن من تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافهما إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم ، وأنها لغة واحدة فى الأصل ، هذا ولست أدرى دليله فى دعواه التى يختم بها ملاحظته السابقة : « وإذ قد تيقنا ذلك فالسريانية أصل العربية والعبرانية معا »[٣] . لم لم تكن العربية هى أصل السريانية عنده ؟ سؤال لم يتحفنا هو بجوابه[٤] .

---

(١) الأحكام ١/٣١

(٢) الأحكام ١/٣٢ — جليقية : بلدة فى أقصى الشمال الغربى من أسبانيا تقع على المحيط (معجم البلدان) .

(٣) الأحكام ١/٣٢

(٤) سعيد الأفغانى : نظرات فى اللغة عند ابن حزم ٢٧ (ط ثانية دار الفكر - بيروت) .

بعد هذا الاستعداد العلمي والتسلح بشتى ألوان الثقافة التى تمكنه من الدفاع عن عقيدته نراه يقف وجها لوجه أمام أعتى المجادلين من اليهود فى شئون العقائد، مما جعل بعض المؤرخين يقول : « ولهذا الشيخ أبى محمد مع يهود — لعنهم الله — ومع غيرهم من أولى المذاهب المرفوضة من أهل الإسلام مجالس محفوظة ، وأخبار مكتوبة »(١) ولعل ظروف المواجهة بينه وبين اليهود فى الأندلس هى التى دفعت به دفعا إلى مجالس الجدل والمناظرة التى عرفت له والتى كان من ثمرتها هذا الكتاب الذى نقوم بتحقيقه .

ولكن ماهو المنهج الذى كان يلتزم به ابن حزم فى مناظراته ومجادلاته ، والطريقة التى سلكها وهو يقارن بين العقائد اليهودية والعقائد الإسلامية ؟ .

هذا ما سنحاول الإجابة عليه فى المباحث التالية بإذن الله .

ثانيا : منهج ابن حزم فى مناقشة اليهودية :

نلاحظ أن ابن حزم كان له منهج عام فى مناقشة اليهودية يسير عليه ويلتزم به ، ذكره فى كتابه « الفصل » إذ كان يحرص — دائما — قبل أن يناقش خصومه أن يحدد الطريقة التى يرتضيها منهجا للبحث ، وأسلوبا للحوار .

(أ) أول ما يطالعنا فى هذا المنهج أنه كان يبتعد عن النصوص الغامضة المعنى ويلتمس لأصحابها عذرا ، فقد تصيب هدفها على وجه ما

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء ١٢/٢٥١

ـ على حد تعبيره ـ وإنما كان يلجأ للنصوص الواضحة التى وضح فيها الكذب بحيث لا يخفى على أحد ، ولنستمع إليه يقول فى مقدمة نقده للأسفار المقدسة عند اليهود : « نذكر إن شاء الله ـ تعالى ـ مافى الكتب المذكورة من الكذب الذى لا يشك كل ذى مسكة تمييز فى أنه كذب على الله ـ تعالى ـ وعلى الملائكة ، وعلى الأنبياء ـ عليهم السلام ـ إلى أخبار أوردوها لا يخفى الكذب فيها على أحد ، كما لا يخفى ضوء النهار على ذى بصر »(١) .

كذلك كان لا يناقش النص الذى يحتمل تاويلين وتختلف فيه وجهات النظر وإنما كان يرد النصوص التى وضح فيها التناقض بحيث لا تحتمل تأويلين ولا يختلف اثنان على أنها كذب محض وضلال خالص .

يقول ابن حزم : « وليعلم كل من قرأ كتابنا هذا أننا لم نخرج من الكتب المذكورة شيئا يمكن أن يخرج على وجه ما ، وإن دق وبعد ، والاعتراض بمثل هذا لا معنى له ، وكذلك ـ أيضا ـ لم نخرج منها كلاما لا يفهم معناه ، وإن كان ذلك موجودا فيها ، لأن للقائل أن يقول قد أصاب الله به ما أراد ، وإنما أخرجنا ما لا حيلة فيه ولا وجه أصلا إلا الدعاوى الكاذبة التى لا دليل عليها أصلا ، لا محتملا ولا خفيا(٢) .

ولا شك أن هذا المسلك الذى اتبعه ابن حزم يعطيه قوة فى الجدل وصلابة فى موقفه ، مما يجعل خصمه يستسلم أمام سهام نقده . كما أن تجاوز ابن

---

(١) الفصل ١/١١٦

(٢) الفصل ١/١١٧

حزم للنصوص الغامضة أو الآثار التى تختلف فيها الآراء والأفكار يدل على نزاهة وخلق ، وأنه لا يتصيد لخصمه الأخطاء ولا يلتمس له الثغرات لينفذ إليه منها ، وتلك ميزة أخرى من مميزات الجدل عنده . والذى يقرأ كتاب « الفصل » يجد فيه مثل هذه التعبيرات : ولو كان لهذا الخبر وجه وإن غمض ، ومخرج وإن بعد ، أو أمكنت فيه حيلة ، أو ساغ فيه تأويل ما ذكرناه »(١) ويقول ـ أيضا ـ : « وفى توراتهم عند ذكر أولاد «عيصاو» خبال شديد ، وتخليط فى الأسماء والولادات ، إلا أنه ربما خرج على وجوه بعيدة ضعيفة فلم نعتن بإيراده لذلك »(٢) .

ونراه يعقب على قصة ذكرها من التوراة بقوله :

« وذكر فى هذا الفصل قصة أخرى فيها اعتراض إلا أنها تخرج على وجه ما فلذلك لم نفرد لها فصلا . وقد قلنا : إن كل ما يمكن تخريجه بوجه وإن بعد فلسنا نخرجه فى فضائح كتابهم المكذوب »(٣) .

(ب) ومن منهجه فى مجادلة اليهود أنه لا يترك شبهة يمكن أن تثور فى الذهن إلا عرضها وأجاب عليها . . فهو عندما ذكر نصا فى التوراة جاء فيه « إن الله — تعالى — قال لإبراهيم : أنا الله الذى أخرجتك من أتون الكردانيين لأعطيك هذا البلد حوزا فقال له إبراهيم : يارب بماذا أعرف أنى أرث هذا البلد »(٤) .

---

(١) الفصل ١/١٤٤

(٢) نفس الموضع .

(٣) الفصل ١/١٥١

(٤) سفر التكوين ١٥/٧ — ٨ ، ولفظه فى الترجمة العربية الآن : =

ويعلق ابن حزم على هذا النص بقوله : « حاش لله أن يقول إبراهيم — رسول الله وخليله — لربه هذا الكلام ، فهذا كلام من لم يثق بخبر الله — عز وجل — حتى يطلب على ذلك برهانا .. وهنـــا يورد ابن حزم اعتراضا ويجيب عليه حتى يسد الطريق على خصمه ولا يترك مجالا للمماحكة ولا للشبهات فيقول : « فإن قال قائل جاهل فى القرآن إنه — أى إبراهيم : قال : « رب أرنى كيف تحيي الموتى » وأن زكريا قال لله — تعالى — إذ وعده بابن يسمى يحيى : « رب اجعـــل لى آية » ، قلنا : بين المراجعات المذكورة فرق كما بين المشرق والمغرب ، أما طلب إبراهيم - عليه السلام - رؤية إحياء الموتى فإنما طلب ذلك ليطمئن قلبه المنازع له إلى رؤية الكيفية فى ذلك فقط بيان ذلك قوله تعالى : « أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي[1] » فوضح أن إبراهيم لم يطلب برهانا على شك أزاله عن نفسه لكن ليرى الهيئة فقط ، وأما زكريا — عليه السلام — فإنما طلب آية تكون له عند الناس لئلا يكذبوه ، هذا نص كلامه ، والذى ذكروه عن إبراهيم — عليه السلام — كلام شاك يطلب برهانا يعرف به صحة وعد ربه له ، تعالى الله عن ذلك ، وحاش لابراهيم — صلى الله عليه وسلم — منه[2] » .

(ج) يذكر الوقائع الإسلامية التى يوهم ظاهرها تشابها مع موضع نقده فى التوراة ويزيل ما بها من لبس وغموض ، مبينا الفرق بينها وبين نصوص التوراة — كما فعل عند ما تحدث عن رواية التوراة فى نسبتها لعب

= وقال له أنا الرب الذى أخرجتك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها ، فقال أيها الرب ، بماذا أعلم أنى أرثها » .

(١) سورة البقرة : بعض آية ٢٦٠

(٢) الفصل ١/١٢٩ — ١٣٠

المصارعة إلى الله – تعالى – مع يعقوب(١) . . هنا يورد قصة ركانة بن عبد يزيد الذى تصارع مع رسول الله – ﷺ – وينتهى منها إلى أن ركانة كان من القوة بحيث لا يجد أحداً يقاومه فى جزيرة العرب ، ولم يكن رسول الله – ﷺ – موصوفا بالقوة المفرطة ، وقد دعاه إلى الإسلام ، ولكن ركانة قال له : « إن صرعتنى آمنت بك » ورأى أن هذا من المعجزات ، فأمره – عليه السلام – بالتأهب لذلك فصرعه للوقت وأسلم ركانة بعد مدة فبين الأمرين فرق كما بين العقل والحق ، ولكل مقام مقال(٢) . » .

(د) ولا ينسى ابن حزم وهو يتحدث عن الوقائع الواردة فى التوراة أن يذكر حديث القرآن عنها ليبين الفرق بين كلام الله – سبحانه – وكلام غيره من البشر ، وليبرهن على أن هذا الكلام يستحيل أن يصدر عن المولى – عز وجل – كما فعل عند حديثه عن قصة السحرة مع موسى فى التوراة ، واعترافها بأن السحرة قاموا بأعمال من جنس ما يأتى به الأنبياء كقلب العصا حية ، وإعادة الماء دما ، وغير ذلك من الغرائب التى لا يستطيعها إلا رسل الله بتأييد من الله لهم ، فيذكر حديث القرآن عنها ، ويأتى بالنصوص الواردة . . ثم يعلق بقوله : « هذا هو الحق – أى نص القرآن وعرضه للقصة – الذي تشهد به العقول لاما فى الكتاب المبدل المحرف ، فصح أن فعل السحرة حيلة مموهة لا حقيقة لها ، وهذا هو الذى يصححه البرهان ، إذ لا يحيل الطبائع إلا خالقها شهادة لرسله وأنبيائه . وفرقا بين الصدق والكذب(٣) » .

(هـ) وأحيانا يستعين ابن حزم بثقافته الموسوعية وعلمه الفياض بعلوم التاريخ والأنساب – وهو صاحب كتاب جمهرة أنساب العرب –

---

(١) الفصل ١/١٤١

(٢) الفصل ١/١٤٢

(٣) الفصل ١/١٥٥

فى تأييد فكرته ، وتقوية اعتراضه ، ويقوم بإحصاء دقيق ، واستقراء بديع يبهر الألباب فيقول عقب اعتراضه على كثرة أولاد بنى إسرائيل بهذه الصورة التى ذكرتها التوراة :

« وقد علم كل من يميز من الرجال والنساء أن الكثرة الخاصة من الأولاد لم توجد فى العالم لصعوبة الأمر فى تربية أطفال الناس ، ولكون الأسقاط فى الحوامل ، ولإبطاء حمل المرأة بين بطن وبطن ولكثرة الموت فى الأطفال ، فهذه أربع عوارض قواطع دون الكثرة الخارجة فى الأولاد للناس ، ثم كون الإناث فى الولادات أيضا ، ولو طلبنا أن نعد من عاش له عشرون ولداً فصاعداً من الذكور وبلغوا الحلم فما وجدناهم إلا فى الندرة ، ثم فى القليل من الملوك وذوى اليسار المفرط الذين تنطلق أيديهم على الكثير من النساء والإماء ، ثم على الخدام اللواتى هن العون على التربية والكفالة ، وعلى كثرة المال الذى لا يكون المعاش إلا به ، وأما من لا يجد إلا الكفاف وفوقه مما لا يبلغ الإكثار من الوفر ولا يقدر إلا على المرأة والمرأتين ونحو ذلك ، فلا يوجد هذا فيهم البتة بوجه من الوجوه ولا يمكن ذلك أصلا لهم لما ذكرنا آنفا من القواطع والموانع ، وقد شاهدنا الناس وبلغنا أخبار أهل البلاد البعيدة ، وكثر بحثنا عما غاب عنا ، ووصلت إلينا التواريخ الكثيرة المجموعة فى أخبار من سلف من عرب وعجم فى كثير من الأمم ، فما وجدنا فى كل ذلك المعهود من عدد أولاد الذكور فى المكثرين الذين يتحدث بهم عند كثرة الولد إلا من أربعة عشر ذكرا فأقل ، وأما مازاد إلى العشرين فنادر جدا هذه الحال فى جميع بلاد أهل الإسلام ، والذى بلغنا عن ممالك النصارى إلى أرض الروم وممالك الصقالبة والترك والهند والسودان قديما وحديثا ، وأما الثلاثون فأكثر فما بلغنا إلا عن نفر يسير ممن سلف ، منهم : أنس بن مالك ، وخليفة بن أبى السعدى وأبو بكرة .. » (١)

---

(١) الفصل ١/١٧٤

ويستمر ابن حزم فى استقصاء المكثرين من الأولاد فى العرب والعجم واليهود ولا شك أن علمه بالتاريخ كان يمده بالإحصاءات التى تؤيد فكرته والحق أن هذا التتبع الدقيق ، والاستقصاء النادر فى الشرق والغرب . فى العرب والعجم ، فى المسلمين وغيرهم ، يشهد لصاحبنا بقوة حافظته. واتساع ثقافته ، وتتبعه للنوادر والعجائب فى كل عصر ومصر ، فى دقة متناهية ، وتنساق عجيب ، وانظر كيف بدأ بالعرب الذين تجاوزت ذريتهم الثلاثين فيذكر منهم : أنس بن مالك ، وجعفر بن سليمان ، وعمر بن عبد الملك . . ولا يكتفى بالعرب بل يذكر من ملوك البربر من كان يركب معه مائتا فارس من ولده .وولده وولده كما يذكر من اليهود رئيسا لهم يسمى « جدعون » كان له سبعون ولدا ذكورا .. ثم يقول عن الفرس :

« وتزعم الفرس، أن « جودرز » الملك على كرمان كان له تسعون ابنا ذكورا بالغين »(١)

وبعد هذه الاحصاءات يصل ابن حزم إلى النتيجة التى يريد أن يصل إليها وهى كذب التوراة وتحريفها وأنها ليست من عند الله ـ سبحانه ـ وإنما هى من وضع البشر .

يقول ابن حزم : « فإذا كانت هذه الصفة لم نجدها منذ نحو ثلاثة آلاف عام إلا فى أقل من عشرين إنسانا فى مشارق الأرض ومغاربها فى الأمم السالفة والخالفة ، ممن علت حاله وامتد عمره وكثرت أمواله وعياله فكيف يتأتى من هذا العدد مالم يسمع بمثله قط فى الدهر لافى نادر ولافى شاذ لبنى إسرائيل كافة بمصر ؟ ! وحالهم فيها معروفة مشهورة لا يقدر أحد على إنكارها ، وهى أنهم كانوا فى حياة يوسف ـ عليه السلام ـ فى كفاف من العيش ، أصحاب غنم فقط ، ولم يكونوا فى يسار فائض ، ثم كانوا بعد

---

(١) الفصل ١ / ١٧٥ (٢) الموضع السابق

موت يوسف — عليه السلام ـ وأخوته فى فاقة عظيمة ، وعذاب واصب وسخرة متصلة ، وذل راتب ، وبلاء دائب ، وتعب زاهق ، يكاد يقطع عن الشبع فكيف عن الاتساع فى العيال،والأشر فى الاستكثار من الولد؟ فهذه كذبة عظيمة مطبقة فاضحة(١)

ثالثاً : منهج ابن حزم فى نقد التوراة وإثبات الوضع والتحريف :

أهتم ابن حزم بنقد التوراة اهتماما كبيرا ،، وذلك يرجع إلى أمرين :

الأول : أن جمهور اليهود يرون أن التوراة التى بأيديهم منزلة من عند الله ـ عز وجل على موسى ـ عليه السلام ـ فاحتاج إلى بيان الحق فى هذه الدعوى (٢)

الثانى : أن هناك تلازما بين ديانة كل قوم وكتابهم المقدس،وإذا ثبت بطلان الكتاب وتحريفه لزم من ذلك فساد العقيدة التى تقوم عليه ، ومن ثم نجد حديث ابن حزم عن تحريف التوراة وزيفها يتناول جزءا كبيرا من كتابه « الفصل » مستخدما فى ذلك أنماطاً مختلفة من الأدلة والبراهين

ولقد اعتمد « أبو محمد » فى إثبات تحريف التوراة على نظرتين أساسيتين : —

أولا : النظرة إلى النصوص ذاتها

ثانيا : النظرة إلى عوامل تاريخية

ونعنى بالنظرة الأولى . الكذب والتناقض ومغايرة الواقع الذى كشف

---

(١) الموضع السابق (٢) الفصل ٢ / ٢

عنه ابن حزم من داخل التوراة نفسها وأماط عنه اللثام ليكون برهانا لكل ذى عينين على أنه لا يمكن أن يكون من عند الله — عز وجل — وبذلك استطاع أن يجعل التوراة نفسها تحمل بين جنبيها دليل هدمها وبرهان بطلانها .

وهذه الأدلة التى أوردها ابن حزم فى كتابه . . والتى سنذكر هنا نماذج منها رفعت من شأن هذا الكتاب وسمت بصاحبه عند كثير من علماء الشرق والغرب - على اختلاف دياناتهم - إلى مستوى الريادة لمدرسة (النقد التاريخى للتوراة) يقول الدكتور « فيليب حتى » عن كتاب « الفصل » :

« أما أنفس كتب ابن حزم الباقية إلى الآن وأفيدها فهو كتاب « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » الذى يؤهل مؤلفه لاحتلال مركز الأولية بين العلماء الذين عنوا بدراسة الأديان على سبيل النقد والمعارضة ، وفى هذا الكتاب لفت ابن حزم الأنظار إلى بعض مشاكل فى قصص التوراة ، لم يتنبه لها فكر أحد من العلماء وحتى ظهور مدرسة نقد التوراة العلمى فى القرن السادس عشر (١)

ولقد أورد ابن حزم - فى بيان بطلان التوراة وأنها ليست من عند الله « سبعة وخمسين فصلا من جملتها فصول يجمع الفصل الواحد منها سبع كذبات أو متناقضات ، سوى ثمانية عشر فصلا يتكاذب فيها نص توراة اليهود مع نص تلك الأخبار بأعيانها عند النصارى(٢)

ومن أبرز الأمثلة التى ذكرها ابن حزم ليثبت بها تحريف التوراة مايلى :

---

(١) العرب تاريخ موجز .

(٢) الفصل ١ / ١٩٦

أولا : حديثها عن الله - سبحانه - حديثا لا يليق بجلاله، ووصفه بصفات يتنزه عنها رب العباد :

(أ) من ذلك ماورد فيها من تشبيه وتجسيم : كقول التوراة : « إن الله - عز وجل - قال لبني إسرائيل: لقد رأيتموني كلمكم من السماء فلا تتخذوا معي آلهة الفضة (١)

ثم قال بعد ذلك : « ثم صعد موسى وهارون - عليهما السلام - وناداب وأبيهو وسبعون رجلا من المشايخ ونظروا إلى إله إسرائيل ، وتحت رجليه كابنة من زمرد فيروزي ، وكسماء صافية ولم يمد الرب يده إلى خيار بني اسرائيل الذين نظروا إلى الله و أكلوا وشربوا ، وقال بقربة من ذلك وكان منظر عظمة السيد كنار آكلة في قرن الجبل . يراه جماعة من بني إسرائيل (٢)

(ب) ورود نصوص تفيد تعدد الآلهة ، وتنافي ماثبت لله من وحدانية

مثال ذلك : (وقال الله هذا آدم صار كواحد منا في معرفة الخير والشر » (٣)

---

(١) الفصل ١ / ١٦٠ - ١٦١

(٢) الموضع السابق ، وراجع سفر الخروج ٢٤ : ٩ - ١١

(٣) الفصل ١ / ١٢٠ وراجع سفر التكوين ٣ : ٢٢ .

(ج) نسبتها النبوة والمصاهرة لله تعالى :

كقولهم فيها : (فلما ابتدأ الناس يكثرون على ظهر الأرض وولد لهم البنات ، فلما رأى أولاد الله بنات آدم أنهن حسان اتخذوا منهن نساء)(١)

(د) نسبتها الكذب لله ـ تعالى ـ بإخباره عن أمر يغاير الواقع :

مثال ذلك قولهم فى التوراة : (كل من قتل قابيل نفاديه إلى سبعة) وهذا لم يحدث .. ومعاذ الله أن يخلف وعده(٢)

(هـ) ذكر التوراة أن الله كان يهم بالشىء فيبدو له غيره فيتركه ، وهو مايسمى بالبداء ، ولا شك أن هذه صفة المخلوقين ، وليست صفة الله الذى لا يخفى عليه شىء من خلقه .

وذلك كما ورد فى سفر الخروج أن الله قال لموسى : دعنى أغضب عليهم وأهلكهم وأن موسى رغب إليه ، وقال له تذكر إبراهيم ، وإسرائيل ، وإسحاق ، فحن السيد ولم يتم ما أراد إنزاله من المكروه بأمته »(٣)

(و) ماورد فى التوراة من أن يعقوب ـــ عليه السلام ـــ صارع الله ـــ عز وجل ـــ ـــ وأن الله ـــ تعالى عجز عن أن يصرع يعقوب فقال له (كنت قويا على الله فكيف على الناس) ولذلك سمى إسرائيل

---

(١) الفصل ١ / ١٢١ وراجع سفر التكوين ٦ : ١ - ٢

(٢) الفصل ١ / ١٢١ وراجع سفر التكوين ٤ : ٢٤

(٣) الفصل ١ / ١٦٣ وراجع سفر الخروج ٣٢ : ١٠ - ١٤

وهذه الحادثة واضحة الوضع ، لاتحتاج إلى كبير استدلال لنثبت كذبها(١)

ثانياً : وصف توارتهم لأنبياء الله وملائكته بصفات تستحيل شرعا وعقلا وعادة :

من ذلك :

(أ) سجود ابراهيم — عليه السلام — للملائكة التى جاءته بالبشرى وخطابه لهم بالعبودية . وإخبارها عن الملائكة أنهم أكلوا من الخبز والشواء الذى قدمه لهم نبى الله إبراهيم — كما ورد فى سفر التكوين — وهنا نجد ابن حزم يقارن بين نقل التوراة ونقل القرآن لهذه القصة فيقول : «أين هذا الكذب البارد الفاضح الذى يشبه عقول اليهود المصدقين به . من الحق المنير الواضح عليه ضياء اليقين فى قول الله — عز وجل — فى هذه القصة نفسها . . « ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام . فما لبث أن جاء بعجل حنيذه . . . الآيات(٢) »

(ب) نسبة أعمال الشرك والكفر إلى الأنبياء — عليهم السلام — كما جاء فى التوراة أن هارون — عليه السلام — عمل لقومه إلها يعبدونه من دون الله ، وبنى للعجل مذبحا ، ولا شك أن رسل الله معصومون من هذه الأعمال مبرأون من هذه النقائص التى لاتليق بهم . ولا تتفق مع رسالتهم بل فى نسبة هذه الأعمال إليهم استخفاف ونقص لأقدارهم ومايجب لهم(٣)

---

(١) الفصل ١ / ١٣١ وراجع — أيضا — سفر التكوين ١٨ : ١ — ٨

(٢) الفصل ١ / ١٦١

(ج) إطلاق التوراة على نبي الله يعقوب أنه خدع أباه وغشه وأنه كذب على أبيه اسحاق وقال له أنا ابنك « عيصاو » وهذا مبعد عمن فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والأعداء ، فكيف من نبي مع أبيه وهو نبي أيضاً ..(١) ؟

(د) نسبة الزنا والفاحشة لأنبياء الله — عليهم السلام .

كما جاء فى التوراة أن لوطا — عليه السلام — زنى بابنتيه بعد أن شرب الخمر وسكر ، وحملت ابنتا لوط من أبيهما ، وولدت الكبرى ابنا وسمته مواب وهو أبو المؤابيين ، وولدت الصغرى أبنا سمته ابن عمى ، وهو أبو العمونيين إلى اليوم (٢) . كما جاء فى التوراة - أيضاً - أن رأوبين ضاجع سريه أبيه ، وأن يعقوب قال لابنه فى آخر حياته : (إنك صعدت على سرير ابيك وسخت فراشه) وتروى عن شكيم بن حمور أنه أخذ دينه بنت يعقوب - عليه السلام - واضطجع معها وأذلها (٣) .

ويقول ابن حزم تعقيبا على ذلك : « معاذ الله أن يخذل الله نبيه ولا يعصمه فى حرمة امرأته وابنته من هذه الفضائح » (٤) .

(هـ) التوراه تجعل نسب سليمان بن داود — عليه السلام — يرجع إلى فارص بن يهوذا الذى أتى من المرأة التى زنى بها يهوذا ... فجعلت توارتهم الرسولين الفاضلين مولودين من تلك الولادة الخبيثة راجعين إلى ولادة الزنا (٤) .

---

(١) الفصل ١ / ١٣٧ (٢) الفصل ١ / ١٢٣
(٣) الفصل ١ / ١٤٣ (٤) الفصل ١ / ١٤٧

ثالثاً : مخالفة ماورد فى التوراة للحقائق العلمية المقررة ، وتكذيبها للواقع المشهور :

(ا) وذلك كحديثها عن الأنهار ومصابها ، والذهب وأماكن وجوده ومخالفة ذلك لما هو معروف وثابت (١) .

(ب) خطأ التوراة من ناحية العدد والحساب . وقد أورد ابن حزم كثيراً من النصوص التى تعارضت فيها الأرقام ، ويعلق عليها بقوله : « معاذ الله أن يكذب موسى - عليه السلام - أو يخطىء فيما أوحى الله تعالى إليه ، فوضح يقيناً لكل من له أدنى فهم وضوحاً يقيناً ، كما أن أمس قبل اليوم ، أنها ليست من عند الله تعالى ولا من أخبار نبى ولا من تأليف عالم يتقى الكذب ، ولا من عمل من يحسن الحساب ولا يخطىء فيما يخطىء فيه صبى يحسن الجمع والطرح والقسمة ولكنها بلا شك من عمل كافر مستخف ماجن . . . » (٢)

رابعاً : حديث التوراة عن وفاة موسى - عليه السلام - وأنه مات فى أرض مؤاب ، وكان سنه مائة وعشرين سنة ، وأن الذى خلفه يوشع بن نون .. إلى آخر ماذكرت فى هذا الأمر (٣) .

وابن حزم يستمد من ذلك دليلا قاطعاً ، وحجة دامغة على أن توراتهم تاريخ مؤلف ، وأنها غير منزلة من عند الله : بل إن هذا النص ليفيد أنها

---

(١) راجع الفصل ١/١١٨ ، وراجع أيضاً — سفر التكوين ٢:٢٠ - ١٤ .

(٢) الفصل ١/١٢٨ .

(٣) راجع سفر التثنية ٤٣:٥ - ١٢ .

ألفت بعد وفاته بدهر طويل إذ العقل لايجيز أن يكون هذا الفصل نزل على موسى فى حياته (١) .

وعندى أى هذا الفصل الذى ختم به ابن حزم مناقشته لنصوص التوراة وبيان كذبها وتناقضها من أدق وأقوى الأدلة فى إثبات وضع التوراة وتبديلها وأنها ليست من عند الله العزيز الحكيم .

وحقيق بمن يحترم عقله ، ويقرأ هذا الفصل وغيره من توراة اليهود أن يهتدى إلى الحق . ويؤمن برسالة الإسلام التى ختم الله بها الشرائع ، ونسخ بها ماسبق من أحكام وشرائع .

ثانياً : النظرة إلى عوامل تاريخية :

ونقصد بها الظروف التى مرت بها التوراة منذ أن توفى موسى ـ عليه السلام ـ إلى أن كتبها لهم : « عزرا الوراق » باجماع من كتبهم ، واتفاق من علمائهم .

وقد أورد ابن حزم فى كتابه « الفصل » أولئك الذين تولوا أمر بنى إسرائيل منذ دخلوا الأرض المقدسة إثر موت موسى ـ عليه السلام ـ إلى ولاية أول ملك عليهم ، وهو « شاول » مبينا أن بنى إسرائيل خلال تلك الفترة ارتدوا « سبع ردات » !! فارقوا فيها الإيمان ، وجاهروا بالكفر وعبادة الأوثان ، مما يكشف عن فساد طبيعتهم من جانب ، ويفسر كثرة أنبيائهم من جانب آخر .

ويحدد ابن حزم — بكل دقة — أن الردة الأولى بقوا فيها ثمانية

---

(١) راجع الفصل ١/١٨٥-١٨٦ .

أعوام ، والثانية ثمانية عشر عاماً ، والثالثة عشرين عاماً ، والرابعة سبعة أعوام . والخامسة ثلاثة أعوام ، والسادسة ثمانية عشر عاما ، والسابعة أربعين عاماً !!

ثم يتساءل — بحق — : أى كتاب يبقى مع تمادى الكفر ورفض الإيمان هذه المدد الطوال ، فى بلد صغير مقدار ثلاثة أيام فى مثلها فقط ليس على دينهم وأتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم ؟!.

ولم تكن حال التوراة فى عهد ملوك بنى سليمان ، وملوك الأسباط العشرة بأفضل من ذى قبل .

لقد فشا فيهم الكفر ، وانتشر بين ملوكهم ، منهم « رحبعام بن سليمان الذى ولى سبعة عشر عاما فأعلن الكفر طول ولايته وعبد الأوثان جهارا هو وجميع رعيته وجنده . وعندما ولى ابنه لم يكن أحسن حالا من أبيه إذ بقى على الكفر وعبادة الأوثان علانية ست سنين هى مدة ولايته .

ومن هؤلاء الملوك امرأة تدعى « عثليا بنت عمرى » عندما تولت الحكم تمادت — مثل ولدها — فى الكفر وعبادة الأوثان ، وقتلت الأطفال ، وأمرت باعلان الزنا فى البيت المقدس وجميع البلاد ، وأمرت أن لا تمتنع امرأة ممن أراد الزنا معها ، كما عهدت أن لا ينكر ذلك أحد !! ولم يكتف أكثر ملوك بنى سليمان بعبادة الأوثان بل قتلوا أنبياء الله ورسله ، كما فعل « يوآش بن أخزيا » الذى قتل زكريا النبى — عليه السلام — بالحجارة ، واستمرت ولايته على الكفر وعبادة الاوثان أربعين سنة . كما قتل — أيضاً — عاموص النبى الداودى فى عهد عزيا بن أمصيا .

وفى عهد منسى بن حزقيا قتل « أشعيا » النبى ، قيل نشره بالمنشار من رأسه إلى مخرجه ، وقيل قتله بالحجارة وأحرقه بالنار .

وقد استمر على ضلاله وكفره خمسا وخمسين سنة . وهنا يسأل ابن حزم : يامعشر السامعين بلد تعلن فيه عبادة الأوثان وتبنى هيا كلها ، ويقتل من وجد فيه من الأنبياء ، كيف يجوز أن يبقى فيه كتاب الله سالما أم كيف يمكن هذا ؟

ومما يؤكد تحريف التوراة عند ابن حزم ، إقرار اليهود بأن « يهو آحاز بن يوشيا » الملك الداوودى المالك لجميع بنى إسرائيل بعد انقطاع ملوك سائر الأسباط ، قطع من التوراة أسماء الله ـ تعالى ـ وألحق فيها أسماء الأوثان وهم مقرون — أيضاً — أن أخاه الوالى بعده وهو « الياقيم بن يوشيا » أحرق التوراة بالجملة وقطع أثرها ، واستمر أكثر هؤلاء الملوك فى أعلان الكفر ، وعصيان الله ، وقتل رسله حتى أغار عليهم بخت نصر (٥٨٦ ق . م) فهدم البيت ، واستأصل جميع بنى اسرائيل وأخلى البلد منهم ، وحملهم مسبيين إلى بلاد بابل .

أما ملوك الاسباط العشرة ، فهم كما يقول صاحب الفصل — لم يكن فيهم مؤمن قط ولا واحد فما فوقه !! بل كانوا كلهم معلنين بعبادة الأوثان مخيفين للأنبياء ، مانعين القصد إلى بيت المقدس ، لم يكن فيهم نبى ـ قط ـ إلا مقتولا أو هاربا مخافا .

ويورد ابن حزم أسماء هؤلاء الملوك ، ملكا ، ملكا ، مبينا حالهم من الكفر وعبادة الأوثان ، وعصيان الله ورسله ، وكيف أن التوراة طوال هذه المدة لم يكن لها عندهم ذكر ولا رسم ولا أثر ، ولا كان عندهم شيء من شرائعها أصلا . إنما كانت فقط فى التابوت عند الكوهن الأكبر وحده ، وبقوا على ذلك نحو ألف ومائتى عام لا يصل إلى ذلك الموضع أحد سواه ، وما كان هكذا لا يتداوله إلا واحد فمضمون عليه التبديل والتغيير والتحريف ، والزيادة والنقصان . كما أنهم مقرون بأن « عزرا » الذى كتبها لهم من حفظه بعد انقطاع أثرها ، إنما كان وراقاً ولم يكن نبياً إلا أن طائفة منهم قالت فيه إنه ابن الله . وقد بادت هذه الطائفة وانقطعت فأى داخلة أعظم من هذه الدواخل التى دخلت توراتهم .

اليهــــودية

باب الكلام على اليهود(١) وعلى من أنكر التثليث من النصارى وعلى مذهب الصابئين(٢) وعلى من أقر بنبوة زرادشت(٣) من المجوس وأنكر سواه من الأنبياء عليهم السلام

قال أبو محمد: إن أهل هذه الملة يعني اليهود، وأهل هذه النحلة يعني من أنكر التثليث من النصارى موافقون لنا في الإقرار بالتوحيد ثم بالنبوة وبآيات الأنبياء — عليهم السلام — وبنزول الكتب من عند الله — عز وجل إلا أنهم فارقونا في بعض الأنبياء — عليهم السلام — دون

---

(١) قيل سموا بذلك حين تابوا عن عبادة العجل وقالوا: إنا هدنا إليك أي تبنا ورجعنا.

قال صاحب لسان العرب: الهود التوبة، هاد يهود هودا: تاب ورجع إلى الحق فهو هائد، وفي التنزيل العزيز (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك) أي تبنا ورجعنا إليك ويهود اسم للقبيلة.

وقالوا (اليهود) فأدخلوا الألف واللام فيها على إرادة النسب يريدون اليهوديين، وهود الرجل: حوله إلى اليهودية وهاد ويهود إذا صار يهودياً».

— وقيل إنهم سموا بذلك لأنهم يتهودون، أي يتحركون عند قراءة التوراة.

— وقيل انهم سموا يهودا نسبة إلى (يهوذا) الابن الرابع ليعقوب — عليه السلام — (راجع بنى إسرائيل فى القرآن والسنة ١/٧ — ٨).

(٢) راجع ما كتبناه عن مذهب الصابئة ص ٣٠٧ من القسم الأول.

(٣) راجع ترجمته ص

بعض ، وكذلك وافقنا الصابئة والمجوس على الإقرار ببعض الأنبياء دون بعض .

فأما اليهود فإنهم افترقوا على خمس(١) فرق وهي :

السامرية : وهم يقولون إن مدينة القدس هي « نابلس(٢) » وهي من بيت المقدس على ثمانية عشر ميلا ، ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولا يعظمونه ولهم توراة(٣) غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود ،

---

(١) هذه أشهر فرق اليهود ، وهناك فرق أخرى كثيرة منها :
(القناءون ، الأسيين (الأسينين) .

الأبيونيين ، الغنوصية (الصائبة) اليودجانيه ، المارانوس ، الدونمة ، الفلاشة ، بنو إسرائيل ، (راجع الفكر الديني للدكتور حسن ظاظا ٢٤٧—٣٢٢) .

(٢) نابلس : هي التي كانت تسمى « شكيم » وهي مدينة تبعد (٣١٫٥) ميلا شمال أورشليم ، وليس فيها الآن سوى قلائل من السامريين ولهم كنيس يعبدون فيه أيام السبت ومدرسة لتعليم اللغة السامرية (قاموس الكتاب المقدس ص ٥١٥) .

(٣) توراة السامرية : التي يتعبدون بها تتألف من ستة أسفار فقط (توراة موسى ويضاف إليها أحيانا سفر يوشع بن نون) وهم لا يستعملون النسخة الموجودة من ذلك عند باقي اليهود بل لهم نسخة برواية خاصة تختلف اختلافا محسوسا عن التوراة الشائعة (الفكر الديني ص ٢٤٩) .

ويبطلون كل نبوة كانت فى بنى إسرائيل بعد موسى ويوشع[١] — عليهما السلام — فيكذبون بنبوة شمويل[٢] ودأود[٣] وسليمان[٤] واشعيا[٥]

---

(١) هو يوشع بن نون فتى موسى وخليفته، وهو الذى قاد جيش بنى إسرائيل فى دخوله بلاد كنعان، وكان يوشع أحد الرجلين اللذين حرضا بنى إسرائيل على طاعة نبيهم موسى فى دخول الأرض المقدسة.

(راجع الأسفار المقدسة ص ١٤، الفكر الدينى ص ٣٦، بنو إسرائيل ٣٥).

(٢) صموئيل: أحد أنبياء بنى إسرائيل وآخر قضاتهم، وهو الذى عين لهم أول ملوكهم، وقد وردت قصته فى سورة البقرة فى الآيات من ٢٤٦ — ٢٤٨). (الأسفار المقدسة ص ١٤).

(٣) هو داود بن يسى ثانى ملوك بنى إسرائيل ولد ببيت لحم حوالى سنة ١٠٨٥ ق م، وتوفى بأورشليم سنة ١٠١٥ ق. م (بنو إسرائيل ٤٧).

(٤) سليمان اسم عبرى معناه «رجل سلام» وهو ابن الملك داود الذى خلفه على عرش بنى إسرائيل فكان أعظم ملك، وقد ملك أربعين سنة (قاموس الكتاب المقدس ص ٤٨١).

(٥) إشعيا: أحد أنبياء بنى إسرائيل تنبأ فى المدة ما بين سنة ٧٦٥ إلى سنة ٧٠٠ ق م أى مدة ٦٥ سنة تقريبا. وكان اسم أبيه «آموص» وقد قتل نشراً فى أيام منسى الملك بأمر منه فى أيام شره، وفى العهد القديم سفر يسمى باسمه. (راجع مفاتيح كنوز الأسفار ١/٢٢٥).

واليسع(١) والياس وعاموص(٢) وحبقوق(٣) وزكريا(٤) وأرميا وغيرهم(٥)

---

(١) هو من نسل إبراهيم — عليه السلام — الذين هداهم الله وشرفهم بالنبوة . وورد ذكره فى القرآن الكريم فى الآية ٨٤ من سورة الأنعام ، ويطلق عليه فى التوراة أليشع — اسم عبرانى — وكان أليشع ابن شافاط ومن سبط « يساكر » .

(راجع قاموس الكتاب المقدس ص١١١) .

(٢) هو أحد الأنبياء الصغار ، ومن قرية « تقوع » الواقعة فى جنوب أورشليم كان من سبط يهوذا وعاش فى أيام عزيا ملك يهوذا ويربعام الثانى ابن يوآش ملك إسرائيل ، ويؤرخ العلماء قيامه بالنبوة ٧٦٠ ق .م (مفاتيح كنوز الأسفار ٢٨٧/١ ، المرشد إلى الكتاب المقدس) .

(٣) حبقوق : اسم عبرى معناه « يعانق » أو ربما اسم نبات حديقة ، ظهر فى نحو سنة ٦١٠ ق. م أى فى عصر أورميا النبي وذلك فى ابتداء ملك يهويا قيم .

(راجع المرشد إلى كتاب المقدس ص١٦٦) .

(٤) زكريا : هو ابن برخيا بن عدو ، كان هذا النبي معاصراً لحجى وشريكا له فى النبوة ، ويرجع تاريخ نبوته إلى عام ٥٢٠ ق . م ، وهو غير زكريا الذى ورد ذكره فى القرآن ثمان مرات .

(راجع قصص الأنبياء للنجار ص٣٦٨ ، المرشد إلى الكتاب المقدس ص١٦٦) .

(٥) أرميا : تنبأ باليهودية نحو ٤٠ سنة من سنة ٦٢٦ ق . م إلى سنة ٥٨٦ ق. م ، ثم تنبأ مدة وجيزة فى أرض مصر) .

ولا يقرون (١) بالبعث البتة وهم بالشام لا يستحلون الخروج عنها .

والصدوقية (٢) : نسبوا إلى رجل يقال له « صدوق » وهم يقولون من بين سائر اليهود أن أن العزيز هو ابن الله — تعالى عن ذلك — وكانوا بجهة اليمن .

والعنانية (٣) : وهم أصحاب عانان الداودى ،

= (راجع المرشد إلى الكتاب المقدس ص ١٣٢) .

(١) هذا خطأ ، فالسامريون — كاليهود الربانيين — يؤمنون بيوم القيامة ويسمونه يوم البعث ، أو يوم الموقف العظيم . ولقد أحسن الشهرستانى عندما قال عنهم : وهم يقرون بالآخرة والثواب والعقاب فيها .

(راجع الملل والنحل للشهرستانى ١/١٩٩ والفكر الدينى ص ٢٥٢ :

(٢) الصدوقية : طائفة تنكر أكثر تعاليم الكتاب المقدس ، قامت نحو سنة ٢٨٠ ق . م ، كما أنها لا تؤمن بالبعث ولا باليوم الآخر (راجع الأصحاح الثانى والعشرين من انجيل متى) وتمتاز هذه الفرقة بحرصها على إقامة علاقات ودية مع الشعوب الأخرى ، والغالبية الساحقة من اليهود ينفرون من تعاليمها ويناجزونها العداء .

(الأسفار المقدسة ص ٥٦ - المرشد إلى الكتاب المقدس ص ١٩٧)

(٣) العنانية : ويقال لها أيضا (القرائين) أنشأها عنان بن داود أحد علماء اليهود فى بغداد فى أواخر القرن الثامن بعد الميلاد فى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور (كانت خلافته من سنة ٧٥٤ إلى سنة ٧٧٥ بعد الميلاد) أى بعد نشأة الديانة اليهودية بنحو عشرين قرنا ، وكان مذهبه يقوم على التمسك بما جاء فى العهد القديم وحده وعدم الاعتراف بأحكام التلمود =

وتسميهم(١) اليهود « القرائين » وقولهم أنهم لا يتعدون شرائع التوراة وماجاء فى كتب الأنبياء — عليهم السلام — ويتبرءون من قول الأحبار ويكذبونهم ، وصلاتهم وصيامهم وأعيادهم وشرائعهم مخالفة لصلوات سائر اليهود وصيامهم وأعيادهم ، وهذه الفرقة بالعراق ومصر والشام وهم من الأندلس بطليطلة(٢) وطلبيرة(٣) .

= وتعاليم الربانية والحاخامات وأدخل على كثير من تشريعاتهم تعديلات استمدها هو من اجتهاده الخاص ، مخالفاً بذلك نصوصـــا صريحة فى التوراة (راجع الأسفار المقدسة ٦١ — ٦٢ ، اليهودية للدكتور شلبى ص ٢٢٧) .

(١) يطلق عامة اليهود على هذه الفرقة « مينيم » أى الزنادقة أو الكفرة وكذلك « أبيقوريم » أو « أبيقورسيم » أى الأبيقوريين ، نسبة إلى هذه المدرسة الفلسفية اليونانية التى شاع عنها عند عوام اليهود الميل إلى الإنحلال واللاأخلاقية) .

(الفكر الدينى ص ٣٠٠) .

(٢) طليطلة : مدينة تتوسط بلاد الأندلس ، تقع على ضفة النهر الكبير وقل مايرى مثلها اتقانا وشماخة بنيان ، ولها قنطرة من عجائب الدنيا ، وكان أخذ النصارى طليطلة فى منتصف محرم سنة ٤٧٨ ﻫ

(راجع صفة جزيرة الأندلس لأبى عبد الله الحميرى ص ١٣٠) .

(٣) مدينة بالأندلس تقع على نهر تاجه ، بينها وبين طليطلة سبعون ميلا .

(راجع صفة جزيرة الأندلس ص ١٢٧) .

والربانية(١): وهم الأشمعنية(٢)، وهم المتبعون لأقوال الأحبار ومذاهبهم وهم جمهور اليهود .

والعيسوية (٣): وهم أصحاب أبي عيسى الأصفهاني رجل من اليهود كان

---

(١) الربانية : ويطلق عليهم الفريسيين وأطلق عليهم لقب الربانيين لأنهم يؤمنون بما جاء في أسفار التلمود التي ألفها الربانيون وهم أحبار هذه الفرقة وهم أكثر فرق اليهود عددا في الماضي والحاضر ويعترفون بجميع أسفار العهد القديم والأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى وأسفار التلمود كما أنهم يعتقدون في البعث والحساب ولكن بطريقة تغاير المفهوم الإسلامي لأنهم يؤمنون أن البعث سيحصل في الحياة الدنيا !! وتذكر الأناجيل أن أتباع هذه الفرقة كانوا من ألد أعداء المسيح، وأنه عليه السلام — كشف عن كفرهم ونفاقهم وتحريفهم لتوراتهم وابتداعهم أحكاماً ما أنزل الله بها من سلطان ويرى المؤرخ اليهودي (يوسيفوس) أنها تكونت في عهد يوناثان الذي كان صديقاً حميا لداود — عليه السلام — (الأسفار المقدسة ص ٥٥ — اليهودية للدكتور شلبي ص ٢٢ المرشد ص ١٩٧) .

(٢) الأشمعنية : أو الشمعونية ، نسبة إلى شمعون بن يعقوب وقد قال الدكتور مصطفى زيد : لعله صاحب فرقة من الفرق الصغيرة التي لم تشتهر .

(راجع النسخ للدكتور مصطفى زيد ص ٢٧) .

(٣) العيسوية : أتباع أبو عيسى (عوبديا) يهودي من أصفهان ظهر في عهد الخليفة الأموي عبد الملك ابن مروان (٦٨٥ - ٧٠٥ ميلاديه) فادعى النبوة ، ورفض الإعتراف بالتلمود، وأدخل تعديلات كثيرة على الأحكام اليهودية المستمدة من التوراة نفسها ، فألغى الطلاق ، وحرم أكل اللحوم وشرب الخمور ، وحاول هو وأنصاره استخدام القوة في فرض آرائهم على

باصفهان، وبلغنى أن اسمه كان محمد بن عيسى ، وهم يقرون بنبوة عيسى ابن مريم ومحمد — ﷺ — ويقولون إن عيسى — عليه السلام بعثه الله تعالى إلى بنى إسرائيل على ماجاء فى الإنجيل ، وأنه أحد الأنبياء فى بنى إسرائيل ويقولون: إن محمدا — ﷺ — نبى أرسله الله تعالى بشرائع القرآن إلى بنى إسماعيل . عليه السلام — وإلى سائر العرب ، كما كان أيوب (١) — عليه السلام — نبيا فى بنى عيص ، وكما كان بلعام (٢) نبيا فى بنى موآب(٣) باقرار من جميع فرق اليهود .

= طوائف اليهود ، فأخفقوا فى محاولاتهم ومنوا بعدة هزائم منكرة .

(راجع الأسفار المقدسه ص ٦٣ - الفكر الدينى ص ٢٩٢).

(١) هو نبى الله « أيوب » ورد ذكره فى القرآن الكريم أربع مرات ، كما جاء ذكره فى كتب أهل الكتاب، وله سفر خاص به من الأسفار القانونية فى العهد القديم ، وقد عاش فى أرض عوص التى سميت غالبا باسم عوص بن ناحور أخى إبراهيم عليه السلام (تلك ٢٢: ٢١) ويظن أنها جزء من جبل سعير أو بلاد أدوم . قيل إنه كان قبل موسى ، وقيل قبل إبراهيم بأكثر من مائة سنة — وهو أرجح — وقصته مفصله فى السفر المنسوب إليه فليطلبها من شاء .

(قصص الأنبياء ص ٣٤٩ - مفاتيح كنوز الاسفار ١٧٧).

(٢) بلعام : اسم عبرى ، وهو ابن بعور من فتور وهى قرية فيما بين النهرين ، وكان نبيا مشهوراً فى جيله .

(قاموس الكتاب ص ١٨٩) .

(٣) بنى موآب : هم نسل (مواب) بكر ابنة لوط من أبيها كما تزعم التوراة (تكوين ١٩ : ٣٧) .

قال أبو محمد : ولقد لقيت من خواص اليهود كثيرا ينتمون إلى هذا المذهب ، وقرأت فى تاريخ لهم جمعه رجل هارونى كان قديما فيهم ومن أئمتهم وكبارهم ، وممن عصبت (١) به ثلث بلاده وثلث حروبهم وثلث جيوشهم أيام حرب طيطوس (٢) وخراب البيت وكان له فى تلك الحروب آثار عظيمة ، وكان قد أدرك أمر المسيح — عليه السلام — اسم هذا الرجل يوسف (٣) ابن هارون فذكر ملوكهم وحروبهم إلى أن وصل إلى قتل يحي بن زكريا - عليه السلام - فذكره أجمل ذكر ، وعظم شأنه وأنه قتل ظلما لقوله الحق وذكر أمر المعمودية (٤)

ولم ينكرها وقال فى ذكره للملك قاتل يحــي (٥) عليه السلام —

---

(١)

(٢) تيطس أحد قواد الرومان المدربين ، دمر أورشليم ، وخرب المعبد سنة ٧٠م بعد حصار طويل مات فيه من اليهود نحو مليون نسمة (بنو اسرائيل ص ٧١) .

(٣) يوسف بن هارون : مؤرخ يهودى عاش فى القرن الأول الميلادى (٣٧ - ٩٥ ميلادية) .

(الاسفار المقدسة ص ٩٢) :

(٤) التعميد إحدى شعائر المسيحية التى تدل على الاعتراف العلنى بالإيمان والطاعة لعقيدة النصارى ويكون برش الماء على الجبهة أو غمس الشخص كله فى الماء ويقوم بذلك أحد الكهنة ولا يجوز غيرهم إلا لضرورة (زكى شنودة تاريخ الأقباط ١/ - اليهودية للدكتور شلبى ص ١٦٨) .

(٥) هو نبى الله يحيى بن زكريا كلاهما من نسل هارون - عليه السلام - ويطلق عليه النصارى « يوحنا المعمدان » ولد سنة ٥ ق . م فى قرية كارم المتصلة بأورشليم من الجنوب ، قتله هيرودس حوالى سنة ٣٨ ق م .

(راجع قصص الأنبياء ص ٣١٩ - قاموس الكتاب المقدس ص ١١٠٦ :

وهو هرودس(١) بن هرودس أنه قتل من حكماء بنى إسرائيل وخيارهم وعلمائهم جماعة ولم يذكر من شأن عيسى عليه السلام - غير هذا -

قال أبو محمد : وإنما ذكرنا هذا الكلام لنرى أن هذا المذهب(٢) كان فيهم ظاهرا فاشيا فى أئمتهم من حينئذ إلى الآن ، ثم انقسم اليهود جملة على قسمين؛ فقسم(٣) أبطل النسخ ولم يجعلوه ممكنا والقسم الثانى(٤) أجازوه(٥) إلا أنهم؛ قالوا لم يقع ، فعمدة حجة(٦) من أبطل النسخ منهم أن قالوا : إن

---

(١) هو هيرودس؛ انتيباس الابن الثانى لهيرودس الكبير من زوجته الرابعة السامرية « ملثاكى » تثقف فى روما ، ثم عاد وعين حاكما على الجليل بينما نال أخوه وراثة العرش فتنافس وإياه طويلا ، ومن أشهر الأماكن التى بناها مدينة « طبريا » وأبناء هيرودس كثيرة فى الأناجيل فهو الذى تزوج بامرأة أخيه « هيروديا » ونال توبيخ « يوحنا المعمدان » - يحى عليه السلام - حتى قطع رأسه وقدمه هدية لسالومة ابنة هيروديا (مر ٦ : ١٦ - ٢٨) (راجع قاموس الكتاب المقدس ص ١٠١١)

(٢) يشير إلى مذهب العيسوية .

(٣) وهم فرقه الربانية أو الشمعونية نسبة إلى شمعون بن يعقوب (راجع النسخ للدكتور مصطفى زيد ص ٢٧)

(٤) وهم فرقة العنانية من اليهود (راجع مناهل العرفان ٢ / ٧٠٣)

(٥) أى عقلا .

(٦) راجع حجج القائلين بابطال النسخ والرد عليها فى الأحكام ٤ / ٤٣٨ لابن حزم - مناهل العرفان ٢ / ٢٠٢ - النسخ للدكتور مصطفى زيد ١ / ٢٦ - بنو إسرائيل للدكتور محمد سيد طنطاوى ١ / ٢٠٦)

الله — عز وجل — يستحيل منه أن يأمر بالأمر ثم ينهى عنه، ولو كان ذلك لعاد الحق باطلا . والطاعة معصية ، والباطل حقا ، والمعصية طاعة .

قال أبو محمد : لانعلم لهم حجة غير هذه ، وهي من أضعف ما يكون من التمويه الذي لايقوم على ساق(١) . لأن من تدبر أفعال الله - تعالى - كلها - وأحكامه وجميع آثاره تعالى في هذا العالم ، تيقن بطلان قولهم هذا ، لأن الله — عز وجل — يحي ثم يميت ويميت ثم يحي ، وينقل الدولة من قوم أعزة فيذلهم إلى قوم أذلة فيعزهم ، ويمنع من شاء ماشاء من الأخلاق الحسنة والقبيحة (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون(٢))

ثم نقول لهم — وبالله تعالى التوفيق — ماتقولون فيمن كان قبلكم من الأمم المقبول دخولهم فيكم إذا غزوكم ، أليس دماؤهم لكم حلالا وقتلهم حقا وفرضا وطاعة ؟ فلابد من بلى ، فنقول لهم : فإن دخلوا في شريعتكم أليس قد حرمت دماؤهم وصار عندكم قتلهم حراما وباطلا ومعصية بعد أن كان فرضا وحقا وطاعة ؟ ؟ فلابد من بلى ، ثم إن عدوا في السبت وعملوا أليس قد عاد قتلهم فرضا بعد أن كان حراما ؟ فلابد من بلى ، فهذا إقرار ظاهر منهم ببطلان قولهم وإثبات منهم لما أنكروه من أن الحق يعود باطلا ، والأمر يعود نهياً / والطاعة تعود معصية

وهكذا القول في جميع شرائعهم لأنها إنما هي أوامر في وقت محدود بعمل محدود ، فإذا خرج ذلك الوقت عاد ذلك الأمر منهيا عنه .

---

(١) يقال : قامت الحرب ونحوها على ساق : اشتدت (المعجم الوسيط ١ / ٤٦٤) فقول المؤلف تمويه لايقوم على ساق : أي تمويه ضعيف ، والتمويه زخرفة القول ومزجه بالباطل (وسيط ٣ / ٨٩٢)

(٢) الآية ٢٣ من سورة الأنبياء

كالعمل(١) الذى هو عندهم مباح فى الجمعة حرام فى السبت. ثم يعود مباحاً يوم الأحد . وكالصيام والقرابين وسائر الشرائع كلها ، وهذا بعينه هو نسخ الشرائع الذى أبوه وامتنعوا منه ؛ إذ ليس معنى النسخ إلا أن يأمر الله — عز وجل — بأن يعمل عمل مافى مدة ما ثم ينهى عنه بعد انقضاء تلك المدة ، ولا فرق فى شىء من العقول بين أن يعرف الله — تعالى — ويخبر عباده بما يريد أن يأمرهم به قبل أن يأمرهم به ثم بأنه سينهى عنه بعد ذلك(٢) وبين أن لا يعرفهم(٣) به . إذ ليس عليه تعالى شرط أن يعرف

---

(١) لايقصد المؤلف بهذه الأمثلة إثبات النسخ ، وإنما يريد فقط دفع الشبهة التى تعلق بها اليهود وأبطلوا على أساسها النسخ وهى قولهم : « ان الله يستحيل أن يأمر بالأمر ثم ينهى عنه ... الخ »

لأن الواضح من كتابات ابن حزم وتحديده لمفهوم النسخ أنه لايعتبر هذا نسخا لأنها من الأمور التى تتكرر ، وقد قال فى كتابه الأحكام :

حد النسخ أنه بيان انتهاء زمان الأمر الأول فيما لا يتكرر وأما ماعلق بوقت ما ، فإذا خرج ذلك الوقت أو أدى ذلك الفعل سقط الأمر به ،فليس هذا نسخا ، فلو كان هذا نسخا ، لكانت الصلاة منسوخة إذ خرج وقتها والصيام منسوخا إذا ورد الليل ..»

والصيام والحج منسوخا بانقضاء أشهره ، وهذا مالا يقوله أحد ، بالإجماع اليقين المقطوع به على أن هذا لايسمى نسخا ... »

راجع النسخ للمؤلف فى كتاب الأحكام ٤ / ٤٣٨ - ٤٨٩)

(٢) مثل العمل الذى يعرفون حرمته يوم السبت وجوازه فى غيره من الأيام وغير ذلك من الأمثلة التى أوردها ابن حزم .

(٣) كما يحدث فى النسخ

عباده بما يريد أن يأمرهم به قبـــل أن يأتى الوقت الذى يريد إلزامهم فيه الشريعة .

وأيضاً فإن جميعهم مقر بأن شريعة(١) يعقوب — عليه السلام — كانت غير شريعة موسى — عليه السلام — وأن يعقوب(٢) تزوج ليياء وراحيل ابنتى لابان وجمعهما معاً فى عصمته ، وهذا حرام فى شريعة موسى — عليه السلام —

هذا مع قولهم(٣) أن أم موسى عليه السلام كانت عمة أبيه أخت جده وهى

---

(١) هذه أدله على وقوع النسخ فى شريعتهم ، استمد المؤلف أكثرها من توراتهم وقد أورد الإمام رحمت الله الهندى الكثير من هذه الأمثلة عند حديثه عن النسخ كما أفاض ، فى ذكر هذه الوقائع الدكتور مصطفى زيد فى كتابه عن النسخ (١ / ٣٦)

(٢) راجع القصه فى سفر التكوين ٢٩ : ١٥ - ٢٨ ، الفصل ص بتحقيقنا ، وإظهار الحق ٢ / ٢٩٩

(٣) خروج : ٦ . ٢٠ ولفظه : « فاتخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له فولدت له هارون وموسى » .

وقد ذكر العلامة رحمة الله الهندى أن الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٦٤٨ قد حرفت تحريفا قصديا لإخفاء العيب ، لأن هذا النكاح حرام فى الشريعة الموسوية ، فالآية الثانية عشرة من الإصحاح الثامن عشر من سفر اللاويين هكذا : « لا تكشف عورة عمتك لأنها قريبة أبيك » وكذا فى الآية التاسعة عشرة من الإصحاج والعشرين من السفر المذكور ، فلو لم يكن هذا النكاح جائز قبل شريعة موسى لزم أن يكون موسى وهارون

يوخابد بنت لاوى ولدت له بمصر وهذا فى شريعة موسى - عليه السلام - حرام ولا فرق فى العقول بين شيء أحله الله تبارك وتعالى ثم حرمه وبين شيء حرمه ثم أحله ، والمفرق بين هذين مكابر للعيان مجاهر بالقحة ، ولو قلب عليه قالب كلامه ما كان بينهما فرق ، وفى توراتهم أن الله تعالى افترض عليهم بالوحى إلى موسى — عليه السلام — وأمرهم موسى بذلك فى نص توراتهم (١) أن لا يتركوا من الأمم السبعة الذين كانوا سكانا فى فلسطين والأردن أحد أصلا إلا قتلوه ، ثم إنه لما اختدعتهم الأمة التى يقال لها عباوون (٢) وهى إحدى تلك الأمم التى افترض عليهم قتلهم واستئصالهم فتحيلوا عليهم وأظهروا لهم أنهم أتوا من بلاد بعيدة حتى عاهدوهم ، فلما عرفوا بعد ذلك أنهم من السكان فى الأرض التى أمروا بقتل أهلها حرم الله

= ومريم أختهما من أولاد الزنا والعياذ بالله ، ولزم أن لا يدخلوا جماعة الرب إلى عشرة أحقاب كما هو مصرح به فى الآية الثالثة من الإصحاح الثالث والعشرين من سفر الاستثناء ، ولو كانوا هم قابلين للإخراج عن جماعة الرب فمن يكون صالحا لدخولها ؟!!

(راجع إظهار الحق ص ٢٩٩)

(١) تثنيه ٧ : ١ — ٦ والأمم السبعة كما أخبرت التوراة : « الحثيون والجرجاشيون والأموريون والكنعانيون والفرزيون والحويون واليبوسيون » .

(٢) عباوون : تسمى فى الترجمة الحديثة الآن : « جبعون » اسم عبرى معناه « تل » وهى ليست أمة كما يقول المؤلف خطأ ، ولكنها مدينة كبيرة تبعد عن أورشليم بنحو خمسة أميال إلى الشمال ، أما موقعها الحالى فيعرف بقرية الجيب الواقعة على قمة هضبة شمال غربى أورشليم ، وكان يسكن هذه المدينة يومئذ الحويون من أهل كنعان . (راجع السنن القويم فى تفسير العهد القديم ٣/٧٥ - قاموس الكتاب المقدس من ص ٢٤٦)

ـ عز وجل ـ عليهم قتالهم على لسان يوشع النبي بنص كتاب يوشع(١) عندهم فأبقوهم ينقلون الماء والحطب إلى مكان التقديس ، وهذا هو النسخ الذى أنكروا بلا كلفة ، وفى توراتهم البداء(٢) الذى هو أشد من النسخ ، وذلك أن فيها (٣) أن الله ـ تعالى ـ قال لموسى ـ عليه السلام ـ «سأهلك هذه الأمة ، وأقدمك على أمة أخرى عظيمة» ، فلم يزل موسى يرغب إلى الله ـ تعالى ـ فى أن لا يفعل ذلك حتى أجابه وأمسك عنهم ، وهذا هو البداء بعينه والكذب المنفيان عن الله ـ عز وجل ـ لأنه ذكر أن الله تعالى أخبر أنه سيهلكهم ويقدمه على غيره ، ثم لم يفعل فهذا هو الكذب بعينه ـ تعالى الله عنه ـ وفى سفر أشعيا : أن الله تعالى سيرتب فى آخر الزمان من الفرس خداما فى البيت المقدس .

قال أبو محمد : وهذا هو النسخ بعينه لأن التوراة(٤) موجبة أن لا يخدم فى البيت المقدس أحد غير بنى لاوى بن يعقوب على حسب مراتبهم فى الخدمة ، فعلى أى وجه أزالوا هذا القول من أشعيا فهو نسخ لما فى التوراة على كل حال ، وأما فى الحقيقة فهو إنذار بالملة الإسلامية التى صار فيها العرب والفرس وسائر الأجناس فى المساجد بيت المقدس وغيره التى هى بيوت الله تعالى .

---

(١) راجع القصة فى الفصل التاسع من سفر يشوع .

(٢) البداء : (بفتح الباء) الظهور بعد الخفاء ، وهو مستحيل فى حق الله — تعالى — لما يلزمه من سبق الجهل وحدوث العلم ، والجهل والحدوث محالان فى حقه تعالى . (مناهل العرفان ٢/١٨١ — النسخ ١/٢٠ بنوا إسرائيل ١/٢١٨)

(٣) سفر الخروج ٣٢ : ١٠ - ١٤ ، أيضا الفصل (   ) بتحقيقنا .

(٤) راجع سفر الخروج ٢٨ : ٤٣

قال أبو محمد : وأما الطائفة (١) التى أجازت النسخ إلا أنها أخبرت أنه لم يكن فإنه يقال لهم ـ وبالله تعالى التوفيق .

بأى شيء علمتم صحة نبوة موسى — عليه السلام — ووجوب / طاعته فلا سبيل إلى أن يأتوا بشيء غير براهينه وأعلامه الظاهرة ، فيقال لهم وبالله تعالى التوفيق .

إذا وجب تصديق موسى — عليه السلام — والطاعة لأمره لما أظهر من إحالة الطبائع على ما بيناه فى الكلام فى إثبات (٢) النبوة ، فلا فرق بينه وبين من أتى بمعجزات غيرها ، وبإحالة طبائع أخر ، وبضرورة العقل يعلم كل ذى حس أن ما وجب لنوع فإنه واجب لأجزائه كلها ، فإذا كانت إحالة الطبائع (٣) موجبة تصديق من ظهرت عليه فوجب تصديق موسى وعيسى ومحمد — صلى الله عليهم — واجـــب وجوباً مستويا . لا فرق بين شيء منه بالضرورة ، ويقال لهم : ما الفرق بينكم فى تصديقكم بعض من ظهرت عليه المعجزات وتكذيبكم بعضهم ، وبين من صدق من كذبتم وكذب من صدقتم ، كالمجوس المصدقين بنبوة عيسى وزرادشت المكذبة بنبوة موسى أو الصابئين المكذبين بنبوة إبراهيم — عليه السلام — فمن دونه المصدقين

---

(١) وهم العنانية من فرق اليهود .

(٢) راجع ص ١٨٠ .

(٣) جمع طبيعة ، وطبيعة النار أو الدواء أو نحوه : ماسخره الله تعالى من مزاجة (المعجم الوسيط ٢/٥٥٠) : فالنار طبيعتها الإحراق ، وطبيعة السكين القطع ، وإحالة الطبائع يكون بتخلفها عما أودع الله فيها من خصائص ولن يكون ذلك إلا لنبي كما يرى الإمام ابن حزم .

(راجع الفصل ٥/٣) .

بنبوة إدريس وغيره وكل هذه الفرق والملل تقول فى موسى ـ عليه السلام ـ وفى سائر أنبيائكم أكثر مما تقولون أنتم فى عيسى ومحمد ـ صلى الله عليهما ـ تنطق بذلك تواريخهم وكتبهم وهى موجودة مشهورة ، وأقرب ذلك إليكم السامرية الذين ينكرون نبوة كل نبى لكم بعد موسى ـ عليه السلام ـ ولا سبيل إلى أن تأتوا جميع من ذكرنا بفرق إلا أتوكم بمثله ، ولا أن تدعوا عليهم دعوى إلا ادعوا عليكم مثلها ، ولا أن تطعنوا فى نقلهم بشىء إلا أروكم فى نقلكم مثله سواء سواء أو أشد منه ، وقد نبه الله ـ تعالى ـ على هذا البرهان بقوله تعالى(١) : (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلاهنا وإلاهكم واحد ونحن له مسلمون) فنص تعالى على أن طريق الإيمان بما آمنوا به من النبوة وطريق ما آمنا به نحن منها واحد وأنه لا فرق بين شىء من ذلك وأن الإيمان بالله الباعث لموسى هو الإيمان بالله الباعث لمحمد ـ ﷺ ـ وأن طريق كل ذلك طريق واحدة لا فرق فيها وبالله تعالى التوفيق .

وقالوا أنتم تقرون بنبوة موسى ورسالته وبالتوراة فقد أقررتم لنا بصحة ما نحن عليه ، ولم نقر لكم بصحة نبوة محمد ولا بكتابه . قال أبو محمد : وهذا شغب ضعيف لأنهم لا يخلون من أن يكونوا إنما صدقوا بنبوة موسى من أجل تصديقنا نحن بها ، ولولا ذلك لم يصدقوا بها ، أو يكون إنما صدقوا بها لما أظهر من الآيات فقط سواء صدقنا نحن بها أو أبينا ، فإن كانوا إنما صدقوا به من أجل تصديقنا نحن فواجب عليهم أن يصدقوا بمحمد ـ ﷺ ـ من أجل تصديقنا نحن به ، وإلا فقد تناقضوا ، وإن كانوا إنما صدقوا به لما أظهر من الآيات فلا معنى لتصديق من صدقه ولا لتكذيب من من كذبه ، والحق حق صدقه الناس أو كذبوه ، والباطل باطل صدقه الناس

---

(١) سورة العنكبوت الآية : ٤٦ .

أو كذبوه ، ولا يزيد الحق درجة فى أنه حق إصفاق(١) الناس كلهم على تصديقه ، ولا يزيد الباطل مرتبة فى أنه باطل تكذيب الناس كلهم له .
ولا يظن ظان أننا فى مناظرتنا من مناظر من أهل ملتنا المخالفين لنا فى بعض أقوالنا بالإجماع ، وقد تقصينا كلامنا فى هذا المكان فليعلم أننا لم ننقضه لأن الإجماع(٢) حجة قد قام البرهان على صحتها فى الفتيا فى دين الاسلام ، وما قام على صحته البرهان فهو حجة قاطعة على من خالفه وعلى من وافقه ، وإما أن نحتج على مخالفنا بأنه موافق لنا فى بعض ما نختلف فيه / فليس حجة علينا فإن وجد لنا يوما من الأيام فإنما نخاطب به جاهلا نستكف تخليطه بذلك أو تبكيته(٣) لنريه تناقضه فقط ، وأيضا فاننا إنما آمنا بنبوة موسى الذى أنذر بنبوة محمد - ﷺ - وبالتوراة التى فيها الإنذار برسالة محمد - ﷺ - باسمه ونسبه وبصفة أصحابه - رضى الله عنهم - وهكذا نقول فى عيسى والإنجيل حرفا حرفا ، لا بنبوة من لم ينذر بنبوة — محمد ﷺ — ولا نؤمن بموسى وعيسى اللذين لم ينذرا برسالة — محمد ﷺ — ولا نؤمن بتوراة ولا إنجيل ليس فيهما الإنذار برسالة محمد — ﷺ — وبصفة أصحابه ، بل نكفر بكل ذلك ونبرأ منهم فلم نوافقهم قط على ما يدعونه .
فبطل شغبهم الضعيف ، وبالله تعالى التوفيق .

وجملة القول فى هذا : أن نقل اليهود والنصارى فاسد لما ذكرنا ، ونذكر

---

(١) أصفق القوم على كذا ، أوله : أطبقوا عليه واجتمعوا (المعجم الوسيط ١ / ٥١٧).

(٢) يرى المؤلف أن الإجماع الذى يعتد به فى شرع الله إنما هو إجماع الصحابه رضى الله عنهم (راجع الإحكام لابن حزم / وراجع أيضا أصول المذهب الظاهرى ص ١٥٤ .

(٣) بكته : كبته بالحجة ، وقرعه ووبخه ، وبكته : مبالغة فى بكته (الوسيط ١ / ٦٦) .

إن شاء الله تعالى من عظيم الداخلة(١) فى كتبهم المبينة أنها مفتعلة فلاح فساد نقلهم بذلك فإنما صدقنا بنبوة موسى وعيسى - عليهما السلام - لأن محمداً - صلى الله عليه وسلم - صدقهما وأخبر عنهما وعن إعلامهما، ولولا ذلك لما صدقنا بهما، وهكذا القول فى نبوة إلياس(٢) واليسع وداود وسليمان ويونس وصالح وشعيب — عليهم السلام - كما أننا لا نقطع بصحة نبوة شموال وحقاى وحبقوق وسائر أنبيائهم الذين لم يذكرهم لنا محمد — صلى الله عليه وسلم — لكن نقول آمنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان المذكورون أنبياء فنحن نؤمن بهم، وإن لم يكونوا أنبياء فلا ندخل فى أنبياء الله — تعالى — من ليس منهم بإخبار اليهود والنصارى التى لا أصل لها، الراجعة إلى قوم كفار كذابين — وبالله تعالى نتأيد — وقال تعالى(٣): (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) وقال تعالى(٤) فى الرسل: (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) فنحن نؤمن بأنبياء الله — تعالى — جملة وبرسله كافة ولا نسمى منهم إلا من سمى الله تعالى ومحمد ﷺ أو محمد (؟) صح النقل بأعلامه ولا يكذب منهم باسمه إلا من صح عنـــه الكذب كما فى ديصان(٥) ومسيلمه(٦) والأسود وطليحة

---

(١) يقال داخلة الرجل: أى باطن أمره، والدخل — بالتحريك العيب والغش والخداع (لسان ١ / ٩٥٦).

(٢) سبق أن عرفنا بهؤلاء الأنبياء ص ٢٥٩.

(٣) الآية ٢٣ من سورة فاطر.

(٤) الآية: ١٦٤ من سورة النساء.

(٥) راجع ترجمته ص.

(٦) مسيلمة والأسود وطليحه وسجاح ممن ادعوا النبوة كذبا، وقد كان مسيلمة الكذاب فى بنى حنيفة باليمامة وقد تزوج مسيلمة من امرأة تدعى =

وسجاح الغالية(١) عليهم لعنة الله .

قال أبو محمد : ويقال لسائر فرق اليهود حاشا « السامرية » ما الفرق بينكم وبين السامرية الذين كذبوا بنبوة كل نبي صدقتم أنتم به بعد يوشع(٢) بمثل ما كذبتم أنتم به عيسى ومحمدا — عليهما السلام — وهذا مالا انفكاك منه بوجه من الوجوه ، فإن ادعوا أن عيسى ومحمدا — عليهما السلام — لم يأتيا بمعجزات بانَ كذبهم وجاهرتهم ، إذ قد صح عنه — عليه السلام — من المعجزات أكثر عددا ، وأبهر عجبا مما روى عن موسى وعيسى — ﷺ — وأنه لاحظ لشيء من أعلام موسى وعيسى عليهما السلام في صحة النقل من طريق أصلا إلا من طريق إخبار محمد — ﷺ — بها عنهما ، ونوضح البرهان الواضح الضروري بذلك في آخر كلامنا(٣) في بيان فساد كتب اليهود والنصارى إن شاء الله تعالى وبه نتأيد .

= سجاح كانت قد ادعت النبوة أيضا في بني تميم الذين كانت ديارهم على مقربة من بني حنيفة ، وكانت مطاعة فيهم فانضم أتباعها إلى أتباع مسيلمة ، أما الأسود العنسي فقد كان بالىمن كما كان طليحه بن خويلد في بني أسد ، وقد روت كتب التاريخ عنهم قصصا وعجائب يرجع إليها من شاء (راجع موسوعة التاريخ الاسلامي ١ / ٤٨٣) .

(١) راجع عن فرق الغالية الملل والنحل للشهرستاني ١ / ١٥٤ ، الفرق بين الفرق ٢٢٠ ، مقالات الاسلاميين ١ / ٦٦) .

(٢) راجع ص ٢٥٩ .

(٣) راجع ص ٣٠١ .

ذكر بعض معجزاته ﷺ :

قال أبو محمد : نقلت الكواف(١) عن النبي — ﷺ — أنه سقى العسكر في تبوك(٢) وهم ألوف كثيرة من قدح صغير نبع فيه الماء من بين أصابعه عليه السلام ، وفعل — أيضا — مثل ذلك في الحديبية(٣) فشربوا كلهم وهم ألوف

(١) نقل الكواف يقصد به : التواتر ،وهو ماروواه جمع عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب وذلك كعدد ركوع كل صلاة . وعدد الصلوات . وغير ذلك مما لم يبين القرآن تفسيره ، والإمام ابن حزم ينظر في التواتر إلى معناه، لا إلى عدده ، أيمكن أن يتواطأ المخبرون على الكذب ، أم لا يمكن ، فإن كان ممكنا فالخبر غير متواتر مهما يقل العدد كثيرا ، وأن لم يكن في الإمكان تواطؤهم فالخبر متواتر مهما يكن العدد ، ولا يتصور تواترا في أقل من اثنين . وذلك كما إذا أخبر إنسان بخبر طويل ثم جاء إنسان آخر فذكره كما هو تماما من غير أن يلتقيا فهذا من الأخبار المتواترة عند ابن حزم التي يجب الإذعان لها وتصديقها .

(راجع الأحكام في أصول الأحكام ٩٢/١، والفصل ٨/١)

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه عن معاذ بن جبل ، وغزوة تبوك كانت في شهر رجب سنة تسع من الهجرة .

(راجع الجواب الصحيح لابن تيمية ١٨٨/٤ ، فقه السيرة للدكتور محمد البوطي ص ٣٠٩) .

(٣) في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله قال : عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ فجهش الناس نحوه قال: مالكم ؟ قالوا : ليس عندنا ما نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك ، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا ، قلت: كم كنتم؟ =

وأزيد من ثلاثمائة رجل وأطعم فى منزل أبى طلحة(١) جميع أهل الخندق وهم نحو تسع (؟) مائة رجل حتى شبعوا من كسر يسيره حملها إنسان فى يده والمرة الأخرى من صاع واحد (؟) من شعير فى منزل جابر حتى شبعوا وهم ما بين السبعين إلى الثمانين ورمى(٢) فى حنين رمية عمت جميع عيونهم بتراب فى يده وفيها أنزل الله تعالى(٣) : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وشق القمر إذ سأله قومه آية فأنزل(٤) الله تعالى فى ذلك : (اقتربت الساعة وانشق القمر

= قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة ، كما رواه البخارى — أيضا — برواية أخرى عن البراء بن عازب .

(الجواب الصحيح ٤/١٨٧) :

(١) قصة أبى طلحة وجابر فى تكثير الطعام رواها البخارى ومسلم عن أنس بن مالك .

(الجواب الصحيح ٤/١٩٣) .

(٢) رواه مسلم عن العباس بن عبد المطلب (٤/٢٠٣) وقد ذكر الإمام ابن كثير فى تفسيره (٣/٥٧١) أن هذه الآية نزلت فى رمية النبى — ﷺ — يوم بدر عندما أخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوه المشركين وقال : شاهت الوجوه «وإن كان قد فعل ذلك يوم حنين أيضا ويقول الإمام الفخر الرازى : «والأصح أن هذه الآية نزلت فى يوم بدر »(٢، ٤٨١ إظهار الحق).

(٣) سورة القمر : الآيات من ١ — ٤ وقد أورد الإمام ابن كثير عند تفسير هذه الآيات الأحاديث التى وردت فى هذه المعجزة الباهرة وأكثر هذه الأحاديث صحيحة الإسناد رواها الشيخان ،

(راجع تفسير ابن كثير ٧، ٤٤٧ ، الجواب الصحيح ٤، ١٦٣ ، إظهار الحق ٢/٤٧٠ — ٤٧١) :

(٤) الآية : ١٧ من سورة الأنفال ،

وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ، ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر) .

وكذلك حنين الجذع (١) الذي سمعه كل من حضر من الصحابة — رضوان الله عليهم — نهارا علانية . ومن أشهر الأشياء وأعظمها قوله — عليه الصلاة والسلام — لليهود والمكذبين وهم ألوف من كان في جهة المدينة بنو النضير (٢)، وبنو قريظة (٣) وبنو قينقاع (٤) وبنو (٥) هدل أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين في تكذيبهم بنبوته ، وأعلمهم أنهم لا يستطيعون ذلك أصلا ، فعجزوا عن ذلك أي عن تمني الموت . وحيل بينهم وبين النطق بذلك ، وهذه قصة منصوصة / في سورة الجمعة يقرأ بها في كل جمعة في جميع جوامع المسلمين من

---

(١) معجزة حنين الجذع رواها البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله (الجواب الصحيح ٤ /١٨٣ ، إظهار الحق ٢/٤٨٥) .

(٢) بنو النضير : كانت مساكنهم (بالعاليه) : بوادي بطحان على بعد ميلين ، أو ثلاثة من المدينة وكانت عامرة بالنخيل والزرع . (بنو إسرائيل ص ٧٧) .

(٣) بنو قريظة : كانوا يسكنون في منطقة (مهزور) التي تقع على بعد بضعة أميال من جنوب المدينة (بنو إسرائيل ص٧٧) ،

(٤) بنو قينقاع : كانوا يسكنون داخل المدينة في محلة خاصة بهم ، بعد أن طردهم إخوانهم بنو النضير وقريظة من مساكنهم التي كانت خارج المدينة (بنو إسرائيل ص٧٧) :

(٥) بنو هدل : إحدى البطون الصغيرة لليهود مثل بني كرمه ، وبني ثعلبة ، وبني محمد ، وبني زعورا وكانت هذه البطون الصغيرة تابعة في سياستها للبطون الكبرى كبني قينقاع والنضير وقريظة (بنو إسرائيل ٧٨) .

شرق الدنيا إلى غربها ، وقد كان أسهل الأمور عليهم أن يكذبوا بأن يتمنوا الموت لو استطاعوا وهم يسمعونه يقول(١) (فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) .

قال أبو محمد : وهذا أمر لا يدفعه إلا وقاح جاهل . يكابر العيان . لأن القرون والأعصار نقلت هذه الآيات جيلا لجيلا يخاطبون بها ، فكل أذعن وأقر ولم يمكن أحدا دفعه ، ودعا — عليه السلام — من حين مبعثه العرب كلهم على فصاحة ألسنتهم وكثرة استعمالهم لأنواع البلاغة من الإطالة والإيجاز والتصرف فى أفانين البلاغة والألفاظ المركبة على وجوه المعانى إلى أن يأتوا(٢) بمثل هذا القرآن ثم ردهم إلى سورة(٣) . فعجزوا كلهم عن ذلك على سعة بلادهم طولا وعرضا ، وأنه — ﷺ — أقام بين أظهرهم ثلاثة وعشرين عاما يستسهلون قتاله ، والتعرض لسفك دمائهم ، واسترقاق ذراريهم ، وقد أضربوا عما دعاهم إليه من المعارضة للقرآن جملة .

قال أبو محمد : وهذا لا يخفى على من له أقل فهم أنه إنما حملهم على ذلك العجز عما كلفهم من ذلك وارتفاع قوتهم عنه ، وأنه قد حيل(٣) بينهم وبين

---

(١) سورة الجمعة بعض آية ٦ ، ٧ .

(٢) وذلك قوله تعالى : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » الآية ٧٨ من سورة الإسراء .

(٣) يشير إلى قوله تعالى : « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين» الآية ٢٣ من سورة البقرة .

(٤) يريد أن الله — تعالى — حال بينهم وبين الإتيان بمثله أى =

ذلك ثم عمر الدنيا من البلغاء الذين يتخللون بألسنتهم تخلل الباقر(١) ويطيلون في المعنى التافه إظهارا لاقتدارهم على الكلام جماعات لا بصائر لهم في دين الإسلام منذ أربعمائة عام وعشرين عاما(٢) فما منهم أحد تكلف معارضته إلا افتضح وسقط ، وصار مهزأة ممرة يتماجن(٣) به وبما أتى به ويتطايب(٤) عليه ، منهم مسيلمة(٥) بن حبيب الحنفي لما رام ذلك لم ينطق / لسانه إلا بما

=صرفهم عن ذلك وهو منهج المؤلف في إعجاز القرآن سيأتي توضيحه بعد قليل .

(١) البقر : التوسع في العلم والمال . وكان يقال لمحمد بن علي بن الحسين ابن علي الباقر ، رضوان الله عليهم ، لأنه بقر العلم وعرف أصله واستنبط فرعه وتبقر في العلم (لسان العرب ١/٢٤٢) .

(٢) في هذا التاريخ إشارة تكشف عن وقت تأليف الفصل .

(راجع ص ٩٨) .

(٣) الماجن عند العرب : الذي يرتكب المقابح المردية والفضائح المخزية ولا يمضه عذل عاذله ولا تقريع من يقرعه ، والمجن : خلط الجد بالهزل . والماجن من الرجال الذي لا يبالي بما قال ولا ماقيل له كأنه من غلظ الوجه والصلابة (لسان العرب ٣/٤٤٢) .

(٤) يتطايب عليه : كقولك لآخر أنت إنسان طيب سخرية منه واستهزاء . . إذا خلط في كلامه . . . والأصل في الطيب أنه خلاف الخبيث .

(٥) أورد الامام الباقلاني : في كتابه إعجاز القرآن كثيرا من هذا العبث الذي كان يهرف به هذا الكذاب ،

(راجع ص ١٥٦ — ١٥٨)

يضحك الثكلى(١) ، وقد تعاطى بعضهم(٢) : ذلك يوما فى كلام جرى بينى وبينه فقلت له اتق الله على نفسك فإن الله — عز وجل — قد منحك من البيان والبلاغة نعمة بسقت بها على أهل عصرك والله لئن تعرضت لهذا الباب بإشارة ليسلبنك الله هذه النعمة ، وليجعلنك فضيحة وشهرة ومسخرة وضحكة كما فعل بمن رام هذا من قبلك ، فقال لى صدقت والله وأظهر الندم والاقرار بقبح ما قال :

قال أبو محمد : وهذا الذى ذكرنا مشاهد . وهى آية باقية إلى اليوم وإلى انقضاء الدنيا ، وسائر آيات الأنبياء — عليهم السلام — قد فنيت بفنائهم فلم يبق منها إلا الخبر عنها فقط .

قال أبو محمد : وقد ظن قوم أن عجز العرب ، ثم من تلاهم من سائر البلغاء عن معارضة القرآن إنما هو لكون القرآن فى أعلى طبقات البلاغة .

قال أبو محمد : وهذا خطأ شديد ولو كان ذلك — وقد أبى الله عز وجل أن يكون — لما كان حينئذ معجزة ، لأن هذه صفة كل باسق(٣) فى طبقات والشىء الذى هو كذلك وإن كان قد بسق فى وقت ما فلا يؤمن أن

---

(١) المرأة الثكلى : هى التى فقدت حبيبها . وغالب ما يستعمل فى فقد الوليد ، وقيل فقدان الزوج (لسان العرب ١، ٣٦٤)

(٢) جاء على هامش مخطوطة تركيا ما يلى : «هذا المكنى هو أبو عامر ابن شهيد صرح به أبو محمد فى رسالة خاطبة بها» .

(٣) يقال بسق فلان عليهم إذا علاهم وطالهم فى الفضل ، وارتفع ذكره دونهم (تاج العروس ٦/٢٩٤) :

يأتى فى غد ما يقاربه بل ما يفوقه(١) ، ولكن الإعجاز فى ذلك هو أن الله تعالى حال بين الناس وبين أن يأتوا بمثله ، ورفع عنهم القوة فى ذلك جملة ، وهذا مثل لو قال قائل : إنى أمشى اليوم فى هذا الطريق ثم لا يمكن أحداً بعدى أن يمشى فيه ، وهو ليس بأقوى من سائر الناس ، وأما لو كان العجز عن المشى لصعوبة الطريق وقوة هذا الماشى لما كانت آية ولا معجزة ، وقد بينا فى غير هذا المكان(٢) أن القرآن هو ليس من نوع بلاغة الناس ، لأن فيه الأقسام التى فى أوائل السور والحروف المقطعة التى لا يعرف أحد معناها إلا الله وحده لا شريك له وليس هذا من نوع بلاغة الناس المعهودة ، وقد روينا عن أنيس(٣) أخى أبى ذر الغفارى — رضى الله عنهما — أنه سمع القرآن فقال : (لقد وضعت هذا الكلام على ألسنة البلغاء وألسنة الشعراء فلم أجده يوافق ذلك) أو كلاما هذا معناه ، فصح بهذا ما قلناه من أن القرآن

---

(١) لا نسلم للمؤلف أن القرآن الكريم يمكن أن يوجد فى المستقبل من يقاربه أو يفوقه ، ولو صح قوله فى غير كلام الله فلا يمكن أن يحدث بالنسبة لمعجزة القرآن الخالدة .

(٢) الفصل ٣/١٦ يقول ابن حزم : « وإن كنتم تريدون هل هو فى أعلى درج البلاغة فى كلام المخلوقين فلا لأنه ليس من نوع كلام المخلوقين لا من أعلاه ولا من أدناه ولا من أوسطه وبرهان هذا أن إنسانا لو أدخل فى رسالة له أو خطبة أو تأليف أو موعظة حروف الهجاء المقطعة لكان خارجا عن البلاغة المعهودة جملة بلا شك ، فصح أنه ليس من نوع بلاغة الناس أصلا ، وأن الله منع الخلق من مثله وكساه الإعجاز وسلبه جميع كلام الخلق » .

(٣) هو أنيس بن جنادة الغفارى ، أسلم مع أخيه أبى ذر الغفارى قديما ، وأسلمت أمها ، وكان شاعرا .

(راجع الاستيعاب لابن عبد البر ١/١١٣) .

خارج عن نوع بلاغة المخلوقين وأنه على رتبة قد منع الله تعالى جميع الخلق عن أن يأتوا بمثله ، ولنا فى هذا رسالة متقصاه كتبنا بها إلى أبى عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد(١) ، وسنذكر إن شاء الله تعالى ما فيه كفاية فى كلامنا مع المعتزلة والأشعرية فى خلق القرآن من ديواننا(٢) هذا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

قال أبو محمد : فإن قال قائل : إنه منع المعارضون حينئذ مع المعارضة ، أو لعلهم عارضوا فستر ذلك ، قيل(٣) له — وبالله تعالى التوفيق : لو أمكن ما تقول لأمكن لغيرك أن يدعى فى آيات موسى — عليه السلام مثل ذلك ،

---

(١) هى من الرسائل المفقودة — وما أكثرها — للمؤلف (راجع مبحث تراث ابن حزم صـ) .

(٢) أحمد بن شهيد : ولد سنة (٣٨٢ هـ) كان من العلماء بالأدب ومعانى الشعر وأقسام البلاغة ، وقد شهر بين المشارقة برسالة « التوابع والزوابع » كان صديقا لابن حزم ، عزيز النفس ، مائلا إلى الهزل أصيب فى آخر أيامه بفالج أقعده ، وتوفى فى جمادى الأولى سنة ٤٢٦هـ . (راجع ترجمته فى جذوة المقتبس صـ ١٣٣) بغية الملتمس صـ ١٩١ ، المغرب ١/٧٨ وقد كتب عنه دراسة مفصله الدكتور إحسان عباس فى كتابه (تاريخ الأدب الأندلسى صـ ٢٧٠) .

(٣) كتب ابن حزم مبحثا خاصا بإعجاز القرآن استقصى فيه آراء العلماء ، ورد فيه على القائلين بأن القرآن معجز لأنه فى أعلى درج البلاغة ، وله أدلة كثيرة على أن وجه إعجازه أن الله منع الخلق من القدرة على معارضته لا مجال لذكرها الآن (راجع الفصل ٣/١٣ — ١٧ وراجع فى الرد على هذا الرأى إعجاز القرآن للبلاقانى صـ ٢٩ — ٣١ ، والجواب الصحيح ٤/٧٥ ومناهل العرفان ٢/٤١٤ — الاتقان فى علوم القرآن ٤/٧) .

بل كان يكون أقرب إلى التلبيس لأن فى توراتكم[1] أن السحرة عملوا مثل ما عمل موسى — عليه السلام — حاشا البعوض خاصة فإنهم لم يطيقوه .
قال أبو محمد : وهذا هو الباطل والتبديل الظاهر ، لأن السحر[2] لا يحيل عينا ولا يقلبها ولا يحيل طبيعة ، إنما هو حيل قد بينا الكلام فيها بعون الله تعالى فى موضعه من هذا الكتاب وفى غيره .

قال أبو محمد : وهذا الاعتراض هو سبيل إبطال الكواف لا سبيل من أقر بشيء منها ، ثم يقال لهم : كل من ولى الأمر بعده ، عليه السلام ، معروف وليس منهم أحد إلاوله أعداء يخرجون فى عداوته إلى أبعد الغايات من الغيظ والحنق ، فأبو بكر وعمر — رضى الله عنهما — تعاديهما الرافضة[3] ، وتبلغ فى عداوتهما وتكفيرهما أقصى الغايات ما قول قط أحد

---

(١) راجع سفر الخروج ٧ : ١٠ - ١٢ ، ٧ : ١٠ - ٢٢ ، ٨ : ٥ - ٧ ، ٨ : ١٦ - ١٠ وأقر ما كتبه المؤلف فى الفصل ١

(٢) السحر : هو فعل يخفى سببه ويوهم قلب الشيء عن حقيقته ، وقد أنكر المعتزلة السحر بجميع أقسامه إلا التخيل أما أهل السنة فقد جوزوا أن يقدر الساحر على أن يطير فى الهواء ويقلب الإنسان حمارا ، إلا أنهم قالوا إن الله تعالى هو الخالق لهذه الأشياء عندما يقرأ الساحر رقى مخصوصة وكلمات معينة ، وقد أجمعوا على وقوع السحر بالقرآن والسنة ، والمأثور عن ابن حزم أنه ينكر حقيقة السحر ويعتبره لونا من الحيل والخداع ، ويرى أن إحالة الطبائع لا يكون إلا لنبي (راجع الفصل وتاج العروس ٣/٢٥٨ وكشاف إصطلاحات الفنون ٣/١٥٢) .

(٣) الرافضة : قوم من الشيعة . سموا بذلك لأنهم تركوا زيد بن على ، قال الأصمعى : كانوا بايعوه ثم قالوا له : إبرأ من الشيخين نقاتل معك فأبى=

ومن ولا كافر عدولهما ولا ولى أن أحداً منهما أجبر أحدا على الإقرار بآيات محمد ﷺ ولا على ستر شيء عورض به، ولا قدر أن يقول هذا أيضاً يهودي ولا نصراني، وكذلك، أيضاً، عثمان(١) وعلى(٢) رضى الله عنهما تماديهما الخوارج(٣) وتخرج فى عداوتهما وتكفيرهما إلى أبعد الغايات ما قال، قط، قائل فى أحدهما شيئا من هذا، وحتى لو رام أحد من الملوك ذلك ما قدر عليه، لأنه لا يملك أيدى الناس ولا ألسنتهم يصنعون فى منازلهم ما أحبوا وينشرونه عند من يثقون به حتى ينتشر، وهذا أمر لا يقدر على ضبطه والمنع منه أحد، دون الله تعالى، لاسيما مع انخراق الدنيا وسعة أقطارها من أقصى السند(٤) إلى أقصى الأندلس، فلو امكنت معارضته

= وقال: كانا وزيرى جدى فلا أبرأ منهما فرفضوه فسموا رافضة (لسان العرب ١١٩٧/١ وراجع فرقهم فى التبصير ص ١٥، ١٦

(١) هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية من قريش، أمير المؤمنين ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ولد سنة ٤٧ قبل الهجرة ومات مقتولا سنة ٣٥ هـ لقب بذى النورين لأنه تزوج بنتى النبى ﷺ رقية ثم أم كلثوم.

(٢) هو أبو الحسن على بن أبى طالب بن عبد المطلب الهاشمى القرشى أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين واحد العشرة المبشرين بالجنة وابن عم النبى ﷺ وصهره وأحد الشجعان الأبطال ومن أكبر الخطباء والعلماء بالقضاء، ربى فى حجر النبى ﷺ ولم يفارقه ولد سنة ٢٣ قبل الهجرة ومات مقتولا سنة ٤٠ هـ (الاستيعاب لابن عبد البر ١٠٨٩/٣)

(٣) راجع عن هذه الفرقة التبصير ٢٦ والفرق بين الفرق ٥٤ والملل والنحل ١٠٥/١).

(٤) السند: اسم مكان يطلق على الجزء الشمالى الغربى من الهند، =

ما تأخر عن ذلك من له ادنى حظ من إستطاعة عند نفسه على ذلك من لا بصيرة له فى الإسلام فى شرق الأرض وغربها ، فإن قال قائل من اليهود: إن موسى ، عليه السلام ، قال لهم فى التوراة لا تقبلوا من نبى أتاكم بغير هذه الشريعة وإن جاءكم بآيات .

قال أبو محمد : قلنا له وبالله - تعالى - التوفيق :

لا سبيل إلى أن يقول موسى - عليه السلام - هذا بوجه من الوجوه ، لأنه لو قال ذلك لكان مبطلا لنبوة نفسه ، وهذا كلام ينبغى أن يتدبر ، وذلك أنه لو قال لهم لا تصدقوا من دعاكم إلى غير شريعتى وإن جاء بآيات فإنه يلزمه إذا كانت الآيات لا توجب تصديق غيره إذا أتى بها فى شىء دعا إليه ، فهى غير موجبة تصديق موسى عليه السلام ، فيما اتى به ، إذ لا فرق بين معجزاته ومعجزات غيره ، إذ بالآيات صحت الشرائع ، ولم تصح الآيات بالشرائع ، لأن تصديق الشريعة موجب للآية والآية موجبة تصديق الشريعة ، ومن قال خلاف هذا ممن يدين بشريعة ونبوة فهو عظيم المجاهرة بالباطل قال أبو محمد : وايضاً فإن هذا القول المنسوب إلى موسى ، عليه ، السلام - كذب موضوع ليس فى التوراة شىء منه ، وإنما فيها(١) : (من أتاكم يدعى نبوة وهو كاذب فلا تصدقوه ، فإن قلتم من اين نعلم كذبه من صدقه فانظروا فإذا قال عن الله تعالى - شيئاً ولم يكن كما قال فهو : كاذب) هذا نص ما فى التوراة ، فصح بهذا أنه إذا أخبر عن الله تعالى بشىء فكان كما

= يتوسطه حوض نهر السندوأكثره الآن يقع فى باكستان الغربية (المعجم الوسيط ١/٤٥٤) .

(١) راجع سفر التثنية ١٨ : ١٩ - ٢٢

قال فهو صادق . وقد وجدنا كل ما أخبر به النبي — ﷺ — في غلبة الروم على كسرى[١] . وإنذاره بقتل الكذاب العنسي[٢] ، وبيوم ذي قار[٣] ، وبخلع كسرى[٤] ، وبغير ذلك ، فإن قالوا : أن في التوراة « هذه الشريعة لازمة لكم في الأبد » قلنا هذا محال في التأويل ، لأنه كذلك — أيضا — فيها : (أن هذه البلاد تسكنونها أبدا) وقد رأيناهم بالعيان خرجوا منها .

فإن قال قائل : فقد قال محمد رسول الله — ﷺ : لا نبي بعدي[٥] :

---

(١) يشير إلى قوله — سبحانه — « ألم : غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء ، وهو العزيز الرحيم » ، سورة الروم : الآيات ١ : ٥ .

(٢) الأسود العنسي : صاحب صنعاء اليمن ، أدعى النبوة وقتله فيروز الديلمي (التاج ٥/٣١٩) :

(٣) ذوقار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط ، كانت فيها الواقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس ، وانتهزمت فيها الفرس . قيل : كانت وقعة ذي قار عند منصرف النبي صلى الله عليه وسلم : من وقعة بدر .

(معجم البلدان ٤، ٢٩٤) :

(٤) راجع قصة هلاك كسرى على يدى ابنه شيرويه ، وأخبار الرسول بذلك في سيرة ابن هشام (١ / ٦٩) :

(٥) الحديث بتمامه رواه الترمذي في باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون (رقم ٢٣١٦) : وقال عنه هذا حديث صحيح (تحفة =

قيل لهم وبالله تعالى نتأيد : ليس هذا الكلام مما ادعيتموه على موسى ـ عليه السلام ـ لأننا قد علمنا من أخباره ، عليه السلام ، أنه لاسبيل إلى أن يظهر أحد آية بعده أبدا ، ولو جاز ظهورها لوجب تصديق من أظهرها . ولكنا قد أيقنا أنها لا تظهر آية على أحد بعده ـ عليه السلام ـ بوجه من الوجوه ، فإن قال قائل فكيف تقولون فى الدجال(١) وأنتم ترون أنه تظهر له عجائب ، فالجواب ، وبالله تعالى التوفيق : إن المسلمين فيه على أقسام : فأما ضرار(٢) بن عمرو وسائر فرق الخوارج فإنهم ينفون أن يكون الدجال جملة فكيف أن يكون له آية ، وأما سائر فرق المسلمين فلا ينفون ذلك ، والعجائب المذكورة عنه إنما جاءت بنقل الآحاد . وقال بعض أصحاب الكلام إن الدجال إنما يدعى الربوبية : ومدعى الربوبية فى نفس قوله بيان كذبه ،

= الأحوذى ٦ / ٤٦٦ ط محمد عبد المحسن الكتبي : كما رواه أبو داود فى باب الفتن مطولا (راجع التاج الجامع للأصول ٥ / ٣١٨) :ط دار الفكر سنة ١٣٩٥ هـ : كما رواه الإمام مسلم بـ لفظ : «... أنا خاتم النبيين» كتاب الفضائل ـ باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين(٥/١٤٨) .

(١) راجع أحاديث الدجال فى صحيح مسلم ٥/٧٨٠ والتاج الجامع : ٥/٢٤٨-٣٥٨) .

(٢) ضرار بن عمرو : تنسب إليه فرقة «الضرارية» ظهرت بالعراق إبان القرن الثانى ، كان يقول : إن البارى تعالى عالم قادر على معنى أنه ليس بجاهل ولا عاجز ، وأثبت لله ـ سبحانه ـ ماهية لا يعلمها إلا هو كما أثبت «حاسة» سادسة للإنسان يرى بها البارى تعالى يوم الثواب فى الجنة . وقال الحجة بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الإجماع فقط ، فما ينقل عنه فى أحكام الدين من طريق أخبار الآحاد فغير مقبول .. ويحكى عن ضرار أنه كان ينكر «حرف» : عبد الله بن السعود و «حرف» =

قالوا : فظهور الآيات عليه ليس موجبا لضلال من له عقل به ، وأما مدعى النبوة فلا سبيل إلى ظهور الآيات عليه ؛ لأنه كان يكون ضلالا لكل ذى عقل .

قال أبو محمد : وأما نحن فإن قولنا فى ذلك أنه لا يأتى بمعجزة أصلا ، لكن الذى يأتى به إنما هى حيل من نحو ما صنع(١) سحرة فرعون ، ومن باب أعمال الحلاج(٢) : وأصحاب العجائب ، يدل على ذلك حديث

= أبى بن كعب ويقطع بأن الله تعالى : لم ينزله ؛ وزعم «ضرار» أيضا : أن الإمامة تصلح فى غير قريش ، حتى إذا اجتمع « قرشى » و« نبطى » قدمنا « النبطى » : إذ هو أقل عدداً ، وأضعف وسيلة فيمكننا خلعه إذا خالف الشريعة ، والمعتزلة وإن جوزوا « الإمامة » فى غير قريش إلا أنهم لا يجوزون تقديم النبطى على القرشى ، ويذكر الإمام الشهرستانى أن المصنفين فى المقالات عدوا «الضرارية» من الجبرية، كما اعتبرها البعض فرقة من فرق المعتزلة .

(راجع التبصير فى الدين ص٦٢، الملل والنحل للشهرستانى ص١٤٢ : دائرة معارف القرن العشرين ٥/٦٥٠) .

(١) راجع الفصل ١/١٥٤.

(٢) هو الحسين بن منصور المقتول على الزندقة ؛ كان جده مجوسيا من أهل بيضاء بفارس . نشأ بواسط والعراق . وكانت له بداية جيدة وصحبة لأبى القاسم الجنيد وغيره ثم انسلخ من الدين وتعلم السحر وقال : أدعو به إلى الله ؛ وله كثير من الحيل والعجائب يطول ذكرها . والناس مختلفون فى شأن الحلاج وأكثرهم على أنه زنديق ، وقد أفتى أكثر علماء عصره بإباحة دمه فقتل سنة ٣٠٩هـ .

(راجع ميزان الاعتدال ١/ ٥٤٨، لسان الميزان ٢/٣١٤، وفيات الأعيان ٢/١٤٠، تاريخ بغداد ٨/١١٢ ، البداية والنهاية ١١/١٣٢) :

المغيرة(١) بن شعبة إذ قال للنبي - ﷺ - إن معه نهر ماء ونهر خبز ، فقال له رسول الله ﷺ : هو أهون على الله من ذلك)(٢) ، حدثنا يونس بن عبد الله بن مغيث حدثنا أحمد بن عبد الله بن عبدالرحيم حدثنا بن خالد حدثنا محمد بن عبد السلام الخشني حدثنا محمد بن بشار بندار حدثنا يحي بن سعيد القطان حدثنا هشام بن حسان الفردوس : حدثنا حميد بن هلال عن أبي الدهماء عن النبي ﷺ قال(٣) : (من سمع من أمتي بالدجال فلينأ عنه فإن الرجل يأتيه وهو يحسبه مؤمنا فيتبعه مما يرى من الشبهات) فصح بالنص أنه صاحب شبهات .

قال أبو محمد : وبهذا تأتلف الأحاديث ، وقد بين رسول الله ﷺ في هذا الحديث أن ما يظهر الدجال من نهر ماء ونار . وقتل إنسان وإحيائه أن كل ذلك حيل ولكل ذلك وجوه إذا طلبت وجدت . فقد تحيل ببعض الأجساد المعدنية إذا أذيب أنه ماء ، وتحيل بالنفط(٤) الكاذب أنه نار ،

---

(١) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود يكنى أبا عبد الله ; وقيل: أبا عيسى، أسلم عام الخندق ، وقدم مهاجرا ، وقيل إن أول مشاهده الحديبية: توفي سنة ٥٠ هـ بالكوفة أميرا عليها لمعاوية.

(راجع الاستيعاب لابن عبد البر ٤/١٤٤٥) :

(٢) رواه الشيخان (راجع التاج ٤/٣٠٠) .

(٣) رواه أبو داود (التاج ٥/٣٥) ،

(٤) النفط : والنفط - والكسر أفصح - مزيج من الهدروكربونات يحصل عليها بتقطير زيت البترول الخام ، أو قطران الفحم الحجري ، وهو سريع الاشتعال وأكثر ما يستعمل في الوقود (لسان العرب ٣/٦٩٢، وسيط ٢/٩٤١).

أو يقتل إنسانا ويغطى ، وآخر معد مخبوء فيظهر ليرى أنه قتل ثم أحيي كما فعل الحسين ابن منصور الحلاج(١) فى الجـــدى الأبلق ، وكما فعل الشريعى(٢) والنميرى فى البغلة ، وكما فعـل زبروب بالورزور ، وأنا أدرى من يطعم الدجاج الزرنيخ(٣) فتخدر ولا يشك فى موتها ثم يصب فى حلوقها الزيت فتقوم صحاحا ، وإنما كانت تـكون معجزة لو أحيا عظاماً قـد أرمت ، فيظهر نبات اللحم عليها . فهذه كانت تـكون معجزة ظاهرة لا يشك فيها ولا يقدر غـير نبى عليها البتة ، يظهرها الله — عز وجل — على يديه آية له ، ولقد رأينا الدبر(٤) تبقى فى الماء حتى لا يشك أحد فى أنها ميته ، ثم كنا نضعها للشمس فما تلبث أن تقوم وتطير ، وقد بلغنا مثال ذلك فى الذباب يبقى فى المـاء حتى يسترخى ثم يخرج ويذر عليه سحق الآجر(٥) الجديد ، وآيات الأنبياء — عليهم السلام — لا تـكون من وراء حائط ولا فى مكان

---

(١) راجع حيل الحلاج وعجائبه فى تاريخ بغداد ٨ / ١١٢ ، والجـدى الأبلق : الذكر من أولاد المعز الذى فيه بياض وسواد (وسيط ١ / ٧٠ ، ١١٢) .

(٢) هو زعيم فرقة إسلامية تنسب إليـه وتعرف « بالشريعية » ، وقد زعم الشريعى أن الله حل فى خمسة أشخاص وهم رسول الله وعلى وفاطمة والحسن والحسين ، أما النميرى فهو رجل من أتباعه ادعى أن الإله حل فيه (راجع التبصير ٧٥) .

(٣) عنصر شبيه بالفلزات ، له بريق الصلب ولونه ، ومركباته سامـة يستخدم فى الطب وفى قتل الحشرات (وسيط ١ / ٣٩٣) .

(٤) الدبر : النحل ، وأولاد الجراد ، وقيل الزنابير (لسان العرب ١ / ٩٤٣) .

(٥) الآجر — بتشديد الراء — طبيخ الطين (تاج العروس ٣ / ٨) .

بعينه ولا من تحت ستارة ولا تكون إلا بادية مكشوفة ، وقد فضحت أنا حيلة أبي محمد المعروف بالمحرق(١) في الكلام المسموع بحضرته ولا يرى المتكلم وسمت(٢) بعض أصحابه أن يسمعني ذلك الكلام في فضاء دون بنيان أو في مكان آخر فامتنع من ذلك فظهرت الحيلة ، وأنها قصبة مثقوبة توضع من وراء الحائط على شق خفي فيه ويتكلم الذي شق طرف القصبة على حين غفلة ممن في المسجد كلمات يسيرة الكلمتين والثلاث لا أكثر ، فلا يشك من في البيت مع المحرق الملعون في أن الكلام اندفع بحضرتهم ، وكان المتكلم لي في ذلك محمد بن عبد الله الكاتب(٣) صاحبه ، فإن اعترض معترض بقول الله عز وجل (٤): (وما منعنا أن نُرسِلَ بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) قيل له وبالله تعالى التوفيق: هذا يخرج على وجهين ، أحدهما أن هذا القول منه تعالى تبكيت لقائل قال إنما منع الله تعالى أن يرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون فأنكر تعالى هذا القول ولم يذكر ألف الاستفهام.

وهذا كثير فصيح . والثاني أنه إنما عنى تعالى بذلك الآيات المشترطه في الرقي إلى السماء ، أو أن يكون معه ملك(٥) ، وما أشبه هذا وليس على الله — تعالى — شرط لأحد .

---

(١) لم نعثر له على ترجمة .

(٢) السمت في اللغة : القصد ، فلعله يريد أنه قصد بعض أصحابه (راجع لسان العرب ٢ / ١٩٨) .

(٣) لم نعثر له على ترجمة فيما بين أيدينا من المصادر .

(٤) سوره الاسراء: آية ٥٩ .

(٥) يشير لقول الله تعالى على لسان الكفار عناداً وإستكبارا :(وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا =

قال أبو محمد : والقول الأول هو جوابنا ، لأن الله تعالى لا يمنعه شيء عما يريده ، وكذلك إن اعترض معترض بقول النبي(١) — ﷺ : « ما من الأنبياء إلا من قد أوتى ما على مثله آمن البشر ولقد كان الذى أوتيته وحيا أوحى إلى ، وإنى لأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً يوم القيامه) قيل له — وبالله تعالى التوفيق : إنما عنى رسول الله ﷺ بهذا القول آيته الكبرى الثابته/ الباقية أبد الأبد التى هى أول معجزاته حين بعث وهى القرآن ، لبقاء هذه الآية على الاباد ، وإنما جعلها — عليه السلام — بخلاف سائر آيات الأنبياء — عليهم السلام — لأن تلك الآيات يستوى فى معرفة إعجازها العالم والجاهل ، وأما إعجاز القران فإنما يعرفه العلماء بلغة العرب ثم يعرفه سائر الناس باخبار العلماء لهم بذلك ، مع ما فى التوراة من الإنذار البين برسول الله — ﷺ — من قوله تعالى فيها(٢) : (سأقيم

= كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا » سورة الاسراء الايات ٩٠ - ٩٣ .

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة فى باب فضائل القرآن (٦/ ٢٢٤) وفى باب الاعتصام بالكتاب والسنة (٩ / ١١٣) ط الشعب كما رواه مسلم واحمد فى مسنده (٢/ ٣٤١) طبعة المكتب الاسلامى ببيروت . وقد أورده البخارى بلفظ : « مامن الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر . وإنما كان الذى أتيت — وعند احمد أوتيته — وحيا أوحاه الله إلى ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة ، وفى رواية أحمد تبعا يوم القيامة .

(٢) سفر تثنيه الاشتراع : ١٨ : ١٩ : ٢٠ ولفظه : (أقيم لهم نبيا من بين إخوتهم مثلك ، وألقى كلامى فى فيه فيخاطبهم بجميع ما آمره به ، وأى إنسان لم يطع كلامى الذى يتكلم به باسمى فإنى أحاسبه عليه) . =

لبنى إسرائيل نبيا من إخوتهم أجعل على لسانه كلامى فمن عصاه انتقمت منه) .

قال أبو محمد : ولم تكن هذه الصفة لأحد غير محمد — صلى الله عليه وسلم ، وإخوة بنى اسرائيل هم بنو إسماعيل ، وفى السفر الخامس(١) منها : (جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلى من جبال فاران) .

قال أبو محمد : وسيناء هو موضع تكليم الله — تعالى — موسى — عليه السلام — بلا شك وساعير هو موضع مبعث عيسى — عليه السلام — وفاران بلا شك هى مكة مبعث محمد — ﷺ — بيان ذلك أن إبراهيم — عليه السلام — أسكن إسماعيل — عليه السلام — فاران، ولا خلاف من أحد

= (راجع فى هذه البشارة بذل المجهود فى إفحام اليهود ص ٣٢ ، إظهار الحق ٢ / ٥٠٨ ، الجواب الصحيح ٣ / ٣٢٤) .

(١) سفر التثنيه ٣٣ : ٢ ولفظة : (أقبل الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير وتجلى من جبل فاران) وفاران جبل من مكة ، كان سكنا لاسماعيل — عليه السلام — .

كما جاء فى سفر التكوين ٢١ — ٣١ ، وسكن برية فاران وأخذت له أمه أمرأة من ارض مصر ، اما سيناء ففيها جبل الطور الذى كلم موسى فيه ربه ، وسعير هو جبل الشراة الذى فيه بنو العيص الذين امنوا بالمسيح — عليه السلام — فالآية فيها بشارة واضحة بنبي الاسلام — صلوت الله وسلامه عليه — .

(راجع بذل المجهود ص ٣٥ ، اظهار الحق ٢ / ٥١٧) .

فى أنه إنما أسكنه مكة ، فهذا نص على مبعث محمد - ﷺ - والرؤيا(١) التى فسرها دانيال فى أمر الحجر الذى رأى الملك فى نومه أنه دق الصنم الذى كان بعضه ذهباً وبعضه فضة وبعضه نحاساً وبعضه حديداً وبعضه فخاراً وخلطه كله وطحنه فجعله شيئاً واحداً ، ثم ربا الحجر حتى ملأ الأرض ، ففسرها دانيال بأنه نبي يجمع الأجناس ويبلغ ملك أمره ملء الآفاق ، فهل كان نبي قط غير محمد - ﷺ - جمع الأجناس كلها على اختلافها واختلاف لغاتها وأديانها وممالكها وبلادها فجعلهم جنساً واحدا ولغة واحدة وأمة واحدة ومملكة واحدة وديناً واحداً فإن العرب والفرس(٢) والنبط والأكراد والترك والديلم والجبل والبربر والقبط

---

(١) دنيال ٢ : ٣١ - ٣٦ ولفظه : (إنك أيها الملك رأيت فإذا بتمثال عظيم كان هذا التمثال الكبير والكثير البهاء واقفاً أمامك وكان منظره هائلا ، وكان رأس التمثال من ذهب خالص وصدره وذراعاه من فضة ، وبطنه وفخذاه من نحاس ، وساقاه من حديد وقدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف وفيما أنت رآه إذ انقطع حجر لا باليدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف وسحقهما فانسحق الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً وصارت كعفى البيدر فى الصيف فذهبت بها الريح ولم يوجد لها مكان ، أما الحجر الذى ضرب التمثال فصار جبلا كبيراً وملأ الأرض كلها) .

(راجع إظهار الحق ٢ / ٥٣٠) .

(٢) الفرس : هم - الآن - الإيرانيون ، والنبط : شعب سامى ، كانت له دولة فى شمال شبه الجزيرة العربية ، وعاصمتهم سلع ، وتعرف اليوم بـ (البتراء) والأكراد : شعب يسكن هضبة فسيحة فى آسيا =

ومن أسلم من الروم والهند والسودان على كثرتهم كلهم ينطقون بلغة واحدة وبها يقرؤون القرآن وقد صار كل من ذكرنا أمة واحدة والحمد لله رب العالمين فصحت النبوءة المذكورة بلا شك والحمد لله رب العالمين .

وكل ما ذكرنا فى هذا الباب فإنه يدخل على النصارى الذين يقولون بنبوة عيسى ـ عليه السلام ـ كالآريوسية (١) والمقدونية (٢) والبولقانية (٣) سواء سواء ، مع ما فى الإنجيل من دعاء المسيح ـ عليه السلام ـ فى قوله (٤) (اللهم اجعل الفار قليط ليعلم الناس أن البشر إنسان) .

= الوسطى ، وبلادهم موزعة بين تركيا وإيران ، والعراق وغيرها — أما الديلم . فجيل من العجم كانوا يسكنون نواحى أذربيجان — والبربر : شعب أكثره قبائل تسكن الجبال فى شمال أفريقية ـ والقبط : كلمة يونانية الأصل بمعنى سكان مصر ، ويقصد بهم اليوم المسيحيون من المصريين . (راجع المعجم الوسيط) .

(١) الآريوسية : أتباع آريوس الذى كان من الموحدين (راجع ص ١١٨) .

(٢) المقدونية هم أتباع مقدونيوس الذى أنكر ألوهية الروح القدس (راجع ص ١٢٠) .

(٣) البولقانية : أصحاب بولس الشمشاطى ، يقول ابن البطريق بعد أن ذكر مقالتهم « . . . وهى مقالة بولس الشمشاطى ، بطريق أنطاكية ، وهم البوليقانيون » راجع ص ١٢٠

(٤) لا توجد فى الترجمات العربية الموجودة بين أيدينا الآن كلمة « الفارقليط » واستبدال بها كلمة المعزى ، ولعل المؤلف يشير إلى ما جاء فى آخر أصحاحات إنجيل يوحنا مثل قوله ١٤ : ٢٦ (الفارقليط روح القدس الذى يرسله الآب =

قال أبو محمد : وهذا غاية البيان لمن عقل ، لأن المسيح ـ عليه السلام ـ علم أنه سيغلو فيه قوم فيقولون إنه الله ، فدعا الله فى أن يبعث الذى يبين للناس أنه ليس إلها ولا ابن إله ، وإنما هو إنسان من ولد امرأة من البشر ، فهل أتى بعد المسيح — عليه السلام — نبى يبين هذا إلا محمد — ﷺ — وهذا أمر لا يحيل بيانه على ذى حس سليم وإنصاف ، ونسأل الله تعالى إيزاع(١) الشكر على ما وفق له من الهدى ، فإن قال قائل : فإن المجوس تصدق بنبوة زرادشت وقوم من اليهود يصدقون بنبوة أبى عيسى الأصفهانى ، وقوم من

= باسمى هو يعلمكم كل شىء ، وهو يذكركم كل ما قلته لكم) وجاء ـ أيضاً ـ فى الإصحاح الخامس عشر من إنجيل يوحنا : ٢٦(فأما إذا جاء الفارقليط الذى أرسله أنا إليكم من الآب روح القدس الذى من الآب ينبثق هو يشهد لأجلى) وفى الأصحاح السادس عشر من انجل يوحنا هكذا : ٧ (لكنى أقول لكم الحق : إنه خير لكم) أن انطلق لأنى إن لم أنطلق لا يأتيكم الفار قليط فأما أن انطلقت أرسلته إليكم) وقد أورد هذه النصوص العلامة رحمت الله الهندى عن التراجم العربية المطبوعة سنة ١٨٢١ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ فى بلدة لندن (راجع اظهار الحق ٢ / ٥٣٨) وواضح أن هذه النصوص تغاير النص الذى أورده الإمام ابن حزم .

(١) اقتباس من دعاء سليمان ـ عليه السلام ـ : « رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى ، وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين » — سورة النمل الآية ١٩ — فهو يسأل ربه — سبحانه — أن يلهمه شكر نعمائه وأن يجعله من المولعين بذلك (راجع الراغب الأصفهانى ٨١٨ — ٨١٩)

كفرة الغالية (١) يصدقون بنبـوة بزيغ (٢) الحائك والمغيرة (٣) بن سعيد وبيان(٤) بن سمعان التميمى وغيرهم من كلاب الغالية .

---

(١) كفرة الغالية : هم أهـل البدع الذين ينسبون إلى دين الاسلام ، ولا يعدون فى زمرة المسلمين ، وهم أكثر من عشرين فرقة منهم السبأية والبيانيه وغيرهما (راجع التبصير فى الدين ص ٧١) .

(٢) هو بزيغ بن موسى تنتسب إليه فرقة « البزيغية » وهى إحدى فرق « الخطابية » كانوا يزعموا أنه جعفر بن محمـد هو الله ، وأن كل مايحدث فى قلوبهم وحى ، وزعموا أنه لا يموت منهم أحــد (راجع مقالات الاسلاميين ١/٧٨

(٣) المغيره بن سعيد : كان ساحرا ، يقول : لو أردت أن أحيي عادًا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا لفعلت ، وكان رأى المغيرة التجسيم يقول : أن أعضاءه على عدد حروف الهجاء ، ويقول مالا ينطق به لسان ، تعالى الله عن ذلك - وكان يقول بالهية على وتكفير أبى بكر وعمر وسائر الصحابه إلا من ثبت مع على ، بلغ خبره خالد بن عبد الله القسرى فأرسل إليه ، وأمر بالقصب والنفط فأحضر فأحرقه سنة ١١٩ هـ (الـكامل لابن الأثير ٥/٩٧ . التبصير فى الدين ص ٧١ والبداية ٩/٣٢٣)

(٤) الصحيح أن اسمه بيان ، وليس بنان كما جاء فى بعض كتب المقالات ، ظهر بيان هذا بالعراق فى أوائل القرن الثانى من الهجرة ادعى أن جزءا الهيا حل فيه ، وزاد هوسه فادعى النبوة ، وزعم أنه المراد بقوله تعالى : « هذا بيان للناس » وكان يقول : « أن الله تعالى يفنى جميعه إلا وجهه ، ويحتج بقوله تعالى : ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » ومازال بيان هـذا يمخرق على الناس حتى بلغ خبره خالد بن عبد الله القسرى فأخذه وأحرقه مع المغيرة بن سعيد عام ١١٩ هـ (الـكامل لابن الأثير ٥/٩٨ والبداية والنهاية ٩/٣٢٣ وشرح المواقف ٨/٣٨٥)

فالجواب ـ وبالله تعالى التوفيق : أن أباعيسى وبيان وبزيغا ، والمغيرة ، وسائر من تدعى له الغالية نبوة أو إلهية من خيار الناس وشرارهم لم تظهر لأحد منهم آية بوجه من الوجوه ، والآيات لا تصح إلا بنقل الكواف ، ولا فرق بين من ادعى معجزة لأحد ممن ذكرنا وبين من ادعاها لخاطى الطريق والكذب لا يعجز عنه أحد ، وكل هؤلاء كان بعد رسول الله — ﷺ — وقد أخبر الذى جاءت البراهين بصدقه — ﷺ — أنه لا نبي بعده ، فقد صح البرهان ببطلان ما ادعى لهؤلاء من النبوة ، وأما زرادشت فقد قال كثير من المسلمين بنبوته .

قال أبو محمد : ليست النبوة بمدفوعة قبل رسول الله — ﷺ — لمن صحت عنه معجزة ، قال الله (١) — تعالى — : (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) وقال تعالى (٢) : (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) وقالوا إن الذى تنسب إليه (٣) المجوس الأكذوبات باطل مفترى منهم ، برهان ذلك أن المنانيه تنسب إليه مقالتهم ، والمرقونيه تنسب إليه مقالتهم ، وأقوال هؤلاء كلها متضادة لا سبيل إلى أن يقول بها قائل واحد صادق ولا كاذب فى وقت واحد ، وكذلك المسيح ـ عليه السلام ـ تنسب إليه الملكانية قولهم فى التثليث وتنسب إليه النسطورية قولهم أيضا ، وكذلك اليعقوبيه ، وتنسب إليه المنانية أيضا قولهم ، وكذلك المرقونية ، وهذا برهان ظاهر على كذب جميعهم (٤) عليها (٥) بلا شك ،

---

(١) بعض آية ٢٤ من سورة فاطر

(٢) بعض آية ١٦٤ النساء

(٣) أى زرادشت

(٤) لان أقوالهم متضادة يناقض بعضها بعضا .

(٥) أى زرادشت والمسيح .

وقد رامت الغالية مثل هذا فى القرآن ولكن الله — عز وجل — تولى حفظه، وبالجملة فكل كتاب وشريعة كانا مقصورين على رجال من أهلهما(١) وكانا محظورين على من سواهما، فالتبديل والتحريف مضمون فيهما، وكتاب المجوس وشريعتهم إنما كان طول مدة دولتهم عند الموبذ(٢) وحده. وعند ثلاثة وعشرين هربذاً لكل سفر قد أفرد به وحده لا يشاركه فيه غيره من الهرابذة ولا من غيرهم ولا يباح منه شيء لأحد سواهم، ثم دخل فيه من الخرم بإحراق الاسكندر(٣) لكتابهم أيام غلبته

---

(١) الضمير يعود على الكتاب والشريعة.

(٢) الموابذة: كبار رجال الدين عند الفرس، ويسمى كل واحد منهم موبذان، وكانوا يتولون الوظائف الدينية العليا ويرأسهم الموبذ موبذان أى رئيس الموابذة، وكانت وظيفته تعد أرقى الوظائف الدينية جميعاً، ولم يكن نشاط الموابذة مقصوراً على الشئون الدينية بل إنهم كانوا يمارسون كذلك شئون الطب والقضاء والتعليم ويشتركون فى إدارة الشئون السياسية للدولة ومن ثم كان لهم سلطان كبير حتى على الملوك أنفسهم.. أما طائفة الهرابذة — جمع هربذ بكسر الهاء والباء — فهم صغار رجال الدين وكانت منزلتهم دون منزلة الموابذة، وكانوا يتولون إقامة الشعائر الدينية فى هياكل النار (راجع زاردشت الحكيم ص ٩٨ والأسفار المقدسة ص ١٤٨).

(٣) هو الاسكندر الأكبر، ملك مقدونيا، وأشهر قائد حربى فى العالم القديم، وهو ابن « فيليب » ولد عام ٣٥٦ ق.م، أسلمه والده إلى الفيلسوف أرسطو ليربيه فقرأ الاسكندر على أستاذه أكثر المعارف الإنسانية المعروفة إذ ذاك، خلف أباه على مقدونيا وعمره عشرين سنة، أصابته حمى لم تمله غير أحد عشر يوما فمات ولم يبلغ الثالثة والثلاثين من عمره سنة ٣٢٣ ق.م.

لدارا(١) بن دارا ، وهم مقرون بلا خلاف من أحد منهم أنه ذهب منه مقدار الثلثين ، ذكر ذلك «بشير» الناسك وغيره من علمائهم، وكذلك التوراة إنما كانت مدة ملك بنى إسرائيل عند الكوهن(٢) الأكبر الهاروني وحده لا يشكر ذلك منهم إلا كذاب مجاهر ، وكذلك الإنجيل إنما هى كتب أربعة مختلفه من تأليف أربعة رجال فأمكن فى كل ذلك التبديل ، وقد نقلت كواف المجوس الآيات عن زرادشت كالصفر الذى أفرغ على صدره

= (راجع دائرة المعارف الإسلامية ٣١٨/٣ ودائرة معارف القرن العشرين ٣١١ والموسوعة العربية الميسرة ١٥١) .

(١) هو دارا بن دارا بن بهمن اسفنديار بن بشتاسب ، وكان شابا غرا حقودا جباراً ، ملك أربع عشر سنة فأساء السيرة فى رعيته ، غزاه الاسكندر على حين ذلك وقد مله أهل مملكته وسئموه ، فقتله أصحابه وتقربوا برأسه إلى الاسكندر .

(راجع ترجمته فى تاريخ الطبرى ٥٧٢/١ وما بعدها) .

(٢) هو ما يطلق عليه عند أهل الكتاب الآن الكاهن الأعظم أو الكاهن الرأس أو رئيس الكهنة . . وأول من تقلد هذه الوظيفة هارون — عليه السلام — وخلفه فى ذلك العازار ابنه ، ثم بقيت رئاسة الكهنوت فى عائلته إلى أيام عالى الذى كان من بيت ايثامار ، وكانت وظيفة رئيس الكهنة تدوم مدة حياة صاحبها إلا أن سليمان أهمل هذا القانون بعزله أبياثار وإقامته صادوق مكانه ، وقد أصبحت وظيفة رئيس الكهنة قبل ميلاد السيد المسيح آلة فى أيدى حكام البلاد ولاسيما هيرودس وخلفاوه ، وكانت واجبات رئيس الكهنة مهمة إذ كان لا يسمح لغيره بدخول قدس الأقداس وذلك مرة واحدة فى السنة فى يوم الكفارة ، وكان هو المشرف المسئول على الهيكل ، وفى أيام المسيح — عليه السلام — كان رئيس الكهنة رئيس المجمع الأعلى لليهود أيضا (راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٧٩٤) .

وهو مذاب بحضرة الناس — فلم يضره، وقوائم(١) الفرس التي غاصت في بطنه فأخرجها، وغير ذلك، وممن قال إن المجوس أهل كتاب علي بن أبي طالب وحذيفة - رضي الله عنهما - وسعيد(٢) بن المسيب وقتادة(٣) وأبو ثور(٤) وجمهور أصحاب الظاهر، وقد بينا البراهين الموجبة لصحة هذا القول في كتابنا المسمى بالإيصال(٥) في كتاب الجهاد منه وفي كتاب الذبائح منه وفي كتاب النكاح منه والحمد لله رب العالمين .

---

(١) راجع تفصيل ذلك في الملل والنحل للشهرستاني ٢٢١/١ والأسفار المقدسة ص ١٣٣ .

(٢) يكنى أبا محمد . . ولد لسنتين خلتا من خلافة عمر — رضي الله عنه — قال برد مولى بن المسيب : ما نودي بالصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد، مات رضي الله عنه - بالمدينة وهو ابن أربع وثمانين سنة رحمه الله (راجع الطبقات الكبرى ١٢٨/٢ وصفوت الصفوة ٧٩/٢)

(٣) هو التابعي الجليل قتادة بن دعامه السدوسي ولد سنة ٦٠ هـ، كان مفسرا وفقيها وعالما بالشعر والأنساب توفي سنة ١١٨ هـ

(راجع الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١٣٣/٣ والتهذيب لابن حجر ٣٥١/٨ والوفيات لابن خلكان ٥٣٠/١) .

(٤) هو إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان أصله من بغداد سمع من سفيان بن عيينه وغيره في بغداد ومكة، اتبع المذهب الحنفي في بادىء الأمر ولكنه انضم بعد ذلك إلى الشافعية، كان محدثا وفقيها مرموق المكانة توفي ٢٤٠هـ،

(راجع في ترجمته تاريخ بغداد ٧٥/٦ وفيات الأعيان ٢/١ وطبقات الشافعية للسبكي ٢٢٧/١) .

(٥) هو كتاب الإيصال إلى فهم الخصال وهو من الكتب المفقودة لابن حزم، ويذكر المؤرخون أنه أربعون مجلداً، ويقال إن جزءاً منه بمكتبة حميد الدين باليمن ولم يثبت ذلك (راجع مبحث تراث ابن حزم) .

ويكفى من ذلك صحة أخذ رسول الله - ﷺ - منهم الجزية، وقد حرم الله تعالى - فى نص القرآن فى آخر سورة نزلت منه وهى « براءة »(١) أن تؤخذ الجزية من غير الكتابى.

قال أبو محمد: وأما العيسوية(٢) من اليهود فإنه يقال لهم: وإذا صدقتم الكافة فى نقل القرآن عن النبى - ﷺ - وفى نقل معجزاته وصحة نبوته فقد لزمكم الانقياد لما فى القرآن من أنه - عليه السلام - بعث إلى الناس كافة، بقوله تعالى فيه أمراً لرسوله - ﷺ - أن يقول(٣): (يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا) وقوله تعالى فيه(٤): (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) وقوله(٥) تعالى فيه: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) ومافيه(٦) من دعاء اليهود إلى ترك ماهم عليه والرجوع إلى

---

(١) يشير إلى الآية ٢٩ من سورة براءة: « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ».

(٢) راجع ص ٢٦٢

(٣) الآية: ١٥٨ من سورة الأعراف.

(٤) الآية ٨٥ من آل عمران.

(٥) الآية ٢٩ من سورة التوبة.

(٦) من هذه الآيات التى حث فيها القرآن الكريم أهل الكتاب على الدخول فى الإسلام بأسلوب لين حكيم قوله تعالى: « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم [أن نعبد] إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا =

شريعته ـ عليه السلام ـ وهذا ما لا مخلص لهم منه ، فإن اعترضوا بما فى القرآن بما حرم عليهم يعنى اليهود وحضهم على التزام السبت فإنما تبكيت لهم فيم سلف من أسلافهم الذين قفوا هم آثارهم يبين هذا نص القرآن(١) فى قوله تعالى عن عيسى بن مريم — عليه السلام — أنه رسول الله إلى بنى إسرائيل ليحل لهم بعض الذى حرم عليهم ، وهذا نص جلى لا يحتمل تأويلا على نسخ شريعتهم وبطلانها ، ثم لاينكره أحد لا مؤمن ولا كافر من أنه — عليه السلام — حارب يهود بنى إسرائيل من بنى قريظة والنضير وهزل وبنى قينقاع وقتلهم وسباهم وألزم أهل خيبر(٢) الجزية وسماهم كفارا إذ لم يرجعوا إلى الإسلام ، وقبل إسلام من أسلم

= بأنا مسلمون » سورة آل عمران الآية ٦٤ ، وكذلك قوله سبحانه : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » سورة المائدة ١٥ — ١٦ .

(١) يشير إلى قول الحق ـ سبحانه ـ فى سورة الصف : « وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم .. الآية » وقوله تعالى فى سورة آل عمران الآية ٥٠ : « ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم .. » .

(٢) خيبر — بوزن جعفر — مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ، تقع إلى جهة الشام من المدينة ، سميت باسم رجل من العماليق نزلها ، وكان اسمه خيبر ، وقيل الخيبر اسم الحصن أو القلعة (بنو إسرائيل ص ٤٠٠) .

منهم(١) . فلو لم يكن دينهم منسوخا ما حل له إجبارهم على تركه(٢) بالقتل أو الإسترقاق ، أو الجزية والصغار : ولا جاز له قبول ترك من ترك منهم لدين بنى إسرائيل : ومن المحال الممتنع أن يكون(٣) عندالعيسويين رسولا صادقا نبيا ثم يجور ويظلم ويبدل دين الحق : فوضح فساد قولهم وتناقضه بيقين لا إشكال فيه والحمد لله رب العالمين .

وهكذا يقال لمن أقر بنبوة بعض الأنبياء عليهم السلام — من فرق الصابئين(٤) كإدريس(٥) وغيره ممن لا يوقن بصحة قولهم فيه ،

---

(١) مثل عبدالله بن سلام وغيره ممن دخل الإسلام من اليهود .

(٢) أى دين اليهودية .

(٣) أى محمد ﷺ : لأن العيسوية من فرق اليهود يرون أنه رسول إلى العرب فقط دون غيرهم .

(٤) راجع عن الصابئة : الفهرست لابن النديم ص ٤٤٢ : والملل والنحل للشهرستانى : ٢/٦٦٩ والمغنى ٥/١٥٢ وكتب التفسير خاصة : الفخر الرازى) :

(٥) هو إدريس بن يارد بن مهلائيل : ولد بمصر وسموه هرمس الهرامسة : وقال آخرون : إنه ولد ببابل : فى التوراة العبرية « خنوخ » « وفى الترجمة العربية » : « أخنوخ » أعطى النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام .

(قصص الأنبياء ص ٢٤) .

كعاديمون(١) واسقلابيوس(٢) وأيلون وغيرهم ، ويقال للمجوس المقتصرين على زرادشت(٣) فقط ، أخبرونا : بأى شيء صحت نبوة من تدعون له النبوة ؟ فليس هاهنا إلا صحة ما أتوا به من المعجزات ، فيقال لهم : إن النقل إلى محمد - ﷺ - فى معجزاته أقرب عهدا ، وأظهر حجة ، وأكثر عدد ناقلين ، وأدخل فى الضرورة ، وأبعد من كل علة وأسلم من كل اعتراض من نقلكم بلاشك ، وهذا لاتخلص لهم منه ، لأنه نقل ونقل فقط ، إلا أن نقلنا أفشى وأشهر ، وأقوى انتشارا من مبدئه ، ثم اتصاله على رتبة واحدة إلى اليوم ، هذا مع ذهاب دين الصابئين(٤) وانقطاع أهله جملة ، ورجوع نقلهم إلى من لا يقوم بهم حجة لقلتهم ، ولعلهم اليوم فى جميع الأرض لايبلغون أربعين(٥)، وأما المجوس فإنهم معترفون بأن كتابهم الذى فيه دينهم أحرقه الاسكندر إذ قتل دارا بن دارا،وأنه ذهب منه الثلثان(٦)

---

(١) عاديمون : لعله « أغثاذيمون » أو « غوثاذيمون » قيل : إنه كان أحد الأنبياء اليونانيون والمصريين وقال الشهرستانى . أن أغثاذيمون هو شيث بن آدم عليهما السلام .. (وقصص الأنبياء ص ٢٥) .

(٢) اسقلابيوس : يكتب أيضا « اسقبليوس » أحد الملوك الأقوياء فى عهد إدريس عليه السلام .. (قصص الأنبياء للنجار ٢٧) .

(٥) هذه مبالغة من المؤلف لا نقره عليها .

(٦) هذا ما يؤكده التاريخ حيث أن كتابهم المقدس وهو المعروف بالأبستاق كان يشتمل على واحد وعشرين سفراً ، وكان مجموع الفصول التى تشتمل عليها هذه الأسفار ألف فصل، وقد فقدت جميع نسخ الأبستاق بعد غزو الإسكندر لفارس سنة ٣٣٠ ق . م ، وفقدت معها تفاسيره والمؤلفات التى كانت تشمل على شيء من أجزائه ، وظلت بعد ذلك نصوص =

وأكثر ، ولم يبق إلا أقل من الثلث ، وأن الشرائع كانت فيما ذهب ، فإذ هذه صفة دينهم فقد بطل القول به جملة لذهاب جمهوره ، وأن الله تعالى لا يكلف أحدا ما لم يتكفل بحفظه حتى يبلغ إليه ، وفى كتاب لهم اسمه (خداى نامه) يعظمونه جدا أن أنوشروان(١) الملك منع من أن يتعلم دينهم فى شىء من البلاد كلها إلا فى أزد شيرحره ، وفشامن دازتجرد فقط ، وكان قبله لا يتعلم إلا باصطخر فقط ، وكان لا يباح إلا لقوم خصائص ، وكتابهم الذى بقى بعد ما أحرق الاسكندر ثلاثة وعشرون سفرا ، فلهم ثلاثة وعشرين هربذا لكل هربذ سفر لا يتعداه إلى غيره ، وموبذ موبذان يشرف على جميع تلك الأسفار ، وما كان هكذا فهو فاسد لا يجوز القطع بصحته ، هذا إلى مافى كتبهم التى لا يصح دينهم إلا بالاعمان بها من الكذب،

= الأبستاق أو بعضها فى حوافظ الموابذة (كبار رجال الدين عند الفرس) والفقهاء يتناقلها الناس عنهم مشافهة ، وفى النصف الأخير من القرن الأول الميلادى (٥١ — ٨٧) شرع فولوجيسيس الأول (بلاش الأول) ملك فارس فى تدوين ما بقى من حوافظ الناس من الأبستاق ، وأكمل عمله هذا فى القرن الثالث الميلادى الملك أردشير مؤسس الدولة الساسانية ، وبلغ ما تم تدوينه فى هذين العهدين واحداً وعشرين سفراً تشتمل على ٣٤٨ فصلا من فصول الأبستاق التى كانت تبلغ ألف فصل كما قدمنا ، أى أنه قد فقد منه نحو الثلثين .

(راجع الأسفار المقدسة ١٣٥ - ١٣٦)

(١) أنوشروان : هو الملك الساسانى الملقب بالعادل توفى حوالى بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى أباد دعاة الاشتراك فى الأموال والأبضاع من أصحاب مزدق الاباحى الذى أفسد بلاد الفرس .

(راجع التبصير ص ٧٩ (هامش) .

الظاهر ، كقولهم « أنجم »(١) الملك كان يركب إبليس حيث شاء ، وأن مبدأ الناس من بقلة الريباس وهى « استرالية » وبعضهم من ولادة بيروان شياوس ابن كيفاوس بنى مدينة « كنذكنذ بين السماء والأرض وأسكنها ثمانين ألف رجل من أهل البيوتات ، هم فيها إلى اليوم فإذا ظهر بهرام هماوند راكبا على بقرة ليرد ملكهم نزلت تلك المدينة إلى الأرض ونصروه وردوا دينهم وملكهم قال أبو محمد : وكل كتاب(٢) دون فيه الكذب فهو باطل موضوع ليس من عند الله — تعالى — فظهر من فساد دين المجوس كالذى ظهر من فساد دين اليهود والنصارى سواء سواء والحمد لله رب العالمين

ذكر مناقضات ظاهرة ، وتكاذيب واضحة فى الكتاب الذى تسميه اليهود التوراة وفى سائر كتبهم وفى الأناجيل الأربعة ، يتيقن بذلك . تحريفها وتبديلها وأنها غير الذى أنزل الله تعالى

قال أبو محمد : نذكر إن شاء الله تعالى ما فى كتبهم المذكورة من الكذب الذى لا يمك ذو مسكة(٣) تمييز فى أنه كذب على الله تعالى وعلى الملائكة ، وعلى الأنبياء — عليهم السلام — إلى أخبار أوردوها لا يخفى الكذب فيها على أحد كما لا يخفى ضوء النهار على ذى بصر ، ولقد كنا نعجب

---

(١) لعله « جم » ولقبه رشيد أى النير (راجع مفاتيح العلوم ص ٨٧) .

(٢) هذه العبارة تلقى الضوء على منهج المؤلف فى دراسة الكتب المقدسة والحكم عليها

(٣) قال فى لسان العرب (٣/٤٨٥) : رجل ذو مسكة ومسك أى رأى وعقل يرجع إليه ، وهو من ذلك .

من إصفاق(١) النصارى على تلك الأقوال الفاسدة المتناقضة التى لا يخفى فسادها على أحد به رمق(٢) إلى أن وقفنا على ما بأيدى اليهود فرأينا أن سبيلهم وسبيل النصارى واحدة كشق الأبلمة(٣) وثبت بذلك عند كل منصف من المخالفين صحة قولنا أن كل من خالف دين الإسلام، ونحلة السنة، ومذهب أصحاب الحديث فإنه غارق بضلال ماهو عليه، إلا أنهم بخذلان الله ـ تعالى ـ إياهم مكابرون لعقولهم مغلوبون لأهوائهم وظنونهم على يقينهم، تقليدا لأسلافهم وعصبية أو استدامة لرياسة دنيوية. وهكذا وجدنا أكثر من شاهدنا من رؤسائهم فنحمد الله ـ تعالى ـ كثيرا على ما هدانا له من الإسلام ونحلة السنة واتباع الآثار الثابتة، ونسأله تثبيتنا على ذلك وأن يجعلنا من الدعاة إليه حتى يدعونا إلى رحمته ورضوانه عند لقائه آمين آمين.

قال أبو محمد: وليعلم كل من قرأ كتابنا هذا أننا لم نخرج من الكتب المذكورة شيئاً يمكن أن يخرج على وجه ما وإن دق وبعد(٤)، والاعتراض بمثل هذا لا معنى له، وكذلك أيضا لم نخرج منها كلاما لا يفهم معناه وإن كان موجودا فيها، لأن للقائل أن يقول قد أصاب الله ـ تعالى ـ به ما أراد، وليس جهلنا به بما يدل على فساده، وإنما أخرجنا ما لا حيلة فيه ولا وجه أصلا إلا الدعاوى الكاذبة التى لا دليل عليها أصلا لا محتملا ولا خفيا.

---

(١) أصفق القدم على كذا: أى أجمعوا.

(٢) الرمق: بقية الروح (وسيط ١/٣٧٢).

(٣) الأبلمة: مثلثة الهمزة واللام خوص المقل يشق شقين ـ ويقال قسمنا المال بيننا شق الأبلمة أى نصفين. (راجع لسان العرب ١/٢٦٣).

(٤) لم يلتزم المؤلف بهذا المنهج الذى رسمه لنفسه كما وضحنا ذلك فى موضعه راجع ص ٣٤٩

فصل : قال أبو محمد : أول ذلك أن بأيدى السامرية (١) توراة غير التوراة التى بأيدى سائر اليهود ، يزعمون أنها المنزلة على موسى، ويقطعون بأن التى بأيدى سائر اليهود محرفة مبدلة ، وسائر اليهود يقولون إن التى بأيدى السامرية محرفة مبدلة ، ولم تقع الينا توراة السامرية بأسرها لأنهم لا يستحلون الخروج عن فلسطين والأردن أصلا ، إلا أنه ثبت عندنا أن فى توراتهم أن من هبوط آدم — عليه السلام — من جنة عدن إلى وقت الطوفان ألف سنة ، واحدا وثلاث مائة سنة وسبع وستين ، وفى التوراة التى بأيدى الربانية (٢) والعانانية (٣) أن من هبوط آدم — عليه السلام — من جنة عدن إلى وقت الطوفان ألف سنة واحدا وست مائة سنة وخمسين سنة ، وفى التوراة التى ترجم السبعون (٤) شيخا من أحبار اليهود لبطليموس — ويذكر النصارى أن عليها يعولون (٥) — أن من هبوط آدم من جنة عدن

---

(١) راجع ص ٢٥٩ .

(٢) راجع ص ٢٦٢ .

(٣) راجع ص ٢٦١ .

(٤) الترجمة السبعينية : هى الترجمة التى قام بها جماعة من يهود الاسكندرية الذين كانوا يتكلمون اليونانية تحت رعاية بطليموس فيلادلفوس عام ٢٨٥ ق . م ، وقيل أن عدد هؤلاء المترجمين كان اثنين وسبعين ولهذا دعيت بالسبعينية ، وكان اليهود يزعمون أن الله أوحى للعلماء الذين قاموا بالترجمة السبعينية بكلمات هذه الترجمة .

(راجع المرشد إلى الكتاب المقدس ١/٥٤ وقاموس الكتاب المقدس ص ٢٦٧) .

(٥) جاء فى قاموس الكتاب المقدس : فى بيان أهميتها للنصارى — وهى التى كانت مستعملة فى أيام المسيح ، وقد استشهد كتاب العهد الجديد —

إلى وقت الطوفان ألفى سنة إثنتين ومائتى عام واثنين وأربعين عاما ، وفى توراة أخرى لطائفة من اليهود أن من هبوط آدم عليه السلام من جنة عدن إلى وقت الطوفان ستة مائة سنة وسبعا وخمسين سنة وثمانية أشهر غير ثمانية أيام .

قال أبو محمد : فصح بهذا أنها مكذوبة مفتعلة لا يصح منها شيء لأن هذه الأعداد لا يجوز البتة أن يكون جميعها حقا منزلا من عند الله ـ عز وجل على نبي صادق ولا منقولا كل ذلك نقل تواتر يوجب صحة العلم عن خبر صادق وليس بعضها بأولى بالتصديق من بعض فصح أنها كلها كذب إذ لا برهان على صحة شيء منها دون سائرها ، والحمد لله رب العالمين .

فصل أول .

قال أبو محمد : فى أول ورقة من توراة اليهود التى هى عند ربانيهم وعانانيهم وعيسويهم حيث كانوا فى مشارق الأرض ومغاربها ، لا يختلفون فيها على صفة واحدة لو رام أحد أن يزيد فيها لفظة أو ينقص منها أخرى لافتضح عند جميعهم مبلغة كذلك إلى أحبارهم (١) الذين كانوا أيام ملك الهارونية لهم قبل الخراب الثانى (٢) بدهر ، ويذكرون أنها مبلغة كذلك

= وآباء الكنيسة الاول بآياتها أما حرفيا أو حسب المعنى وما زالت تعد من أسس الإيمان فى بعض الكنائس الشرقية اليوم د الموضع السابق .

(١) الأحبار : جمع حبر ، أو حبر ـ بالكسر ـ وهو العالم .

(٢) الخراب الثانى لأورشليم كان على يد (تيطس) الرومانى عام ٧٠ ميلاديه أما الأول فحدث سنة ٥٨٦ ق . م .

من أولئك إلى عذراء (١) الوراق الهارونى ، فى صدرها ، قال الله تعالى:
(أصنع بناء آدم كصورتنا كشبهنا)(٢) .

قال أبو محمد : لو لم يقل إلا كصورتنا لكان له وجه حسن ومعنى صحيح وهو أن نضيف الصورة إلى الله تعالى إضافة الملك والخلق كما نقول هذا عمل الله ، وتقول للقرد والقبيح والحسن هذه صورة لله . أى تصوير الله ، والصفة التى انفرد بملكها وخلقها ، لكن قولنا كشبهنا منع التأويلات وسد المخارج وقطع السبل وأوجب شبه آدم لله — عز وجل — ولا بد ضرورة ، وهذا يعلم بطلانه ببديهة العقل ، إذ الشبه والمثل معناهما واحد ، وحاشى لله أن يكون له مثل أو شبيه .

(فصل ثانى) :

قال أبو محمد : وبعد ذلك قال (٣) : ونهر يخرج من عدن فيسقى

---

(١) يرجع إليه الفضل فى أعادة طائفة من بنى إسرائيل فى القرن — الخامس ق . م من منفاهم فى بابل إلى أوطانهم وقد حرر الديانة اليهوديه وأعاد إليها بعض معالمها وجدد بناء بيت المقدس ، وإليه ينسب تحرير كثير من أسفار العهد القديم ، ونال منزلة كبيرة فى نفوس بنى إسرائيل حتى لقد اعتقدت بعض فرقهم أنه ابن الله ، وإلى هذا يشير القرآن الكريم إذ يقول : « وقالت اليهود عزير ابن الله » (آية ٣٠ : من سورة التوبة) (راجع الأسفار المقدسة ص ١٤) .

(٢) سفر التكوين ١/٢٧ .

(٣) تكوين ٢ : ١١ — ١٦ ولفظه : (وكان نهر يخرج من عدن فيسقى الجنة ومن ثم ينشعب فيصير أربعة أرؤس ، اسم أحدها فيشون وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب ، وذهب تلك الأرض جيد ، وهناك —

الجنان ، ومن ثم يفترق فيصير أربعة أروس ، اسم أحدها النيل وهو محيط بجميع بلد زويله (١) الذى به الذهب ، وذهب ذلك البــلد جيد ، وبها اللؤلؤ وحجارة البلور ، واسم الثانى جيحان (٢) وهو محيط بجميع بلاد الحبشة ، واسم الثالث الدجلة (٣) وهو السائر شرق ،

ـ المقل وحجر الجزع ، واسم النهر الثانى جيحون وهو المحيط بجميع أرض الحبشة ، واسم النهر الثالث حداقل وهو الجارى فى شرق أشور والنهر الرابع هو الفرات ، وأخذ الرب الاله الإنسان وجعله فى جنة عدن) وفى التوراة السامرية : « ونهر يخرج من النعيم لسقى الجنان . ومن هناك يفترق ويصير أربع جداول اسم الواحد النيل ، وهو المحيط بكل أرض زويلة التى هناك الذهب ، وذهب تلك الأرض حسن جدا .. واسم النهر الثانى جيحون . وهو المحيط بكل أرض السودان . واسم النهر الثالث دجلة وهو السائر شرقى الموصل . واسم النهر الرابع هو الفرات » وواضح أن نص المؤلف أقرب مايكون للتوراة السامرية .

(١) فى الترجمة الحديثة : حويلة » وهى مقاطعة فى بلاد العرب ، يسكن بعضها الكوشيون ويسكن البعض الآخر اليقطانيون ، وهم شعب سامى . والصلة بين حويله وحضرموت وأماكن أخرى فتشير إلى موقع فى وسط البلاد العربية أو جنوبها (قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٢٩) .

(٢) يسمى فى التوراة : « جيحون » اسم عبرى معناه « نبع متدفق » وهو اسم نهر يظن أنه نهر أركيس الذى يصب فى بحر قزوين (قاموس الكتاب ص ٢٧٩) .

(٣) يسمى فى الترجمة الحديثة « حداقل » وهو نهر ينابيعه الرئيسية فى وسط أرمينيا حيث تنبع من المنحدر الجنوبى للجبال المقابلة لجبال طورس وطول مجرى الدجلة إلى ملتقاه مع الفرات عند شط العرب هو ١١٤٦ ميلا

الموصل(١) واسم الرابع الفرات، وأخذ الله آدم ووضعه فى جنات عدن) .

قال أبو محمد : فى هذا الكلام وحده من الكذب وجوه فاحشة قاطعة بأنها من توليد كذاب مستهزىء ،أول ذلك أخباره أن هذه الأنهار الأربعة تفترق من النهر الذى يخرج من جنان عدن التى أسكن الله عز وجل ـ فيها آدم . إذ خلقه ثم أخرجه منها إذ أكل من الشجرة التى نهاه الله تعالى ـ عن أكلها ، وكل من له أدنى معرفة بالهيئة وبنصبة الربع المعمور من الأرض الذى هو فى شمال الأرض . أو من مشى إلى مصر والشام والموصل يدرى أن هذا كله كذب فاضح وأن مخرج النيل من عين الجنوب (٤) من

ـ أى أكثر قليلا من نصف طول النهر الشقيق، أما النهر المتحد فطوله ١٢٠ ميلا ، وهذا النهر يقسم بغداد إلى قسمين (راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٢٩٥ .

(١) بالفتح وكسر الصاد مدينة مشهورة ببلاد العراق تقع على طرف دجله (مراصد الإطلاع ٣/١٣٣٣) .

(٢) الفرات : أحد الأنهار الكبيرة فى آسيا الغربية ، يتحد معه فى العراق نهر دجلة فيشكلان شط العرب ثم يصب فى خليج العرب ، طوله ١٨٠٠ ميل .

(٣) معرفة الهيئة : تطلق على علم الفلك وهو علم يبحث عن أحوال الأجرام السماوية وعلاقة بعضها ببعض، وما لها من تأثير على الأرض (وسيط ٢/١٠٢) ولا شك أن معرفة الأنهار ومسارتها والمعادن وأماكنها يتصل بعلم الجغرافيا وليس بعلم الهيئة كما يقول المؤلف .

(٤) عند بحيرة فيكوريا .

خارج المعمور ، ومصبه قبالة تنيس (١) وقبالة الاسكندرية فى آخر أعمال مصر فى البحر الشامى ، وأن مخرج الدجلة والفرات وجيحان من الشمال ، فيخرج (٢) من بلاد الروم ويمر مابين المصيصة (٣) وربضها المسمى كفربيا (٤) حتى يصب فى البحر الشامى على أربعة أميال من المصيصة ، وأما دجلة فمخرجها من أعين بقرب خلاط (٥) من عمل أرمينية (٦)

---

(١) تنيس : بكسرتين وتشديد النون ، وياء ساكنة والسين مهمله من البلاد المندرسة فى بحيرة المنزلة ، مابين الفرقا ودمياط . والفرقا فى شرقيها (راجع معجم البلدان لياقوت ٢/١٥ ، القاموس الجغرافى ١/١٥٢) .

(٢) أى جيحان .

(٣) المصيصة : بالفتح ، ثم الكسر والتشديد ، وياء ساكنه : مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام ، بين أنطاكية وبلاد الروم كانت من الأماكن التى يرابط بها المسلمون قديما .

(مراصد الإطلاع ٣/ ١٢٨) .

(٤) كفربيا : مدينة بازاء المصيصة على شاطىء جيحان، كانت قدخربت قديماً ثم جدد بناءها الرشيد .

(معجم البلدان ٤/٤٦٨) .

(٥) بكسر أوله وآخره طاء مهمله : بلدة عامرة مشهورة كثيرة الخيرات وهى قصبد أرمينية الوسطى ، يضرب ببردها فى الشتاء المثل .

(راجع مراصد الاطلاع ١/٤٧٦) .

(٦) أرمينية : أقليم جبلى يقع جنوب القوقاس وكانت تكون دولة منذ القرن الأول قبل الميلاد ، وأرمينية فى العصر الحاضر أحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى وتبلغ مساحتها ٥ر١١ ألف م . م .

(القاموس الاسلامى ١/٧٢) .

بقرب آمد(١) من ديار بكر، وتصب مياهها في البطائح المشهورة بقرب البصرة(٢) في أرض العراق متاخمة أرض العرب، وأما الفرات فمخرجه من بلاد الروم على يوم من (قاليقلا(٣)) قرب أرمينية(٤)، ثم يخرج إلى مالطية(٥)، ثم يأخذ على أعمال الرقة(٦) إلى العراق، وينقسم إلى قسمين كلاهما يقع في دجله، فهذه كذبة شنيعة كبيرة لا مخلص منها، والله تعالى لا يكذب

وثانية وهي قوله أن النيل محيط بأرض زويلة، وجيحان محيط ببلاد الحبشة، وهذه كذبة شنيعه فاحشة / مافي جميع أرض السودان والحبشة

---

(١) آمد مدينة كبيرة في ديار بكر مجاورة لبلاد الأناضيل (دائرة معارف القرن العشرين ١ / ٥٦٨

(٢) البصرة : مينا عراقية تقع على شط العرب بعد التقاء نهر دجلة بالفرات وعلى مسيرة ٧٥ ميلا من رأس الخليج وهو أولى الموانى العراقية وثالثة المدن الكبرى (راجع القاموس الاسلامى ١ / ٣٢٢)

(٣) قاليقلا : بارمينية العظمى من نواحى خلاط ثم من نواحى منازجرد من نواحى أرمينيه الرابعة، ينسب إليها أبو على القالى صاحب كتاب الأمالى (راجع المعجم البلدان ٤/ ٢٩٩)

(٤) راجع ص

(٥) ملطية : بفتح أوله وثانيه، وسكون الطاء، وتخفيف الياء، والعامة تقوله بتشديد الياء وكسر الطاء، وهى من بناء الاسكندر وجامعها من بناء الصحابه : بلد من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام (معجم البلدان ٥ / ١٩٢)

(٦) الرقة : بفتح أوله وثانيه وتشديده، مدينة مشهورة على الفرات من جانبها الشرق، بينها وبين حران ثلاثة أيام (مراصد الاطلاع ٢/٦٢٦)

وغير الحبشة نهر إلا النيل ، وماثم غيره أصلا ، ويتفرع سبعة فروع كلها أصلها واحد ومخرجها واحد ، ثم تجتمع فوق بلاد النوبة(١) .

وكذبة أخرى ثالثة وهى قوله أن ببلاد زويله اللؤلؤ الجيد وهذا كذب ما للؤلؤ بها مكان أصلا ، إنما اللؤلؤ فى مغاصاته فى بحر فارس(١) وبحر(٢) الهند ، وأنهار بالهند والصين ، وهذه فضائح لاخفاء بها لم يقلها الله تعالى قط ولا نبى ولا إنسان يهاب الكذب ، فإن قال قائل قد صح(٣) عن نبيكم ﷺ أنه قال : (النيل والفرات وجيحان و سيحان من أنهار الجنة) قلنا نعم هذا حق لاشك فيه ومعناه هو على ظاهره بلا تكلف تأويل أصلا ، وهى أسماء أنهار فى الجنة كالكوثر والسلسبيل ، فإن قيل : فقد صح(٤) عنه — عليه السلام — أنه قال : (ما بين بيتى(٥) ومنبرى روضة من رياض الجنة)

---

(١) النوبة : بلاد واسعة عريضة تقع فى جنوب مصر ، أول بلادهم بعد أسوان ، وأهلها نصارى يعاقبه (معجم البلدان ٥ / ٣٠٥)

(٢) بحر فارس ، وأطلق على خليج فارس (الخليج العربى) وعلى جانب المحيط الهندى المجاور لسواحل فارس (القاموس الاسلامى ١:٢٧٦)

(٣) بحر الهند ، ويقصد به المحيط الهندى وإن كان العرب قد أطلقوا عليه أسماء متعددة بحسب الأقاليم التى تجاوره كبحر العرب والزنج وفارس

(٤) البخارى . كتاب الأشربة ٧ : ١٤١ ومسلم ، باب مافى الدنيا من أنهار الجنه ٤ : ٢١٨٣ ط الحلبى (المرجع السابق ١ : ٢٧٨) ومسند أحمد ٢ : ٢٤٤ ، ٢٦١ ، ٢٨٩ ط صادر

(٥) رواه البخارى ومسلم وغيرهما من حديث عبد الله بن زيد المازنى وهو حديث متواتر كما قال السيوطى (تحذير الساجد للألبانى ص ١٩٩)

(٦) هذا هو اللفظ الصحيح «بيتى» وأما اللفظ المشهور على الألسنة=

وروى عنه : (ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة قلنا نعم هذا حق وهو من أعلام نبوته ، لأنه أنذر بمكان قبره فكان كما قال وذلك المكان لفضله وفضل الصلاة فيه يؤدى العمل فيه إلى دخول الجنة فهى روضة من رياضها لذلك وباب من أبوابها ، ومعهود اللغة أن كل شىء فاضل طيب فانه يضاف إلى الجنة فنقول فى اليوم السجسج(١) الهنىء هذا يوم من أيام الجنة ، وقال الشاعر : روائح الجنة فى الشباب . وليس كذلك هذا الذى فى توراة اليهود ، لأن واضعها لم يدعنا فى لبس من كذبه ، بل بين أنه عين النيل المحيط بأرض زويله بلد الذهب الجيد ، ودجله التى بشرقى الموصل وجيحان المحيط ببلاد الحبشة الذى لم يخلق بعد فلم يدع لطالب تأويل لكلامه حيلة ولا مخرجا ، وأيضا فإنه لا يمكنهم البتة تخريج ما فى توراتهم المكذوبة على ما وصفنا نحن ، لأن فى نص توراتهم أن الجنة التى أخرج منها — عليه السلام — لأكله من الشجرة التى فيها إنما هى فى شرقى عدن فى الأرض لا فى السماء كما نقول نحن ، فتثبت الكذبة لا مخرج لها ولا منها أصلا ، ولو لم يكن فى توراتهم إلا هذه الكذبة وحدها لكفت فى بيان أنها موضوعة لم يأت بها موسى — عليه السلام — قط ، ولا هى من عند الله — تعالى — فكيف ولها نظائر ونظائر ونظائر ؟؟

= « قبرى » والذى أورده ابن حزم بعد ذلك فهو خطأ من بعض الرواة كما جزم به القرطبي وابن تيمية والعسقلانى وغيرهم ولذلك لم يخرج فى شىء من الصحاح وروده فى بعض الروايات لا يصيره صحيحا لأنه رواته بالمعنى كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، ومن أوهام العلماء أن النووى فى « المجموع » عزا الحديث للشيخين بلفظ « قبرى » ولا أصل له عندهما فاقتضى التنبيه .

(راجع تحذير المساجد للألبانى ص ١٩٩)

(١) يقال يوم سجسج : أى لا حر فيه ولا برد ، وهواء سجسج : معتدل طيب (وسيط ١ : ٤١٧)

فإن قيل : أن فى القرآن(١) ذكر سد يأجوج ومأجوج وما يدرى مكانه(٢) ولا مكانهم ، قلنا بل مكانه معروف فى أقصى الشمال فى آخر المعمور منه وقد ذكر أمر يأجوج ومأجوج فى كتب(٣) اليهود التى يؤمنون بها و يؤمن بها النصارى ، وقد ذكر يأجوج ومأجوج والسد أرسطا طاليس(٤) فى كتابه فى الحيوان عند كلامه فى الغرانيق ، وقد ذكر سد يأجوج ومأجوج بطليموس(٥) فى كتابه المسمى جغرافيا ، وذكر طول بلادهم وعرضها، وقد بعث إليه الواثق(٦) أمير المؤمنين سلام الترجمان فى جماعة معه حتى وقفوا

---

(١) وذلك فى الآية ٩٤ من سورة الكهف .

(٢) كشف سد بمقربة من مدينة «ترمذ» عرف بباب الحديد ، وقد مر به فى أوائل القرن الخامس عشر الميلادى العالم الألمانى (سيلد برجر) وسجله فى كتابه ، وكذلك ذكره المؤرخ الألمانى (كلافيجو) فى رحلته سنة ١٤٠٣ وقال : إن سد مدينة باب الحديد على الطريق بين سمرقند والهند . وقد يكون هو السد الذى بناه ذو القرنين (فى ظلال القرآن ٤/٢٢٩٣) .

(٣) راجع سفر التكوين ١٠ : ٢ والأخبار الأول ١:٥

(٤) ارسطاطاليس : هو الفيلسوف اليونانى المشهور تلمذ لافلاطون نحو عشرين سنة ، ثم وزر للاسكندر المقدونى ، ولد فى مدينة (اسطاغيرا) من بلاد اليونان سنة ٣٨٤ق.م ، ومات بالحمى سنة ٣٢٣ق.م (راجع تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص ١١٢) .

(٥) بطليموس : يكتبه أكثر علماء الغرب « بطلميوس » يونانى الأصل نشأ بالاسكندرية أبان القرن الثانى الميلادى وهو من أشهر علماء الفلك والجغرافيا ، توفى حول عام (١٦١)م . (راجع دائرة المعارف الاسلامية ٣١٩/٧) .

(٦) الواثق : هو هارون بن المعتصم بن الرشيد ، ولد سنة ست وتسعين =

عليه ، ذكر ذلك أحمد بن الطيب السرخسي(١) وغيره ، وقد ذكره قدامة(٢) ابن جعفر والناس وهيهات خبر من خبر ، وحتى لو خفى مكان سد يأجوج ومأجوج فلم يعرف فى شيء من المعمور مكانه لما ضر ذلك خبرنا شيئاً لأنه كان يكون مكانه حينئذ خلف خط الاستواء(٣) حيث يكون ميل الشمس ورجوعها وبعدها كما هو فى الجهة الشمالية ، بحيث تكون الآفاق كبعض آفاقنا المسكونة ، والهواء كهواء بعض البلاد التى يوجد فيها النبات والتناسل ، واعلموا أن كل ما كان فى عنصر الامكان فأدخله مدخل فى عنصر الامتناع بلا برهان فهو كاذب مبطل جاهل أو مجاهر لاسيما إذا أخبر به من قد قام

= ومائة ، كان يقول بخلق القرآن ولكنه رجع فى آخر أمره ، كان عالما شاعرا ، حاذقا ، أكثر بنى العباس رواية للشعر ، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . (تاريخ الطبرى ٩/ ١٥٠ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٤٠) .

(١) ممن ينتمى إلى الكندى وعليه قرأ ومنه أخذ ، قتله المعتضد سنة ٢٧٦ هـ بعد أن أفشى سرا أفضى به إليه ، كان كثير الإنتاج فقد أحصى له ابن أصيبعة ٥٥ كتابا ، ويبدو مما نسب إلى السرخسى أنه كان من الشيعة فقد فقد أشار على المعتضد بلعن معاوية على المنابر ، وإنشاء التواقيع بذلك (راجع عيون الانباء ص ٢٩٣) .

(٢) كان فى أيام المكتفى بالله العباسى ، وأسلم على يده ، يضرب به المثل فى البلاغة والفصاحة له كتب منها « نقد الشعر » و « نقد النثر » والسياسة و « البلدان » توفى ببغداد سنة ٣٢٧ هـ (النجوم الزاهرة ٣/٢٩٧) .

(٣) خط الاستواء : دائرة وهمية تحيط بسطح الكرة فى منتصف المسافة بين قطبي الأرض (راجع معجم المصطلحات الجغرافية ص ٢٠٢) .

البرهان على صدق خبره ، وإنما الشأن فى المحال الممتنع التى تكذبه الحواس والعيان أو بديهة العقل ، فمن جاء بهذا فانما جاء ببرهان قاطع على أنه كذاب مفتر ونعوذ بالله من البلاء ، فهذه ثلاث كذبات فواضح فى فصل واحد . .

فصل ثالث : ثم قال(١) (وقال الله هذا آدم قد صار كواحدمنا فى معرفة الخير والشر ، والآن يمديده فيأخذمن شجرة الحياة ويأكل ويحيي إلى الدهر فطرده الله من جنات عدن) .

قال أبو محمد : حكايتهم عن الله تعالى أنه قال هذا آدم قد صار كواحد منا مصيبة من مصائب الدهر ،وموجب ضرورة أنهم آلهة أكثر من واحد ولقد أدى هذا القول الخبيث المفترى كثيراً من خواص اليهود إلى الاعتقاد أن الذى خلق آدم لم يكن إلا خلقا خلقه الله تعالى — قبل آدم وأكل من الشجرة التى أكل منها آدم فعرف الخير والشر ثم أكل من شجرة الحياة فصار إلها من جملة الآلهة ، نعوذ بالله من هذا الكفر الأحمق ونحمده إذ هدانا للملة الزاهرة(٢) الواضحة التى تشهد سلامتها من كل دخل(٣) بأنها من عند الله تعالى .

(فصل) وبعد ذلك(٤) (وأسكن فى شرقى جنة عدن الكروبين ولمع سيف]

---

(١) تكوين ٣ : ٢٢ — ٢٣

(٢) الملة الزاهرة : أى الحسنة المضيئة المشرقة ، والزهرة: البياض النير، وهو أحسن الألوان (لسان العرب ٢/٥٥) .

(٣) والدخل — بالتحريك — العيب والغش والفساد (لسان العرب ١/٩٥٦) .

(٤) تكوين ٣: ٢٤ .والكروبيون صيغة الجمع العربية لكلمة (كروب)=

متقلب ليحفظ شجرة الحياة) ورأيت فى نسخة أخرى[١] منها (ووكل بالجنان المشتهر إسرافيل ونصب بين يديه رمحا ناريا ليحفظ طريق شجرة الحياة) .

قال أبو محمد : إن لم يكن أحدهما خطأ من المترجم وإلا فلا أدرى كيف هذا .

فصل رابع : وبعد ذلك[٢] (قال الله — عز وجل — كل من قتل قابيل يقاد به[٣] إلى سبعة) ولا تناكر بين جميعهم فى أن لامك بن[٤] بن متوشائيل[٥]

= أما صيغة الجمع العبرية (كروبيم) كما ورد فى المطبوعة ، قال فى لسان العرب ٣/٢٣٧ : (الكروبيون سادة الملائكة ، منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل ، هم المقربون . والملائكة الكروبيون : أقرب الملائكة إلى حملة العرش) .

(١) هذا النص يدل على وجود أكثر من ترجمة للتوراة فى عصر ابن حزم استطاع أن يطلع عليها (راجع ص ٢٤٠) من القسم الأول .

(٢) تكوين ٤ : ١٥ — وقابيل أوقاين : اسم سامى معناه ، «حداد» وهو بكر آدم وحواء ، وقد ذكر القرآن الكريم قصته مع أخيه هابيل (راجع سورة المائدة الآيات من ٢٧ — ٣٢ وراجع قاموس الكتاب ص ٧١٠) .

(٣) القود : القصاص ، وأقدت القاتل بالقتيل أى قتلته به . . (لسان العرب ٣/١٨٥) .

(٤) لامك : هو ابن متوشائيل من نسل قايين (قاموس الكتاب ٨٠٥) .

(٥) متوشائيل : اسم سامى معناه (رجل الله) وهو أبو لامك ، والرابع قايين (تك ٤ : ١٨)

ابن محويائيل(١) بن عيراد بن حنوك بن قايين هو الذى قتل قايين جد أبيه، وأنه لم يقد به، فنسبوا إلى الله تعالى الكذب إذ وعده أن يقيد به إلى سبعة ولم يقد به، وأيضاً فإن ذكر السبعة ها هنا حمق لا معنى له، لأن لامك الذى قتله هو الخامس من ولد قايين، وقايين هو الخامس من آباء لامك، فلا مدخل للسبعة هنا.

فصل خامس : وقبل(٢) هذا ذكر هابيل بن آدم وأنه كان راعى غنم، ثم قال بعد ذلك بنحو ورقتين : إن لامك المذكور آنفا اتخذ امرأتين اسم إحداهما عادة والثانية صلة، وولدت عادة يا بال، وهو أول من سكن الأخبية وملك الماشية، وهاتان قضيتان تكذب إحداهما الأخرى ولا بد.

فصل سادس : وبعد ذلك(٣) قال (فلما ابتدأ الناس يكثرون على وجه الأرض وولد لهم البنات، فلما رأى أولاد الله بنات آدم أنهن حسان اتخذوا منهن نساء) وقال(٤) بعد ذلك (كان يدخل بنو الله على بنات آدم ويولد لهم حراما وهم الجبابرة(٥) الذين على الدهر لهم أسماء).

---

(١) محويائيل : اسم سامى ربما كان معناه «مضروب من الله» ابن عيراد من نسل قايين (تك ٤ : ١٨).

(٢) تكوين ٤ : ٢ وأنظر أيضاً عدد ١٩ — ٢٠ من نفس الاصحاح.

(٣) تكوين ٦ : ١ — ٢

(٤) تكوين ٦ : ٤

(٥) الجبابرة : فى العبرانية «جبريم» ومعناها الأبطال المحاربون، وفى العربية العتاة المتكبرون (راجع السنن القويم ١/٧٤).

وهذا حمق ناهيك به ، وكذب عظيم إذ جعل لله – تعالى – أولادا ينكحون بنات آدم ، وهذه مصاهرة(١) ظاهرة تعالى الله عن ذلك – حتى أن بعض أسلافهم قال إنما عنى بذلك الملائكة ، وهذه كذبة بلا شك لأن الملائكة لا يطؤون النساء ولا يولد لهم ، وقال بعضهم إنما عنى بذلك أولاد شيث فمن المحال أن ينسبهم الله تعالى إلى ولادته ويخرجهم آدم .

فصل سابع : وفى خلال هذا(٢) وقال : (لا يدين روحى فى الإنسان إلى الدهر إذ هم منتشرون لزيغانه هو بشر فتكون أعمارهم مائة وعشرين سنة) وهذا كذب فاحش ومصيبة الأبد ، لأنه ذكر بعد هذا القول أن سام(٣) ، بن نوح عاش بعد ذلك ستمائة ، وأرفخشاذ(٤) ابن سام عاش أربعمائة سنة وخمساً وستين سنة ، وشالح(٥) بين أرفخشاذ عاش أربعمائة سنة وثلاثا

---

(١) نعتقد أن المؤلف لم يلتزم بمنهجه الذى رسمه لنفسه وبين فيه أنه لا يخرج من كتبهم المذكورة شيئاً يمكن أن يخرج على وجه وإن دق وبعد ، والاعتراض بمثل هذا لا معنى له ، وإنما أخرجنا ما لا حيلة فيه ولا وجه أصلا إلا الدعاوى الكاذبة (الفصل ١/٩٢) والذى نراه أن تفسير أولاد الله بأبناء شيث كما قال علماؤهم لا غبار عليه ويعد من قبيل المجاز كما جاء فى الأثر : الفقراء عيال الله .

(٢) تكوين ٦ : ٣

(٣) تكوين ١١ : ١٠

(٤) فى سفر التكوين ١١ : ١٢ – ١٣ أن أرفكشاد عاش خمساً وثلاثين سنة وولد شالح ، وعاش أرفكشاد بعد ما ولد شالح أربع مائة سنة وثلاث سنين فتكون المدة التى عاشها أرفكشاد ثمان وثلاثون وأربعمائة ، وليس أربعمائة وخمساً وستين كما يذكر ابن حزم .

(٥) راجع سفر التكوين ١١ : ١٤

وثلاثين سنة ، وعابر بن[١] شالح عاش أربعمائة سنة وأربعا وستين سنة ، وفالغ[٢] بن عابر عاش مائتى سنة وسبعا وثلاثين سنة ، ورغو بن[٣] فالغ عاش مائتى سنة وتسعا وعشرين سنة ، وسروغ[٤] بن رعو عاش مائتى سنة وثلاثين سنة ، وناخور[٥] بن سروغ مائة سنة وثمانية وأربعين سنة وتارح[٦] بن ناحور عاش مائتى سنة وخمس سنين، وإبراهيم [٧] بين تارخ عاش مائة سنة وخمسا وسبعين سنة وإسحاق[٨] بن إبراهيم[٩] عاش مائة

---

(١) راجع سفر التكوين ١١ : ١٦

(٢) فى التوراة : أن فالج عاش ثلاثين سنة وولد رعو ، وعاش فالج بعد ما ولد رعو مائتى سنة وتسع سنين فتكون المدة التى عاشها فالج مائتان وتسع وثلاثون وليس مائتى سنة وسبعا وثلاثين كما يقول ابن حزم (راجع سفر التكوين ١١ : ١٨ — ١٩) .

(٣) فى التوراة : أن رعو عاش اثنتين وثلاثين سنة وولد سروج ، وعاش رعو بعد ما ولد سروج مائتى سنة وسبع سنين فتكون المدة التى عاشها رعو مائتى سنة وتسعة وثلاثين ، وليس كما يقول ابن حزم مائتى سنة وتسعا وعشرين .

(راجع سفر التكوين ١١ : ٢٠) .

(٤) راجع سفر التكوين ١١ : ٢٢ — ٢٣

(٥) راجع سفر التكوين ١١ : ٢٤) .

(٦) راجع سفر التكوين ١١ : ٣٢) .

(٧) راجع سفر التكوين ٢٥ : ٧ — ١٠

(٨) راجع سفر التكوين ٣٥ : ٢٨

(٩) راجع سفر التكوين ٢٥ : ١٧

سنة ، وإسماعيل[١] بن إسحاق مائة سنة وسبعا وأربعين سنة ، ولاوى[٢] ابن يعقوب عاش مائة سنة وسبعا وثلاثين سنة ، وعمران[٣] بن قاهات كذلك أيضا ، وقاهات[٤] بن لاوى عاش مائة سنة وثلاثا وثلاثين سنة وأن سارة[٥] ومريم بنت عمران وهارون بن عمران عاش كل واحد منهم أزيد من مائة وعشرين سنة بسنين ، فاجيبوا لهذه الفضائح ويا العقول تتابعت على التصديق والتدين بمثل هذا الإفك الذى لا خفاء به .

فصل ثامن : وفى خلال ذلك ذكر[٦] أن متوشالح بن خنوخ بن يارد عاش تسعمائة سنة وتسعا وستين سنة ، وأنه ولد له لامك وهو ابن مائة سنة وسبع وثمانين سنة ، وأن لامك المذكور إذا بلغ مائة سنة واثنين وثمانين سنة ولد له نوح — عليه السلام — فلا شك فى أن متوشالح كان إذ ولد له نوح ابن ثلاثمائة سنة وتسع وستين سنة ، فوجب من هذا ضرورة أن نوحا — عليه السلام — كان ابن ستمائة سنة إذ مات متوشالح فاضبطوا هذا ، ثم قال[٧] أن فى اليوم السابع عشر من الشهر الثانى من

---

(١) راجع سفر التكوين ٤٨ : ٢٨

(٢) راجع سفر الخروج ٦ : ١٦

(٣) راجع سفر الخروج ٦ : ٢٠

(٤) راجع سفر الخروج ٦ : ١٨

(٥) توفيت سارة وهى فى سن ١٢٧ سنة . (راجع سفر التكوين ٢٣ : ١) .

(٦) راجع سفر التكوين ٥ : ٢٥ — ٣٠

(٧) راجع سفر التكوين ٧ : ١١

سنة ستمائة من عمر نوح اندفعت المياه بالطوفان ، ثم قال(١) : إن فى يوم سبعة وعشرين من الشهر الثانى من سنة إحدى وستمائة لنوح خرج نوح من التابوت — يعنى السفينة — هو ومن كان معه . فوجب من هذا ضرورة لا محيد عنها أن متوشالح بن خنوخ لا يخلو من أحد أوجه ثلاثة لابد من أحدها ، أما أن يكون دخل فى السفينة وبقى فيها عشر أشهر وثلاثة عشر يوماً ومات فيها وبقى ميتا شهرين غير ثلاثة أيام ثم خرج نوح ومن معه به ميتا وهذا تكذيب بحت لما فى توراتهم(٢) نصاً من لم يدخل السفينة أحد من الناس إلا نوح وامرأته وبنوه الثلاثة ونساؤهم فهم ثمانية فقط ، وأما أن يكون غرق وهذا تكذيب بحت لما فى توراتهم(٣) من أنه عاش تسع مائة سنة وتسعا وستين سنة لأنه لا يستوفى متوشالح هذه العدة إلا بعد عشرة أشهر وثلاثة عشر يوما من عموم الطوفان للأرض ودخول من معه السفينة ولا سبيل إلى أن يبقى حيا تحت الماء هذه المدة ، وأيضا فان متوشالح عندهم محمود ممدوح لم يغرق ولا استحق الغرق ، وإما أن يكون سلم من الغرق ولم يدخل السفينة فهذا تكذيب بحت لما فى توراتهم نصا من أنه لم ينج من الغرق أنسى أصلا ولا حيوان البتة إلا نوح وبنوه الثلاثة ونساؤهم وما كان من الحيوان فى السفينة فقط(٤) ،

وقالوا إن متوشالح رفع إلى السماء وهذا — أيضا — تكذيب لما فى

---

(١) تكوين ٨ : ١٤ — ١٦

(٢) راجع سفر التكوين ٧ : ١٣

(٣) راجع سفر التكوين ٥ : ٢٧

(٤) راجع سفر التكوين ٧ : ٢٣

توراتهم وكذب بحت ، أول ذلك أنه ليس ذلك فى شىء من كتبهم ، وإنما هى دعوى استعملوها وأيضا فإن كان رفع أول الغرق فلم يستوف المدة التى فى نص توراتهم أنه عاشها(١) ، وفى نص توراتهم أنه مات وليس السماء مكان موت(٢) ، فظهر الكذب البحت فى نقل توراتهم ضرورة ، وتيقن كل ذى عقل أنها غير منزلة من الله تعالى ولا جاء بها نبى أصلا ، لأن الله تعالى لايكذب ، والأنبياء لاتأتى بالكذب ، فصح يقينا أنها من عمل زنديق جاهل مستخف متلاعب بهم ، نعوذ بالله من مثل مقامهم ، وفى هذا الفصل كفاية فكيف ومعه أمثاله كثير .

فصل تاسع : وبعد ذلك ذكر أن نوحا إذ بلغه فعل حام أبى كنعان ، قال(٣) : ملعون أبو كنعان عبدا مستعبدا يكون لإخوته يبارك الإله ساما ، ويكون أبو كنعان عبدا لهم) ثم نسى نفسه التيس الذى كتبها لهم أو قصد غاية السخرية بهم فقال بعد ستة أسطار إذ ذكر أولاد حام

---

(١) وهى ٩٦٩ سنة .

(٢) هذا الفصل ورد فى مخطوطة الأزهر بصورة مسهبة عن المخطوطات الأخرى ولذلك آثرنا إيراد ماجاء فيها رغبة فى الفائدة .

(٣) تكوين ٩ : ٢٤ — ٢٧ . وكنعان : ابن حام الرابع وحفيد نوح ، وهو جد القبائل التى قطنت أراضى غربى الأردن المسماه كنعان (قاموس الكتاب ٧٨٩) وسام : أكبر أبناء نوح ، ومن نسل سام اليهود والآراميون والأشوريون والعرب ولذلك تدعى اللغات التى يتكلم بها نسل سام اللغات السامية نسبة إليه ، مثل اللغة العربية واللغة العبرانية (قاموس ٤٤٨) ويافث : هو الابن الثالث أو الثانى لنوح عليه السلام (قاموس الكتاب ١٠٤٧) .

فقال(١) : (بنو حام كوش ومصرايم وفوط وكنعان ، وبنو كوش صبا وزويلة ودغاوةورعمةوسبتخا فبنو رعمة السند والهند وكوش ولد نمرود(٢) وهو ابتدأ أن يكون جبارا فى الأرض الذى كان جبارصيد بين يدى الله — عز وجل — وكان أول مملكته بابل) فحصل من هذا الخبر تكذيب نوح فى خبره ، وهو بإقرارهم نبى معظم جدا صادق لاينطق إلا عن وحى الله تعالى ، إذ وصف أن ولد أبى كنعان صاروا ملوكا على إخوة أبى كنعان وعلى بنيهم ثم العجب كله أن على ماتوجبه توراتهم كان ملك نمروذ بن كوش ابن كنعان بن حام على جميع الأرض ونوح حى وسام بن نوح حى، لأن فى نص توراتهم(٣) أن نوحا عاش إلى أن بلغ إبراهيم بن تارح — عليه السلام — ثمانية وخمسين عاما ، وأن سام بن نوح عاش إلى أن بلغ يعقوب وعيصا ابنا اسحاق بن إبراهيم — عليه السلام — خمسا وأربعين سنة على

---

(١) تكوين ١٠ : ٦ — ١٠ وكوش : اسم يطلق على بكر حام ويطلق أيضا على سلالته كلها ، وهى تتألف من ٥ شعوب أساسية : سبا وحويلة وسبته ورعمه وسبتكا وقد سكنوا كلهم فى أواسط وجنوب البلاد العربية (قاموس ٧٩٨) ومصرايم : (فى العبرانية مصريم أى مصرين) بصيغة التثنية ولعل فى ذلك إشارة إلى قسمة مصر إلى مصر العليا ومصر السفلى وفوط : وبنوه أهل ليبية شمالى أفريقية وقد وردت فى المطبوعه «فوحا» وفى ت : «ثبت» ، ويراد بصبا هنا «سبا» أكبر أبناء كوش وبلاد سبأ فى جنوب الجزيرة العربية ، ورعمة «حفيد سام وتطلق أيضا على المقاطعة التى تقع فى الجنوب الغربى من بلاد العرب ، وسبتكا اسم الابن الخامس والأصغر من أولاد كوش .

(١) نمرود : ابن كوش بن حام ، صياد جبار وملك قدير ومؤسس الأسرة الحاكمة فى بابل (قاموس الكتاب ٩٨٧) .

(٣) راجع سفر التكوين ٩ : ٢٨

ماذكر من مواليدهم أبا فأبا فلم يمت على قولهم نوح إلا حتى رأى كذب ما أنذر به، فإن قالوا : إن السودان لا العلة يتملكون اليوم، قلنا فى السودان ملك عظيم جدا ، وممالك شتى كغانه(١)، والحبشة(٢)، والنوبة(٣)، والتبت(٤)، والأمر بينهم سواء يملكون طوائف من بنى سام كما يملك بنو سام طوائف منهم وحاش لله أن يكذب نبى .

فصل عاشر : وقالوا فى توراتهم(٥)، إن نوحا لما بلغ خمسمائة سنة ولد له يافث وسام وحام . ثم ذكر(٦) : أن نوحا إذ بلغ ستمائة سنة كان الطوفان ولسام يومئذ مائة سنة . وقال بعد ذلك(٧): أن سام بن نوح لما كان ابن مائة سنة ولد أرفخشاذ لسنتين بعد الطوفان وهذا كذب فاحش وتلوث سمج

---

(١) غانه : جمهورية بغربى أفريقيه على خليج غينيا عاصمتها أكرا ، حصلت على الاستقلال التام عام ١٩٥٧ ، وانضمت إلى منظمة الوحدة الافريقية عام ١٩٦٣ (الموسوعة العربية ١٢٥١) .

(٢) الحبشة : امبراطورية . تقع فى وسط أفريقيا عاصمتها أديس أبابا . تحده شمال أرتريا . وشرقا وجنوبا الصومال وغربا السودان (الموسوعة العربية ٥٢) .

(٣) راجع ص

(٤) التبت : إقليم جبلى يقع فى قلب قارة آسيا ، تتصل حدوده الحالية من الجنوب بولاية كشمير وجمهورية الهند ومن الغرب بجمهورية تاجيكستان السوفيتية ومن الشرق والشمال بالجمهورية الصينية التى بسطت نفوذها على التبت عام ١٩٥٩ (قاموس إسلامى ٤٣٤/١) .

(٥) تكوين ٥ : ٣٢

(٦) تكوين ٧ : ٧

(٧) تكوين ١١ : ١٠

وجهل مظلم ، لأنه إن كان نوح إذ ولد له سام بن خمسمائة سنة وبعد مائة سنة كان الطوفان فسام حينئذ ابن مائة سنة ، وإذا ولد له بعد الطوفان لسنتين أرنخشاذ فسام كان إذ ولد له أرنخشاذ ابن مائة سنة وسنتين وفى نص توراتهم أنه كان ابن مائة سنة ، وهذ كذب لاخفاء به حاش لله من مثله .

فصل : وبعد ذلك ذكر أن الله تعالى (قال[1] لإبراهيم - عليه السلام - إعلم علما أنه سيكون نسلك غريبا فى بلد ليس له ويستعبدونهم ويعذبونهم أربعمائة سنة ، وأيضا فإن القوم الذين يعذبونهم يحكم لهم ، وبعد ذلك يخرجون بسرح[2] عظيم ، وأنت تسير لآبائك وتدفن بشيبة[3] صالحة ، والجيل الرابع من البنين يرجعون إلى هاهنا) .

قال أبو محمد : فى هذا الفصل على قلته كذبتان فاحشتان شنيعتان منسوبتان إلى الله — تعالى — وحاش لله من الكذب والخطأ ، فأحدهما قوله . والجيل الرابع من البنين يرجعون إلى هاهنا ، وهذا كذب فاحش لاخفاء به ، لأن الجيل الأول من بنى إبراهيم - عليه السلام - هو إسحاق وإخوته - عليهم السلام - والجيل الثانى : هم يعقوب وعيصا وبنو أعمامهما ، والجيل الثالث، أولاد يعقوب لصلبه وهم: رؤبان، وشمعون، ويهوذا، ولاوى ويساخار ، وزابلون ، ويوسف، وبنيامين . ودان ، ونفتان ، ونماد ، وأشار

---

(١) راجع سفر التكوين ١٥ : ١٣ — ١٦

(٢) السرح : المال السائم ، وعن الليث السرح المال يسام فى المراعى من الأنعام ، وقال غيره : ولا يسمى من المال سرحا إلا ما يغدى به ويراح (تاج العروس (٢/١٦٠) وفى الترجمة الحديثة للكاثوليك : « يخرجون بمال جزيل » .

(٣) شيبة صالحة .

وأولاد عيصاو من كان في عددهم من سائر عقب إبراهيم ، والجيل الرابع : هم أولاد هؤلاء المذكورين وهم والجيل الثالث آباؤهم ويعقوب جدهم وهم الداخلون مصر لا الخارجون منها بنص توراتهم وإجماعهم كلهم بلا خلاف من أحد منهم ، وإنما رجع إلى الشام بنص توراتهم وإجماعهم كلهم الجيل السادس من أولاد إبراهيم ، وهم أولاد أولاد الجيل الرابع المذكور ، وما رجع من الجيل الرابع ولا من الجيل الخامس ولا واحد إلى الشام ، وحاش لله من أن يكذب في خبره ، فإن قيل : إنما تعد الأجيال من الجيل المعذب ، قلنا هذا خلاف نص توراتهم . لأن نصها الجيل الرابع من الأبناء ، وأيضا فإنه لم يعذب أحد من أولاد يعقوب بل كانوا مبرورين وهم الجيل الثالث بنص توراتهم حرفاً حرفاً على ما نورد بعد هذا إن شاء الله تعالى : فإنما ابتدأ التعذيب في أبناء أبناء يعقوب وهم الداخلون مع آبائهم وهم الجيل الرابع فعد من حيث شئت لست تخرج من شرك(١) الكذب الفاضح ، وفي هذا كفاية ، والكذبة الثانية طامة(٢) من الطوام ، وهي قوله لإبراهيم أن نسلك سيكون غريباً في بلد ليس له ويستعبدونهم ويعذبونهم أربعمائة سنة ، وبعد ذلك يخرجون فهذه سوءة وعار الدهر ، لأنه إن عذب الأربعمائة سنة من وقت بدأ بتعذيب بني إسرائيل بمصر ، فإنما ذلك بعد موت — يوسف عليه السلام — إلى أن خرج بهم موسى — عليه السلام — نصا إذ في سياق

---

(١) الشرك : حبائل الصائد وكذلك ما ينصب للطير واحدته شركة وجمعها شرك (لسان العرب ٢/٣٠٦) .

(٢) الطامة : الداهية تغلب على ما سواها ، وطم الإناء طما : ملأه حتى علا الكيل أصباره ، ومنه سميت القيامة طامه ، قال الفراء في قوله : عز وجل : فإذا جاءت الطامة ، قال : هي القيامة تطم على كل شيء (لسان العرب ٢/٦١٥ بتلخيص) :

توراتهم(١) : (ولما مات يوسف وجميع إخوته ، وذلك الجيل كله كثر بنوا إسرائيل . وتكاثروا وتقووا فملؤا الأرض وولى عند ذلك مصر ملك جديد لم يعرف يوسف فقال : لأهل مملكته : إن بنى إسرائيل قد كثروا وصاروا أقوى منا فأذلهم(٢) بنا نعما لئلا يزدادوا كثرة ، ويكونوا عوناً لمن رام محاربتنا ، فقدم عليهم أصحاب صناعته لسخرتهم) .

هذا نص توراتهم شاهدة بما قلنا ، وقد ذكر فى توراتهم(٣) : إذ ذكر من دخل مع يعقوب من ولده وولد ولده أن قاهات بن لاوى ابن يعقوب والد عمران بن قاهات ، وهو جد موسى — عليه السلام — كان ممن ولد بالشام ودخل مصر مع أبيه لاوى وجده يعقوب .

وذكر(٤) فيها أيضا أن جميع عمر قاهات المذكور ابن لاوى كان مائة سنة وثلاثا وثلاثين سنة وأن جميع عمر عمران بن قاهات المذكور كان مائة سنة وسبعة وثلاثين سنة .

وذكر(٥) فيها — أيضا — أن موسى — عليه السلام — كان إذ خرج

---

(١) خروج : ٦ — ١١ .

(٢) فى الترجمة الحديثة للتوراة : (تعالوا نحتال عليهم كيلا يكثروا فيكون أنهم إذا وقعت حرب ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا من الأرض فأقاموا عليهم وكلاء تسخير لكى يعنتوهم بأثقالهم) .

(٣) خروج .

(٤) خروج : ٦ : ١٨ :

(٥) الذى فى سفر الخروج ٧:٧ «وكان موسى ابن ثمانين سنة وهارون ابن ثلاث وثمانين سنة حين كلما فرعون) .

بنى إسرائيل من مصر ابن ثمانين سنة هذا كله نص توراتهم حرفا حرفا بإجماع منهم أولهم عن آخرهم فهبك أن قاهات كان إذ دخل مصر ابن أقل من شهر ، وأن عمران ولد له سنة موته ، وأن موسى ولد لعمران سنة موته ، فالمجتمع من هذا العدد كله ثلثمائة سنة وخمسون سنة ، وهذه كانت مدتهم بمصر من يوم دخلوها إلى أن خرجوا عنها على هـــذا الحساب ، فأين الأربعمائة سنة ؟ فكيف ولا بد أن يسقط من قاهات إذا دخل مصر مع أبيه لاوى والمدة التى كانت من ولادة عمران لقاهات إلى موت قاهات والمدة التى كانت من ولادة موسى — عليه السلام — إلى موت أبيه عمران، وفى كتب اليهود أن قاهات أبا عمران دخل مصر واه ثلاث سنين ، وأنه كان إذا ولد له عمران ابن ستين سنة ، وأن عمران كان إذا ولد له موسى — عليه السلام — ابن ثمانين سنة ، وأن موسى(٢) — عليه السلام — كان إذ خرج مع بنى إسرائيل من مصر ابن ثمانين سنة هذا كله نص كتبهم الذى لا يختلفون فى تصديقها أصلا فعلى هذا لم يكن بقاء بنى إسرائيل بمصر منذ دخلوها مع يعقوب إلى أن خرجوا منها مع موسى إلا مائتى عام وسبعة عشر عاما ، فأين الأربعمائة سنة ؟ فكيف ولا بد أن يسقط من هذا العدد الأخير مدة حياة يوسف — عليه السلام — مـــنذ دخل إخوته وأبوهم وبنوهم مصر إلى أن مات يوسف — عليه السلام — فطول هذه المدة لم يكونوا مستخدمين ولا معذبين ولا مستعبدين بل كانوا أعزاء مكرمين ، وفى نص توراتهم(٣) : (ان يوسف — عليه السلام كان إذ دخل على فرعون ابن ثلاثين سنة) ثم كانت سنو الخصب سبع سنين وبدأت سنو الجوع ، ودخل(٣) يعقوب ونسله مصر بعد سنتين من سنى الجوع

---

(١) راجع الصفحة السابقة .

(٢) تكوين ٤١ : ٤٦

(٣) تكوين ٤٥ : ٦

وليوسف حينئذ تسع وثلاثون سنة ، وفى نص توراتهم(١) : أن يوسف كان إذ مات ابن مائة سنة وعشر سنين ، فصح أن مدتهم مذ دخلوا مصر إلى أن مات يوسف — عليه السلام — كانت إحدى وسبعين سنة فقط ، ولابد . فالباقى مائة سنة وست وأربعون سنة يسقط منها ولابد بنص توراتهم مدة بقاء من بقى من إخوة يوسف بعده . ولم نجد من ذلك إلا عمر لاوى فقط فإنه على نصوص ذكر ولادتهم فى التوراة لمن تأملها كان يزيد على يوسف ثلاثة أعوام أو أربعة ، فعاش بعد يوسف ثلاثه وعشرين عاما تسقط ولابد من هذا العدد . فالباقى مائة سنة وثلاث وعشرون سنة . هذه مدة عذابهم واستخدامهم واستعبادهم على أبعد الأعداد ، وقد يكون أقل ، فأين الأربعمائة سنة ؟ ولعل وقاح الوجـــه . يقول : ما أعد مدة استعبادهم إلا من دخول يوسف مصر مستعبدا مستخدما معذبا ثم مسجونا فاعلم أنه لا يزيد على المائتى عام والسبعة عشر عاما التى ذكرناها قبل إلا اثنين وعشرين عاما فقط ، فذلك مائتا عام وتسعة وثلاثون عاما ، فأين الأربعمائة سنة ؟ فظهر الكذب المفضوح الذى لا يدرى كيف خفى عليهم جيلا بعد جيل ، ورأيت لنذل(٢) منهم مقالة ظريفة ، وهى أنه ذكر هذه القضية وقال : إنما ينبغى أن تعد هذه الأربعمائة سنة من حين خاطب الله — تعالى — إبراهيم عليه الصلاة والسلام بهذا الكلام .

---

(١) تكوين ٥٠ : ٣٦ :

(٢) المصادر التى بين أيدينا لا تنبئنا من هو هذا النذل الذى حكى المؤلف عنه هذه المقالة .

قال أبو محمد : وأراد هذا الساقط الخروج من مزبلة فوقع فى كنيف(١) عذرة لأنه جاهر بالباطل وتعجل الفضيحة ونسب الكذب إلى الله تعالى إذ نص ماحكوه فى توراتهم(٢) عن الله تعالى أنه قال لابراهيم — عليه السلام — (إن نسلك يستعبد أربعمائة سنة ، ولم يقل له قط من الآن إلى انقضاء استخدامهم أربعمائة سنة ، وأيضا فإن نص توراتهم أن الله تعالى إنما قال هذا الكلام لابراهيم ﷺ : قبل ولادة إسماعيل(٣) عليه السلام : ومن المحال الممتنع الذى لا يمكن أن يكون إبراهيم لا نسل له ويقول له الله تعالى : من الآن يعذب نسلك إلى انقضاء أربع مائة سنة وأيضا فإذ صح أن هذا كان قبل ولادة إسماعيل فصح بهذا أن إبراهيم لا نسل له كان إذ قال له تعالى هذا الكلام ابن أقل(٤) من ست وثمانين سنة لأن إسماعيل بنص التوراة ولد له وله ست وثمانون سنة ثم ولد له إسماعيل ثم إلى أربعة عشر عاما ولد له إسحاق ولإبراهيم مائة سنة بنص توراتهم(٥) وعاش إسحاق بنص توراتهم(٦) مائة سنة وثمانين سنة ومات إسحاق وليعقوب مائة

---

(١) هذه عبارات وردت فى كتاب ابن حزم وكنا نودلو تنزه منها كتابه وعف عنها قلمه فإنها لاتليق بعوام المسلمين فضلا عن علمائهم ، ولله فى خلقه شئون !!

(٢) تكوين ١٥ : عدد ١٣ ؛

(٣) راجع سفر التكوين ١٦ عدد ٣ .

(٤) لأن ابراهيم كان ابن ست وثمانين سنة حين ولدت هاجر إسماعيل لإبراهيم (راجع سفر التكوين ١٦ : ١٦)

(٥) راجع سفر التكوين ٢١ عدده .

(٦) راجع سفر التكوين : ٣٥ : ٢٨ ؛ وقصص الأنبياء للنجار ص ١١١ .

وعشرون سنة بنص توراتهم لأنه ولد له وله ستون سنة ودخل يعقوب مصر وله مائة وثلاثون(١) سنة كل هذا نصوص توراتهم بلاخلاف منهم، فمات إسحاق قبل دخول يعقوب مصر بعشرة أعوام ، فمن حين أدعوا أن الله تعالى قال ذلك الكلام لابراهيم - عليه السلام - إلى دخول يعقوب مصر مائتا عام وخمسة أعوام . ومن دخول يعقوب مصر إلى خروج موسى عنها كما ذكرنا مائتى عام وسبعة عشر عاما ، اجتمع من ذلك أربع مائة عام واثنان وعشرون عاما ، فلا منجا من الكذب ، إما بزيادة وإما بنقصان ، وحاش لله أن يكذب فى حساب بدقيقة فكيف بأعوام ؟! والله خالق الحساب ومعلمه عباده ، ومعاذ الله أن يكذب موسى - عليه السلام - أو يخطىء فيما أوحى الله تعالى إليه فيقره ربه على الخطأ . فوضح يقينا لكل من له أدنى فهم ، وضوحا يقينيا كما أن أمس قبل اليوم أنها ليست من عند الله - تعالى - ولا من إخبار نبي ولا من تأليف عالم يتقى الكذب ، ولا من عمل من يحسن الحساب ولا يخطىء فيما لا يخطىء فيه صبى يحسن الجمع والطرح والقسم والتسمية(٢) ، لكنها بلا شك من عمل كافر مستخف ما جن سخر بهم وتطايب(٣) منهم ، وكتب لهم ما سخم(٤) الله به وجوههم عاجلا فى الدنيا بالفضيحة .

---

(١) راجع سفر التكوين ٤٧ : ٩ .

(٢) لعل المؤلف يقصد بالتسمية ما يعرف فى علم الحساب بالضرب .

(٣) راجع ص :

(٤) السخام : بالضم سواد القدر ، وقد سخم وجهه أى سوده (لسان العرب ٢/١١٥) .

وآجلا فى الآخرة بالنار والخلود فيها أو من عمل تيس(١) أو عن تكلف إملاء ما لم يقم بحفظه ، جاهل مع ذلك مظلم الجهل بالهيئة(٢) وصفة الأرض والحساب ، وبالله تعالى وبرسله — ﷺ — فأملى ما خرج إلى فمه من خبيث وطيب، ولقد كان فى هذا الفصل كفاية لمن نصح نفسه لو لم يكن غيره، فكيف ومعه عجائب سواء مما أوردنا ونورد إن شاء الله تعالى ونحمد الله على نعمة الإسلام كثيرا .

فصل ثانى عشر : وبعد ذلك بأوراق عند ذكره خروج موسى — عليه السلام — مع بنى إسرائيل من مصر ، قال(٣)وكان مسكن بنى إسرائيل بمصر أربع مائة سنة وثلاثين سنة فلما انقضت هذه السنون خرج ذلك اليوم (؟) القوم(؟)معسكرا فى بنى إسرائيل من مصر)(٤).

قال أبو محمد : وهذه طامة أخرى يقول فى الفصل الذى قبل هذا متصلا آخر ذلك بأن الله تعالى : أخبر إبراهيم بأن نسله سيستعبد ويستخدم

---

(١) التيس : الذكر من المعز ، والجمع أتياس وأتيس (لسان العرب ٢٤٠/١).

(٢) راجع ص

(٣) سفر الخروج ١٢ : ٤٠ — ٤١ (وكان مقام بنى إسرائيل الذى أقاموه بمصر أربع مئة وثلاثين سنة . وكان عند انقضاء الأربع مئة والثلاثين سنة فى ذلك اليوم عينه أن خرج جميع جيوش الرب من أرض مصر)].

(٤) هذا الفصل زيادة من مخطوطة الأزهر ولا توجد فى الطبعات السابقة لكتاب الفصل .

فى بلد آخر أربع مائة سنة ثم يخرجون منه إلى الشام (١) ، ثم يقول فى هذا أنهم سكنوا فى ذلك البلد أربع مائة سنة وثلاثين سنة وكلهم مع نص توراتهم يوجبون قطعاً أنهم لم يبقوا بمصر إلا أقل من هذا بكثير جدا ، وهذه قصص ثلاث كل واحد منها يكذب الآخر وحاش لمن فيه خير أن يتناقض خبره هـــذا التناقض فكيف الله — عز وجل — ولو أن حسا (٢) ؟ أتى بهذا كله لضحك منه ، ونسأل الله العافية من مثل قوم يصدقون بهذه الأخبار الكاذبة المتناقضة ، ولكن من يضلل الله فما له من هاد .

فصل ثالث عشر : وبعد ذلك (٣) ذكر أن الله — تعالى — قال لابراهيم — عليه السلام — (لنسلك أعطى هذا البلد من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات) وهذا كذب وشهرة من الشهور ، لأنه إن كان عنى بنى إسرائيل وهكذا يزعمون بلاخلاف منهم فما ملكوا قط ولا ورثهم الله — تعالى — من نهر مصر ولا على نحو عشرة أميال منه شبرا فما فوقه (٤) وذلك من موقع النيل إلى قرب بيت المقدس ، وفى هذه المسافة

---

(١) راجع سفر التكوين .

(٢) هكذا رسمت فى المخطوطة ويبدو أنها « صبيا » .

(٣) تكوين ١٥ : ١٨ :

(٤) لقد عشنا حتى رأينا — ونحن فى ريعان الشباب — كيف أن اليهود يسيطرون على مساحات شاسعة من أرض المسلمين ويستولون عليها فى بعض أيام دون حرب أو مقاومة ، حتى اعتقد اليهود صدق عقيدتهم التى وردت فى كتبهم ، وما ذلك إلا لفساد الحكام واعراضهم عن شرع الله ونأمل أن يأتى اليوم الذى تتطهر فيه البلاد من اليهود وأذنابهم . =

الصحارى المشهورة (١) الممتدة ، والجفار (٢) ثم رفح وغزة وعسقلان وجبال الشراة التى لم تزل تحاربهم طول مدة دولتهم وتذيقهم الأمرين إلى انقضاء دولتهم ، ولا ملكوا قط من الفرات ولا على عشرة أميال منه بل بين آخر حوز بنى إسرائيل إلى أقرب مكان من الفرات إليهم نحو تسعين فرسخا فيها قنسرين وحمص التى لم يقربوا منها قط ، ثم دمشق (٣) وصور (٤) وصيدا (٥) التى لم يزل أهلها يحاربونهم ويسومونهم الخسف طول مدة دولتهم بإقرارهم ونصوص كتبهم وحاش لله — عز وجل —

= ويعود الناس إلى هدايات الله ، ولله الأمر من قبل ومن بعد !!

(١) الجفار : جمع جفرة : « سعة فى الأرض مستديرة » وقيل : اسم موضع .

(لسان العرب ١/٤٧١) .

(٢) دمشق : عاصمة سوريا . وتقع بجنوبها على نهر بردى . استولى عليها الأشوريون والفرس ، وغزاها الاسكندر الأكبر (٣٢ ق . م) بها قبور : معاوية بن أبى وسفيان وصلاح الدين والظاهر بيبرس ومحي الدين بن عربى وعدد من العلماء والسلاطين (الموسوعة العربية الميسرة ٨٠٢) .

(٣) صور : تقع بلبنان جنوب بيروت . فتحها العرب فى خلافة عمر ٦٣٨ واستولى عليها الصليبيون ١١٢٤ .

(الموسوعه العربية ١١٣٥) .

(٤) صيدا : ثغر على البحر المتوسط بلبنان تقع على بعد ٤٧ كم جنوب بيروت ، فتحها العرب فى خلافة عمر ٦٣٨ .

(المرجع السابق ١١٣٨) :

أن يخلف وعده فى قدر دقيقة من صوابه ، فكيف فى تسمين فرسخا(١) فى الشمال ونحوها فى الجنوب ، ثم قوله النهر الكبير ومافى بلادهم التى ملكوا نهر يذكر إلا الأردن وحده ، وماهو بكبير .

إنما مسافة مجراه من مخرجه من بحيرة الأردن إلى مسقطه فى البحيرة(٢) الميتة نحو ستين ميلا فقط ، فإن قال قائل : إنما عنى الله — تعالى — بهذا الوعد بنى إسماعيل — عليه السلام — قلنا : وهذا أيضاً — خطأ ، لأن هذا القدر المذكور ها هنا من الأرض أقل من جزء من مائة جزء مما ملك الله - عز وجل — بنى إسماعيل عليه السلام — وأين يقع مابين مصب النيل عند تنيس وبين الفرات (٣) من آخر الأندلس عــــلى ساحل البحر المحيط (٤) .

---

(١) الفرسخ : ثلاثة أميال أو ستة ، سمى بذلك لأن صاحبه إذا قعد واستراح من ذلك كأنه سكن وهو واحد الفراسخ ، فارسى معرب .

(لسان العرب ٢/١٠٧٢) .

(٢) بحيرة ملحة بين فلسطين والأردن . طولها ٧٩ كم . تنخفض إلى ٣٩٤م تحت مستوى سطح البحر مياهها أكثر ملوحة من ماء المحيط .

(الموسوعة العربية الميسرة ٣٣٠) .

(٣) الفرات : أحد النهرين الرئيسين اللذين يرويان أرض العراق ، ويستمد الفرات ماءه من منابع عديده تقع قرب تركيا ، ويلتقى بنهر دجلة عند كرمه على ، فيكونان نهرا واسعاً هو شط العرب .

(الموسوعة العربية ١٢٧٨) .

(٤) البحر المحيط : وقصد به جغرافيو العرب الحزام المائى الذى يحيط =

وبلاد البربر كذلك إلى آخر السند (١) وكابل (٢) مما يلى بلاد الهند، ومن سواحل اليمن إلى ثغور (٣) أرمينيه وأذربيجان (٤) فما بين ذلك ، والحمد لله رب العالمين ، فكيف وهم لايقولون بهذا ولو قالها قائل لكان باطلا لأن ذلك الكلام بعضه معطوف على بعض ، فالموعودون بملك ذلك البلد هم المتوعدون بأنهم يتملكون ويعذبون ويستخدمون فى البلد الآخر .

= بالقارات ، ومنه تفرعت البحار السالفة الذكر على هيئة خلجان وهى جميعاً متصل بعضها ببعض أما فوق سطح الأرض أو فى باطنه .

(القاموس الإسلامى ٢٧٨) .

(١) السند نهر طوله حوالى ٣٠٥٧ كم . ينبع فى الهملايا بغربى التبت يجرى فى كشمير وباكستان الغربية ويصب فى بحر العرب .

(الموسوعة العربية ١٠١٢) .

(٢) كابول : عاصمة أفغانستان تقع على نهر كابول فى منطقة مشهورة بزراعة الفاكهة .

(الموسوعة العربية ١٤١٤) .

(٣) ثغور : جمع ثغر وهو الموضع الذى يكون حدا فاصلا بين بلاد المسلمين والكفار ، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد .

وأرمينية قليم جبلى يقع جنوب القوقاس، وهى فى الوقت الحاضر إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى وتبلغ مساحتها ١١٫٥ ألف م . م .

(٥) وأذربيجان : أقليم يقع فى جنوب بحر قزوين بين أرمينية وفارس وهى فى العصر الحاضر أحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى وتطل على بحر قزوين (القاموس الإسلامى ٥٨) .

وقد أكرم الله - تعالى - بنى إسماعيل وصانهم عن ذلك فوضح الكذب الفاحش فى الأخبار المذكورة ، وصح أنه ليس هو من عند الله — عز وجل — ولا من كلام نبى أصلا بل من تبديل وغد(١) جاهل كالحمار بلادة أو متلاعب بالدين ، فاسد المعتقد ، ونعوذ بالله من الخذلان .

فصل رابع عشر : ومنها ان الله — تعالى — قال(٢) لإبراهيم : (أنا الله الذى أخرجتك من أتون الكردانيين لأعطيك هذا البلد(٣) حوزا ، فقال إبراهيم يارب بماذا أعرف أنى أرث هذا البلد

قال أبو محمد : حاش لله أن يقول ابراهيم — رسول الله وخليله — لربه تعالى هذا الكلام ؛ فهذا كلام من لم يثق بخبر الله — عز وجل — حتى طلب على ذلك برهانا ، فإن قال قائل جاهل فى القرآن أنه قال : (رب

---

(١) الوغد : الخفيف الأحمق الضعيف العقل الرذل الدنىء (لسان العرب ٣/ ٩٥٥)

تكوين ١٥ : ٧ : ٨ . وأتون الكردانيين فى الترجمة الحديثة : (أور الكردانيين) وهى المدينة التى ولد بها نبى الله إبراهيم ونشأ بها ، ولكنه خرج منها إلى حاران ومنها ذهب إلى كنعان ، ومكان أور اليوم خرائب تدعى المغير فى منتصف المسافة بين بغداد والخليج الفارسى ، وعلى مسافة عشرة أميال شرقى مجرى نهر الفرات فى الزمن الحاضر .

(قاموس الكتاب المقدس ص ١٢٨)

(٣) البلد . المراد بها هنا أرض كنعان (السنن القويم ١/ ١٢٦) والحوز الجمع وضم الشيء وكل من ضم شيئاً إلى نفسه من مال أو غيره فقد حازه حوزا والحوز — أيضا — الملك يقال حازه يحوزه إذا ملكه وقبضه واستبد به (تاج العروس ٤/ ٢٨)

أرنى كيف يحيى الموتى(١) .

وأن زكريا قال لله تعالى إذ وعده بابن يسمى يحيى : (رب اجعل لى آية)(٢) قلنا بحول الله تعالى وقوته — بين المراجعتين وبين مافى توراتهم من مراجعة إبراهيم عليه السلام لربه تعالى فوق ظاهر كما بين المشرق والمغرب أما طلب ابراهيم — عليه السلام — رؤية إحياء الموتى فإنما طلب ذلك ليطمئن قلبه المنازع له إلى رؤية الكيفية فى ذلك فقط .

بيان ذلك قوله تعالى له : (أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى(٣) فصح أن إبراهيم لم يطلب ذلك برهانا على شك أزاله عن نفسه ، لكن ليرى الهيئة فقط(٤) .

وأما زكريا — عليه السلام — فإنما طلب آية تكون له عند الناس لئلا يكذبوه ، هذا نص كلامه ، والذى ذكروا عن ابراهيم — عليه السلام كلام شاك يطلب برهاناً يعرف به صحة وعد ربه له ، تعالى الله عن هذا ، وحاشا لإبراهيم منه(٥)

---

(١) بعض آية ٢٦٠ من سورة البقرة .
(٢) سورة آل عمران : ٤١ ومريم : ١٠
(٣) بعض آية ٢٦٠ من سورة البقرة
(٤) راجع فى معنى الآية فى تفسير المنار ٣/٤٧ ، وراجع ما كتبناه عن هذه الآية فى بحثنا الماجستير إبراهيم عليـــه السلام ومنهجه فى الدعوة إلى الله .

(٥) هذا المثال الذى أورده المؤلف من الأدلة الهزيلة على تحريف التوراة ونحن لانستبعد ماجاء فى السنن القويم أن إبراهيم سأل ربه هذا لا لعدم إيمانه بوعده بل لزيادة الاطمئنان والمعرفة بالتفصيل (١ /١٢٦)

فصل خامس عشر: وبعد ذلك قال(١) : وتجلى الله لابراهيم عند بلوطات ممرا ، وهو جالس عند باب الخباء عند حمى النهار ورفع عينيه ونظر فإذا بثلاثة نفر/وقوف أمامه فنظر وركض لاستقبالهم عند باب الخباء، وسجد على الأرض وقال :

ياسيدى إن كنت قد وجدت عندك حظوة فى عينيك فلاتتجاوز عبدك ليؤخذ قليل من ماء ، واغسلوا أرجلكم واستندوا تحت الشجرة وأقدم لكم كسرة من الخبز ، تشتد بها قلوبكم ، وبعد ذلك تمضون فن أجل ذلك مررتم على عبدكم .

فقالوا : اصنع ماقلت فأسرع إبراهيم إلى الخبـــاء إلى سارة(٢)

---

(١) تكوين ١٨ : ١ — ٨ وبلوطات ممرا : هى مدينة حبرون التى تسمى الآن مدينة الخليل ، وهى من أقدم المدن فى العالم التى لاتزال آهلة بالسكان ، وهى على بعد ١٩ ميلا إلى الجنوب الغربى من أورشليم، وثلاثة عشر ميلا ونصف إلى الجنوب الغربى من بيت لحم (قاموس الكتاب ٢٨٧) .

(٢) سارة : اسم عبرانى معناه « أميرة » وهى زوجة إبراهيم — عليه السلام — وكانت فى الأصل تدعى سارى ، تزوجت من إبراهيم فى أور الكلدانيين وكانت أصغر منه بعشر سنوات (تكوين ١١ : ٣١ ، ١٧ : ١٧ وقدماتت سارة وهى فى سن ١٢٧ سنة ، بعد ولادة اسحاق بما يزيد على ٣٦ سنة ودفنها ابراهيم فى حقل المكفيلة الذى اشتراه لهذا الغرض(راجع قاموس الكتاب ٤٤٤ ، نساء الكتاب المقدس لالياس مقار ٢٠)

وقال لها أسرعى خذى ثلاث صيعان(١) من دقيق سميذ اعجنيه واصنعى خبز(٢) ملة ، وحضر إبراهيم إلى البقر وأخـــذ عجلا رخصا سمينا دفعه إلى الغلام واستعجل بإصلاحه وأخذ سمنا ولبنا والعجل الذى صنعوه وقدم بين أيديهم وهو واقف عليهم تحت الشجرة وقال كلوا) .

قال أبو محمد : فى هذا الفصل آيات من البلاد شنيعة نعوذ بالله من قليل الضلال وكثيره ، فأول ذلك اخباره أن الله — عز وجل — تجلى لإبراهيم ، وأنه رأى ثلاثة نفر فأسرع إليهم وسجد وخاطبهم بالعبودية ، فإن كان أولئك الثلاثة هم الله فهذا هو التثليث بعينه بلا كلفة ، بل هو أشد من التثليث لأنه إخبار بشخوص ثلاثة والنصارى يهربون من التشخيص . وقد رأيت فى بعض كتب النصارى الاحتجاج بهذه القصة بعينها فى إثبات التثليث(٣) ، وهذا كما ترى فى غاية الفضيحة . فإن كان أولئك الثلاثة ملائكة وهكذا يقولون فعليهم فى هذا أيضاً فضائح عظيمة وكذب فاحش من وجوه .

أولها : من المحال والكذب أن يخبر بأن الله تعالى تجلى له . وإنما تجلى له ثلاثة من الملائكة .

---

(١) صيعان جمع صاع وهو الذى يكال به وتدور عليه أحكام المسلمين ، والصاع الذى يكال به غير الصاع الذى يشرب به وهو أربعة أمداد ، وقدر بأربع حفنات بكفى الرجل الذى ليس بعظيم الكفين ولا صغيرهما (تاج العروس ٥/٤٢٣) .

(٢) خبز مله : عجين يخبز على الحجارة المحماة ويعد من الخبز النفيس (السنن القويم ١/١٣٧) .

(٣) يقول صاحب السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم عند هذه القصة : « وعدد الثلاثة يشير إلى تثليث الاقانيم فى اللاهوت ، لكنه ليس ببرهان على التثليث (١/١٣٦) .

وثانيها : أن يخاطب أولئك الثلاثة بخطاب الواحـــد ، وهذا مما يزيد في ضلال النصارى في هذا الفصل ، وهذا أيضاً محال في الخطاب .

وثالثها : سجوده للملائكة ، فإن من الباطل أن يسجد إبراهيم رسول الله ﷺ وخليله لغير الله تعالى ولمخلوق مثله(١) فهذه كذبة ، وأن قالوا بل لله سجد ، فهذه كذبة ولا بد ، وأن يكون الله ـ عندهم هو الثلاثة المتجلون لا بد من أحدهما ، وعادت البلية أشد ما كانت .

ورابعها : خطابه لهم بأنه عبدهم . فإن قالوا المخاطب بذلك هو الله تعالى وهو المتجلى له فقد عادت البلية ، وإن كان المخاطبون بذلك الملائكة فحاش لله أن يخاطب إبراهيم ـ عليه السلام ـ بالعبودية غير الله ـ تعالى ـ ومخلوقا مثله ، مع أن من المحال أن يخاطب ثلاثة بخطاب واحد .

وخامسها : قوله يؤخذ قليل من ماء وتغسل أجلكم أجلكم وأقدم كسرة من الخبز تشتد بها قلوبكم ، فهذه الحالقة ، لئن كان خاطب بهذا الخطاب الله ـ عز وجل ـ فهي التي لا شوى لها ولا بقية بعدها والتي تملأ الفم ، وأن كان خاطب بذلك ملائكة فهذا كذب ، لأن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لا يجهل أن الملائكة لا تشتد قلوبهم بأكل كسر الخبز ، فهذه على كل حال كذبة باردة سمجة ، فإن قالوا ظنهم ناساً ، قلنا هذا أكذب لأنه في أول الخبر يخبر بأن الله ـ تعالى ـ تجلى له ، وكيف يسجد إبراهيم ويتعبد لخاطر طريق ؟ حاش له من هذا الضلال .

---

(١) لعله سجود تحية واكرام كانوا يأتونه عادة فى التحيات، وقد يكون سجودا على نحو آخر على غير المتعارف عندنا كما سجد الملائكة لآدم ـ عليه السلام ـ والذى يبدوا لنا أن هذا لون من ظاهرية ابن حزم التى لم ينج منها حتى أهل الكتاب . (راجع مبحث منهج ابن حزم الظاهرى) .

وسادسها : أخباره أنهم أكلوا الخبز والشواء والسمن واللبن ، وحاش لله أن يكون هذا خبر عن الله — تعالى — لا ولا عن الملائكة ، أين هذا الكذب البارد الفاضح الذى يصبه هقول اليهود المصدقين به من الحق المنير الواضح عليه ضياء اليقين فى قول الله (١) — عز وجل — فى هذه القصة نفسها : (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما ، قال : سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ (٢) . فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس(٣) منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ، وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب ، قالت ياويلتى (٤) ، أألد وأنا عجوز وهذا بعلى (٥) شيخا ، أن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت أنه حميد مجيد) هيهات(٦) نور الحق من ظلمات الكذب ؟ والحمد لله رب العالمين / كثيرا ، وفيها وجه سابع ليس كهذه الوجوة فى الشناعة وهو اقرارهم بأن

---

(١) سورة هود : الآيات من ٦٩ — ٧٣

(٢) حنيذ : أى مشوى ، وقيل هو المشوى بحر الحجارة من غير أن تمسه النار (القرطبى ٦٣/٩

(٣) أوجس : أى أضمر وقيل أحس .

(٤) ياويلتى : أصلها ياويلتى ، فأبدل من الياء ألف ، لأنها أخف من الياء والكسرة ، ولم ترد الدعاء على نفسها بالويل ، ولكنها كلمة تخف على أفواه النساء إذا طرأ عليهن ما يعجبن منه ، وعجبت من ولادتها ومن كون بعلها شيخا لخروجه عن العادة ، وما خرج عن العادة مستغرب ومستنكر .

(٥) بعلى : أى زوجى (راجع تفسير القرطبى لهذه الآيات) .

(٦) ومن عجب أنه مع هذا الخلاف الجوهرى الكبير بين قصص القرآن وقصص أسفارهم وتوراتهم المزعومة ، وبين نور الحق فيما جاء به =

إبراهيم -عليه السلام- أطعم الملائكة اللحم واللبن والسمن معاً والربانيون(١) منهم يحرمون هذا اليوم ، فأقل مافيه النسخ على أن يكون سلامة من أطم الدواهى ، والسلامة — والله — منهم بعيدة .

فصل سادس عشر : ثم(٢) قال متصلا بهذا الفصل : (وقالوا له أين سارة زوجتك فقال هاهى ذه فى الخباء قال سأرجع إليك مثل هذا الوقت من قابل ويكون لها ابن ، وسارة تسمع فى الخباء وهو وراءها وكان إبراهيم وسارة شيخين قد طعنا فى السن ، وانتهى لسارة أن يكون لها سبيل النساء وضحكت سارة فى نفسها قائلة أبعد أن بليت يصير لى ذا وسيدى شيخ قال الله -تعالى- لإبراهيم لما ضحكت سارة قائلة هل لى أن ألد وأنا عجوز وهل يخفى عن الله - تعالى - أمر مثل هذا الوقت إذ قال عز من قائل يكون لسارة ابن فجحدت سارة ، وقالت لم أضحك إذ خافت وقال السيد ليس كما تقولين بل قد ضحكت فقام القوم من ثم) .

= الكتاب الكريم وظلمات الباطل والزيف والتحريف فيما جاءت به أسفارهم ، لا ينفك كثير من المستشرقين ومن يدور فى فلكهم يزعمون أن محمدا قد نقل قصصه من قصص اليهود . كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، أن يقولون إلا كذبا وصدق الله العظيم إذ يقول لرسوله : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » وإذ يقول : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » (الأسفار المقدمة ٥٣ — ٥٤) .

(١) راجع هذه الفرقة ص ٢٦٢

(٢) تكوين ١٨ : ٩/١٦

قال أبو محمد : عاد الخبر بين سارة وإبراهيم وبين البارى - عز وجل - وعاد الحديث الماضى ، ثم فى هذا زيادة أن الله تعالى قال إن سارة ضحكت ، وقالت سارة لم أضحك ، فقال الله بل قد ضحكت ، فهذه مراجعة(١) الخصوم وتعارض(٢) الاكفاء ، وحاش لسارة الفاضلة المنبأة من عند الله - عز وجل - بالبشارة من أن تكذب الله عز وجل فيما يقول ، وتكذب هى فى ذلك فتجحد مافعلت فتجمع بين سوأتين إحدهما كبيرة من الكبائر قد نزه الله - عز وجل - عنها الصالحين ، فكيف الأنبياء والأخرى أدهى وأمر وهى التى لايفعلها مؤمن ولو أنه أفسق أهل الأرض لأنها كفر ونعوذ بالله من الضلال .

فصل : وبعد ذلك(٣) وصف أن الملكين باتا عند لوط وأكلا / عنده الخبز الفطير ، وأن لوطا — عليه السلام — سجد لهما على وجهه فى الأرض وتعبد لهما ، وقد مضى مثل هذا وأنه كذب ، وأن الملائكة لا تأكل فطيرا ولا مختمرا وأن الأنبياء — عليهم السلام — لا يسجدون لغير الله تعالى ولا يتعبدون لسواه .

فصل ثامن عشر : وذكر أن إبراهيم — عليه السلام — قال الله عز

---

(١) راجعه الكلام : حاوره إياه . وما أرجع إليه كلاما أى ما أجابه، والمراجعة : المعاودة (لسان العرب ١/١١٣٠) .

(٢) يقال فلان يعارضنى أى يبارينى (لسان العرب ٢/٧٣٧) والاكفاء : جمع كفء وهو النظير والمساوى ، ومنه الكفاءة فى النكاح، وهو أن يكون الزوج مساويا للمرأة فى حسبها ونسبها وبيتها وغير ذلك (لسان العرب ٣/٢٩٦) .

(٣) تكوين ١٩ : ١ — ٣

وجل — إذ ذكر له هلاك قوم لوط فى كلام كثير : أنت(١) معاذ من أن تصنع هذا الأمر لا تقتل الصالح مع الطالح فيصير الصالح كالطالح ، فأنت معاذ يا حاكم جميع العالم من هذا ، ولم ينكر الله تعالى ـ عليه هذا القول .

وقال بعد ذلك(٢) : أن الملكين قالا للوط أنظر من لك هنا من صهر بنيك وبناتك وكل مالك فى القرية أخرجهم من هذا الموضع لأنا مهلكون هذا الموضع ، وقال بعد ذلك : إن لوطا كلم أصهاره(٣) المتزوجين بناته .

وقال لهم أخرجوا من هذا الموضع فإن الله مهلكهم وأنه صار عندهم كاللاعب ثم قال بعد ذلك : إن الملائكة أمسكوا بيد زوجته وبنتيه لشفقة الله — تعالى — عليهم وأخرجوهم خارج القرية ؛ ثم ذكر هلاك القرية بكل ما فيها .

قال أبو محمد : لا يخلو أصهار لوط وبنوه وبناته من أن يكونوا صالحين أو طالحين ، فإن كانوا صالحين ، فقد هلكوا مع الطالحين ، وبطل عقد الله تعالى — مع إبراهيم فى ذلك ، وحاش لله من هذا ، وإن كانوا طالحين فكيف يأمر الملائكة بإخراج الطالحين وهم كانوا مبعوثين لهلاكهم فلابد من الكذب فى أحد الوجهين ، وبالجملة فأخبارهم معفونة جدا .

---

(١) تكوين ١٨ : ٢٢ — ٢٦ .

(٢) تكوين ١٩ : ١٢ — ١٦ .

(٣) الأصهار : جمع صهر ، وهو زوج بنت الرجل وزوج أخته . (لسان العرب ٢ ـ ٤٦) ،

فصل تاسع عشر: وبعد ذلك قال (١) : (وأقام لوط فى المغارة هو وابنتاه فقالت الكبرى للصغرى أبونا شيخ وليس فى الأرض أحد يأتينا كسبيل النساء ، تعالى نسق أبانا خمراً ونضاجعه ونستبق منه نسلا فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة وأتت الكبرى فضاجعت أباها ولم يعلم بنومها ... ولا بقيامها فلما كان من الغد قالت الكبرى للصغرى قد ضاجعت أبى أمس تعالى نسقيه الخمر هذه الليلة وضاجعيه أنت ونستبق من أبينا نسلا فسقتاه تلك الليلة خمراً وأتت الصغرى وضاجعته ولم يعلم بنومها ولا بقيامها وحملت ابنتا لوط من أبيهما فولدت الكبرى ابنا وسمته مؤاب (٢) ،وهو أبو المؤابين إلى اليوم وولدت الصغيرة ابنا وسمته ابن عمى وهو أبو العمونيين (٣) . إلى اليوم .

وفى السفر الخامس من التوراة بزعمهم أن موسى — عليه السلام — قال لبنى اسرائيل : أن الله تعالى - قال لى لما انتهينا إلى صحراء بنى مؤاب لاتحارب بنى مؤاب ولاتقاتلهم فأنى لم أجعل لكم فيما تحت أيديهم سهما لأنى قد ورثت بنى لوط (أدوا) وجعلتها مسكنا لهم ، ثم ذكر (٤) أن موسى قال لهم : أن الله تعالى — قال له أيضا أنت تخلف اليوم حوز بنى مؤاب المدينة التى تدعى

---

(١) تكوين ١٩: ٣٠-٣٨ .

(٢) مؤاب: اسم سامى ربما كان معناه « من أبوه ؟ » وأرض مؤاب يقابلها اليوم القسم الشرقى من البحر الميت لمملكة الأردن اليوم (قاموس الكتاب المقدس ٩٢٧) .

(٣) العمونيين : نسل بن عمى ، ابن لوط — عليه السلام — وأرضهم منطقة جبلية شرق نهر الأردن

(قاموس الكتاب ٦٤٠) .

(٤) سفر التثنية ٢: ١٧ - ١٩ .

هاذ وتنزل فى جوار بنى عمون فلا تحاربهم ولا تقاتل أحداً منهم ، فانى لم أجعل لكم تحت أيديهم سهما لأنهم من بنى لوط وقد ورثتهم تلك الأرض .

قال أبو محمد : فى هذه الفصول فضائح وسوآت تقشعر منها جلود الذين يؤمنون بالله — تعالى — العارفين حقوق الانبياء — عليهم السلام .

فأولها : ماذكر عن ابنتى لوط — عليه السلام — من قولهما ليس أحد فى الأرض يأتينا كسبيل النساء تعالى نسق أبانا خمراً ونضاجعه ونستبق منه نسلا ، فهذا كلام أحمق فى غاية الكذب والبرد أترى كان انقطع نسل ولد آدم كله حتى لم يبق فى الأرض أحد يضاجعهما ؟ أن هذا لعجب فكيف والموضع معروف إلى اليوم ؟ وليس بين تلك المغارة التى كان فيها لوط - عليه السلام مع بنتيه وبين قرية سكنى ابراهيم - عليه السلام - إلا فرسخ واحد لامزيد وهو ثلاثة أميال فقط ، فهذه سوأة ومحال .

والثانية : أطلاق الكذاب الواضع لهذه الخرافة - لعنه الله - هذه الطوام على الله - عز وجل - من أنه أطلق نبيه ورسوله - صلى الله عليه وسلم - على هذه الفاحشة العظيمة من وطء ابنتيه واحدة بعد واحدة ، فإن قالوا لاملامة عليه فى ذلك لأنه فعل ذلك وهو سكران لايعلم من هما ، قلنا : فكيف حمل إذ رآهما حاملتين ، وإذ رآهما قد ولدتا ولدين لغير رشده (١) ، وإذ رآهما تربيان أولاد الزنا ؟؟

---

(١) يقال : هذا ولد رشدة إذا كان لنكاح صحيح كما يقال فى ضده : ولد زنية ، بالكسر فيهما ، ويقال بالفتح وهو أفصح اللغتين ، الفراء فى كتاب المصادر : ولد فلان لغير رشدة ، وولد لغية ولزنية كلها بالفتح ، وقال الكسائى يجوز لرشدة ولزنية .

(لسان العرب ١/١١٦٩ .

هذه فضائح الأبد وتوليد الزنادقة المبالغين فى الاستخفاف بالله تعالى ورسله - عليهم السلام .

والثالثة (١) : أطلاقهم عـلى الله - تعالى - أنه نسب أولاد ذينك الزنيمين (٢) فرخى الزنا إلى ولادة لوط - عليه السلام - حتى ورثهما بالدين كما ورث بنى إسرائيل وبنى عيسو لإبنى اسحاق سواء سواء ، تعالى الله عن هذا علوا كبيرا ، فإن قالوا كان هذا مباحاً يومئذ قلنا فقد صح النسخ الذى تنكرونه بلا كافة . وقال قبل هذا أن ابراهيم إذا أمره الله تعالى بالمسير من حران إلى أرض كنعان أخذ مع نفسه امرأته سارة وابن أخيه لوط ابن هارون ، وذكروا (٣) فى بعض توراتهم أنه كلمته الملائكة وأن الله - تعالى أرسلهم إليه ، فصح باقرارهم أنه نبى الله - عز وجل - وهم يقولون إنه بقى فى تلك المغارة شريدا طريدا فقيرا لاشىء له يرجع إليه ، فكيف يدخل فى عقل من له أقل إيمان أن ابراهيم - عليه السلام - يترك ابن أخيه الذى تغرب معه وآمن به ، ثم هو نبى مثله يضيع ويسكن فى مغارة مع ابنتيه فقيرا هالكا ، وهو على ثلاثة أميال منه وابراهيم على ماذكر (٤) فى التورة عظيم المال مفرط الغنى كثير اليسار من الذهب والفضة والعبيد والإماء والجمال

---

(١) يلاحظ على ابن حزم النظام فيما يكتب فهو عادة يرقم أفكاره ويرتب رده ولا يخلط الافكار بعضها ببعض كما يفعل غيره .

(٢) الزنيم : الزائد فى القوم وليس منهم تشبيها بالزنمتين من الشاة المتدليتين من أذنها ومن الحلق .

(المفردات للراغب الاصبهانى ٢١٥) .

(٣) راجع سفر التكوين ١٩ : ٢ - ٣ .

(٤) راجع سفر التكوين ٢٠ : ١٤ ، ١٣ : ٢ .

والبقر والغنم والحمير . ويقولون فى توراتهم (١) أنه ركب فى ثلثمائة مقاتل وثمانية / عشر مقاتل لحرب الذين سبوا لوطا وماله حتى استنقذه وماله ، فكيف يضيعه بعد ذلك هذا التضييع ؟ ليست هذه صفات الأنبياء ولا كرامة ولا صفات من فيه شىء من الخير ، لكن صفات الكلاب شبه الذين وضعوا لهم هذه الخرافات الباردة التى لا فائدة فيها ولا موعظة ولا عبرة حتى ضلوا بها ، ونعوذ بالله من الخذلان .

فصل موفى عشرين . وفى موضعين (٢) من توراتهم المبدلة أن سارة امرأة أبراهيم - عليه السلام - أخذها فرعون ملك مصر مرة ، وأخذها ملك الخلص أبو مالك مرة ثانية ، وأن الله - سبحانه وتعالى - أرى الملكين فى منامهما ما أوجب ردها إلى إبراهيم - عليه السلام - وذكر أن سن ابراهيم - عليه السلام - انحدر من حران خمسة وسبعون عاما ، وأن(٣) اسحاق ولد له وهو ابن مائة سنة ولسارة إذ ولد تسعون عاما فصح أنه كان يزيد عليها عشر سنين وذكر أن ملك الخاص أخذها بعد أن ولدت إسحاق فكيف بعد أن ولدته وهى قد جاوزت تسعين

---

(١) راجع سفر التكوين ١٤ : ١٢ - ١٦ .

(٢) راجع سفر التكوين ١٢ : ١١ - ٢٠ وراجع أيضاً الفصل العشرون من سفر التكوين .

(والأسفار المقدسة ص٤٣ .

(٤) تكوين ٢ : ٥ .

عاما ، ومن المحال أن تكون فى هذا السن تفتن ملكا(١) ، وأن إبراهيم قال فى كلتى المرتين هى أختى ، وذكر(٢) عن إبراهيم أنه قال للملك هى أختى بنت أبى لكن ليست من أمى فصارت لى زوجة ، فنسبوا فى نص توراتهم إلى إبراهيم — عليه السلام — أنه تزوج أخته(٣) ، وقد وقفت

---

(١) هذا الاستبعاد من المؤلف ليس فى موضعه لأن مثل هذا السن بالنسبة للأعمار الطويلة التى كانت فى تلك الأيام تعتبر سن شباب لا سن شيخوخة ، خصوصا بالنسبة للسيدة سارة التى أعطيت حظا كبيرا من الحسن والجمال ، كما أعطيت حظا كبيرا من التقوى وعدم الميل إلى الشهوات ولا يخفى ما فى هذا من حفظ القوى ؛ وكما ذكره الحافظ ابن حجر أعطى يوسف وأمه شطر الحسن يعنى سارة . . ولعل تعلق الملك بها جاء على حد قول القائل :

تعشقها شمطاء شاب وليدها ... وللناس فيما يعشقون مذاهب

ولا ندرى كيف عارض ابن حزم قصة وردت فى كتب الصحاح ؟ ! هل ينكر المؤلف هذه الاحاديث — ولو رواها البخارى ومسلم — لأنها تتنافى مع عصمة الأنبياء وما ينبغى لهم ؟ ! ومهما يكن من أمر فإن هذا الاعتراض لا يتفق مع منهج ابن حزم فى مناقشة أهل الكتاب ، ولا يتفق مع الأصول التى وضعها لنفسه ، ولقد سرت عدوى هذا الإنكار إلى أحد الكتاب المعاصرين فأنكر القصة كما أنكرها شيخ له من قبل . ولله فى خلقه شئون .

(راجع ما كتبه الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار حول هذه الحادثة ، ورد اللجنة عليه ص ٨٤ — ٩٣) .

(٢) تكوين ٢٠ : ٢ — ٢٢ .

(٣) فى الحديث الذى رواه أبو هريرة وخروجه البخارى (٤/١٧١) ==

على هذا الكلام أعلم من شاهدناه منهم وهو إسماعيل بن يوسف الكاتب المعروف بابن النغرالى[١] .

فقال لى إن نص اللفظة فى التوراة أخت ، وهى لفظة تقع فى العبرانية على الأخت وعلى القريبة ، فقلت له يمنع من صرف هذه اللفظة إلى القريبة ها هنا قوله : « لكن ليست من أمى وإنما هى بنت أبى » : فوجب أنه أراد الأخت بنت الأب . وأقل ما فى هذا إثبات النسخ[٢] الذى تفرون منه نخلط ولم يأت بشىء .

فصل : ثم ذكر[٣] موت سارة ، وقال[٤] تزوج إبراهيم — عليه السلام — امرأة اسمها قطوره وولدت له زمران ، ويقشان ، ومدان ، و ديان ، ويشبق ، وشوحا ، وأعطى إبراهيم جميع ماله لاسحاق ، وأعطى بنى الإماء عطايا وأبعدهم عن إسحاق .

قال أبو محمد : هذا نص الكلام كله متتابعا مرتبا ، ولم يذكر له زوجة فى حياة سارة ولا أمة لها ولد إلا هاجر أم إسماعيل فقط ، ولا ذكر له بعد سارة زوجة ولا أمة ولا ولدا غير قطورة وبنيها ، وفى كتبهم أن قطورة

= «فإن سألك — أى الملك — فأخبريه أنك أختى فإنك أختى فى الإسلام فإنى لا أعلم فى الأرض مسلما غيرك وغيرى ...» .

(١) لأن شريعة اليهود لا تبيح الزواج من الأخوات بخلاف مادونته التوراة عن شرع إبراهيم .

(٢) تكوين : ٢٣ : ٢ .

(٣) تكوين : ٢٥ : ١ — ٦ .

هذه بنت ملك الربة(١) وهى موضع عمان اليوم بقرب البلقاء ، وهذه أخبار تكذب بعضها بعضا .

فصل ثانى وعشرين : ثم ذكر(٢) أن رفقة بنت بتوئيل بن تارح زوجة إسحاق عليه السلام — كانت عاقرا ، فشفعه الله وحملت وازدحم الولدان فى جوفها .

وقالت لو علمت أن الأمر هكذا كان يكون لم أطلبه ، ومضت لتلتمس علما من الله — عز وجل — وقال لها الله فى بطنك أمتان وحزبان يفترقان منه ، أحدهما أكبر من الآخر والكبير يخدم الصغير . فلما كملت أيام الولادة إذا بتوأمين فى بطنها وخرج الأول أحمر كله كـكساء من شعر فسمى عيسو وبعد ذلك خرج أخوه ويده ممسكة بعقب عيسو فسمته يعقوب .

قال أبو محمد : لامؤنة على هؤلاء السفلة فى أن ينسبوا الكذب إلى الله — عز وجل — وحاش لله من الكذب ، ولا خلاف بينهم فى أن عيسو لم يخدم — قط — يعقوب ، وأن بنى عيسو لم تخدم قط بنى يعقوب ، بل فى التوراة(٣) نصا أن يعقوب سجد على الأرض سبع مرات لعيسو إذ رآه ،

---

(١) الربة : مدينة تقع عند منبع يبوق وتبعد عن الأردن بنحو ٢٣ ميلا شرقا ، وكانت عاصمة أرض بنى عمون وكان الطريق التجارى بين دمشق والجزيرة العربية يمر بها ، واسمها الحديث عمان : وهى عاصمة شرق الأردن .

(قاموس الكتاب ٣٩٧) .

(٢) تكوين ٢٥ : ٢٠-٢٦ وراجع الأسفار المقدسة ص ٥٠ .

(٣) راجع سفر التكوين ٣٣ : ١-١٤ .

وأن يعقوب لم يخاطب عيسو إلا بالعبودية والتذلل المفرط ، وأن جميع أولاد يعقوب ـ حاش بنيامين الذى لم يكن ولد بعد(١) ـ كلهم سجدوا لعيسو ، وأن يعقوب أهدى إلى عيسو مداراة له خمسمائة رأس وخمسين رأسا من إبل وبقر وحمير وضأن ومعز . وأن يعقوب رآها منة عظيمة إذ قبلها منه عيسو ، وأن بنى عيسو لم تزل أيديهم على أقفاء بنى إسرائيل من أول دولتهم إلى انقطاعها ، اما يتملك بنو عيسو بنى إسرائيل أو يكونون على السواء معهم . وأن بنى إسرائيل لم يملكوا قط أيام دولتهم بنى عيسو ، فاعجبوا لهذه الفضائح أيها المسلمون واحمدوا الله ـ تعالى ـ على السلامة مما ابتلى به غيركم من الضلال والعمى .

فصل ثالث وعشرين ثم ذكر(٢) أن اسحاق قال لابنه عيسو يا بنى قد شخت(٣) ولا أعلم يوم موتى ، فاخرج وصد لى صيدا ، واصنع لى منه طعاما كما أحب وائتنى به وآكله كى تباركك نفسى قبل أن أموت وأن رفقة أم عيسو ويعقوب أمرت ابنها يعقوب أن يأخذ جديين(٤) وتصنع هى منهما طعاما ويأتى به يعقوب إلى إسحاق أبيه ليأكله ويبارك عليه ، وأن يعقوب قال لأمه إن أخى عيسو أشعر وأنا أجرد لعل أبى يحس بى وأكون عنده كاللاعب وأجلب على نفسى لعنة لا بركة ، فقالت له أمه على استدفاع لعنتك وأن يعقوب فعل ما أمرته به أمه ، فأخذت هى ثياب عيسو ابنها الاكبر ولبستها

---

(١) ولد بنيامين فى طريق بيت لحم وكانت أمه راحيل راجعه مع أبيه من فدان أرام إلى أرض كنعان (قاموس ١٩٢) .

(٢) تكوين ٢٧ : ١ ـ ٤٠ وراجع الأسفار المقدسة ٥٠ـ٥٣

(٣) وكان قد كف بصره .

(٤) كان اسحاق يومئذ ابن ١١٧ سنة لكنه عاش ١٨٠ سنة (٢٥ : ٢٨) فيكون عاش ٦٣ سنة بعد ذلك ومع هذا توقع سرعة وفاته (السنن القويم ١ - ١٨٣) :

يعقوب وجعلت جلود الجديين على يديه وعلى حلقه وأعطته الطعام، وجاء به إلى أبيه فقال له يا أبى، فقال له إسحاق : من أنت ياولدى ؟ فقال له يعقوب أنا ابنك وبكرك عيسو صنعت جميع ما قلت لى فاجلس وتأكل من صيدى لتبارك على، وأن إسحاق قال ليعقوب، تقدم حتى أجسك يابنى هل أنت ابنى عيسو أم لا ؟ فتقدم يعقوب فجسه اسحاق فقال الصوت صوت يعقوب واليدان يدا عيسو، أنت ابنى عيسو ؟ قال : أنا (فبارك عليه، وقال له فى بركته تلك : تخدمك الأمم وتخضع لك الشعوب وتكون مولى اخوتك وتسجد لك بنو أمك (١)، ثم ذكر أن عيسو أتى بالصيد إلى إسحاق، فلما عرف إسحاق القصة قال لعيسو عن يعقوب قد صيرته سلطانا وجعلت جميع إخواته عبيدا له فرغب إليه عيسو فى أن يبارك عليه أيضا ففعل وقال له فى بركته (٢) : (إياك وأخاك تخدم فإذا استوليته فككت أسره من عنقك) .

قال أبو محمد : فى هـذا الفصل فضائح وأكذوبات وأشياء تشبه الخرافات : -

فأول ذلك : إطلاقهم على نبى الله يعقوب أنه خدع أباه وغشه، وهذا - والله - مبعد عن من فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والأعداء، فكيف من نبى مع أبيه وهو نبى أيضا ؟ ! هذه سوآت مضاعفات، أين ظلمة هذا الكذب من نور الصدق فى قول (٣) الله - تعالى - (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون) .

---

(١) بنوا أمك : أى عيسو ونسله (السنن القويم ١/١٨٦) .

(٢) فى الترجمة التى بين أيدينا الآن : (يعطيك الله من ندى السماء ومن دسم الارض يكثر لك الحنطة والخمر .

(٣) سورة البقرة : الآية ٩ .

وثانية : وهى إخبارهم أن بركة يعقوب إنما كانت مسروقة مأخوذة بغش وخديعة وتخابث ، وحاش الأنبياء - عليهم السلام - من هذا ، ولعمرى إنها لطريقة اليهود فما تلقى منهم إلا الخبيث المخادع وإلا الشاذ .

وثالثة : وهى إخبارهم أن الله - عز وجل - أجرى حكمه وأعطى نعمته على طريق الغش والخديعة ، وحاش لله من هذا .

ورابعة : وهى أنه لا يشك أحد فى أن اسحاق - عليه السلام - إذ بارك يعقوب إذ خدعه بزعم النذل الذى كتب لهم هذا الهوس إنما قصد بتلك البركة عيسو وله دعا لا ليعقوب ، فأى منفعة للخديعة هنا لو كان لهم عقل ولم يصدقوا بكل خرافة ، وما أشبه هذه العقول فى القضية بحمق الغرابية(١) من الرافضة القائلين : إن عليا - عليه السلام - كان يشبه النبى - صلى الله عليه وسلم - كشبه الغراب بالغراب ، وأن الله - تعالى - إذ بعث جبريل إلى على فأخطأ جبريل وجاء إلى محمد ، وهذه فرقة من الغالية ، وهكذا بارك اسحاق على عيسو فأخطأت الدعوة البركة ومضت إلى يعقوب فعلى كلتا الطائفتين لعنة الله ، فهذه وجوه الخبث والغش فى هذه القضية ، وأما وجوه الكذب فكثيرة جدا ، من ذلك نسبتهم الكذب إلى يعقوب - عليه السلام - وهو نبى الله - تعالى - ورسوله فى أربع مواضع :

أولها وثانيها : قوله لأبيه إسحاق أنا ابنك عيسو وبكرك ، فهذه كذبتان فى نسق لانه لم يكن ابنه عيسو ولا كان بكره

وثالثها ورابعها : قوله لأبيه صنعت لك جميع ما قلت لى فاجلس وتأكل من صيدى فهذه - أيضا - كذبتان فى نسق لانه لم يكن قال له شيئا ولا أطعمه من صيده ، وكذبات أخرى وهى بطلان بركة اسحاق إذا قال له : تخدم الأمم وتخضع لك الشعوب ا وتكون مولى أخوتك ويسجد لك بنو أمك

---

(١) راجع مقالة هذه الفرقة الخبيثة فى الفرق ٢٣٧ وشرح المواقف ٣٧٨/٨

وقوله لعيسو : « أخاك تخدم » وهى كذبات متواترة ، والله ماخدمت الآمم قط يعقوب ولا بنيه بعده ولا خضعت لهم الشعوب ولا كانوا موالى أخوتهم ولا سجد لهم ولا له بنو أمه ، بل بنو اسرائيل خدموا الامم فى كل بلدة وفى كل أمة وهم خضعوا قديما وحديثاً فى أيام دولتهم وبعدها ، فإن قالوا سيكون هذا قلنا لهم :

قد حصلتم على الصغار يقينا
والامانى بضائع السخفاء

هيهات :

ترجى ربيع أن تجي صغارها
بخير وقد أعيا ربيعا كبارها

لاسيما مع تقضى جميع الآباد (١) التى كانوا يقبثون أنها لا تنقضى حتى يرجع أمرهم، واعلموا أن كل أمة أدبرت فإنهم منتظرون من العودة ، ويمنون أنفسهم من الرجعة بمثل ماتمنى به بنو اسرائيل أنفسها ، ويذكرون فى ذلك مواعيد كمواعيدهم فأمل كأمل ولافرق ، كانتظار مجوس الفرس بهرام هماوند(٢) راكب البقرة ، وانتظار الروافض(٣) للمهدى، وانتظار النصارى الذى يأتيهم / فى السحاب ، وانتظار الصابئين — أيضا — لقصة أخرى ،

---

(١) الآباد : جمع الأبد وهو الدهر .
(لسان العرب ١/٣) .

(٢) انظر أخباره فى كتاب غرر ملوك الفرس وسيرهم لأبى منصور الثعالبى ص ٢٠٩ ومابعدها ،
(طبعة طهران سنة ١٩٦٣) .

(٣) راجع فى هذه الفرقة التبصير فى الدين ١٩ ، الملل والنحل للشهرستانى ١ : ١٤٠ والفرق بين الفرق ١٧ .

وانتظار غـــيرهم للسفيانى .

قال الشاعر :

تمن يلذ المستهام بذكره
وإن كان لا يغنى فتيـــلا ولا يجدى

وغيظ على الأيام كالنار فى الحشا
ولكنه غيظ الأســـير على القـــد

وأما قوله تكون مولى أخوتك ويسجد لك بنو أمك، فلعمرى لقد صح ضد ذلك جهاراً ، إذ فى توراتهم[١] أن يعقوب كان راعى ابن عمه لابان ابن ناحور بن تارح وخادمه عشرين سنة ، وأنه بعد ذلك سجد هو[٢] وجميع ولده ـ حاش من لم يكن خلق منهم[٣] بعد ـ لأخيه عيسو مرارا كثيرة وما سجد عيسو قط ليعقوب ولا ملك قط أحد من بنى يعقوب بنى عيسو ؛ وأن يعقوب تعبد لعيسو فى جميع خطابه له وما تعبد قط عيسو ليعقوب . وسأله عيسو عن أولاده فقال له يعقوب : هم أصاغر من الله بهم على عبدك ، وأن يعقوب طلب رضا عيسو وقال[٥] له : (إنى نظرت إلى وجهك كالذى نظر إلى

---

(١) راجع سفر التكوين ٢٩ وراجع أيضا الفصل ٣١ :٣٧— ٤١ .

(٢) راجع سفر التكوين ٣٣:٣— ٧ .

(٣) هو بنيامين بن يعقوب الذى لم يكن قد ولد بعد .

(٤) راجع سفر التكوين ٣٣:٥ .

(٥) راجع سفر التكوين ٣٣: ١٠ — ولفظه : (... فاقبل هديتى من يدى ، فانى رأيت وجهك كما يرى وجه الله ورضيت عنى ، فاقبل بركتى التى جئت بها إليك فإن الله قد أنعم عـــلى وعندى من كل شيء وألح عليه فقبل) .

بهجة الله فارض عنى واقبل ما أهديت لك) وأن عيسو بالحرا قبل هدية يعقوب حينئذ ، فما نرى عيسو وبنيه إلا موالى يعقوب وبنيه ، وكذلك ملك بنو عيسو باقرار توراتهم ميراثهم(١) بساعير ، وهى جبال الشراة ، وملك بنو لوط ميراثهم بمواب وعمان قبل أن يملك بنو إسرائيل ميراثهم بفلسطين والأردن بدهر طويل ، ثم لم يزالوا يتغلبون على بنى اسرائيل أو يساوونهم طول دولة بنى إسرائيل بإقرار كتبهم وما ملك بنو إسرائيل قط بنى عيسو ولا بنى لوط ولا بنى إسماعيل بإقرارهم ولقد بقى بنو عيسو وبنو لوط بإقرار كتبهم(٢) فى ميراثهم بساعير وعمان ومواب بعد هلاك دولة بنى إسرائيل وخروجهم عن ميراثهم ثم ملكهم بنو إسماعيل إلى اليوم ، فما نرى تلك البركة كانت إلا معكوسة ، ونعوذ بالله من الخذلان ولكن حق البركة المسروقة المأخوذة بالخبث فى زعمهم أن تخرج معكوسة منكوسة .

فصل رابع وعشرون : ثم ذكر(٣) أن يعقوب لما مضى الى خاله لابان بن بثوال خطب إليه ابنته راحيل ، وقال له أخدمك سبع سنين فى راحيل ابنتك الصغرى فقال له لابان اصلح هو أن أعطيها لك من أن أعطيها رجلا آخر آتم عندى وخدم يعقوب فى راحيل سبع سنين ، وصارت عنده أياما يسيرة من محبته لها ، وقال يعقوب للابان اعطى زوجتى اذ قد أكملت أيامى أدخل بها ، وجمع لابان جميع أهل الموضع وصنع مجلسا ، فلما كان

---

(١) سعير : اسم الأرض التى كان يسكنها الحوريون (تكوين ١٤ : ٦) ثم استولى عليها عيسو ونسله (تكوين ٣٢ : ٣) وكانت تسمى أيضا جبل سعير لأنها أرض جبليه على الجانب الشرقى من البريه العربية ويصل ارتفاع أعلى قمة فى هذه الأرض الى ١٦٠٠ مترا وهى قمة جبل هور (قاموس الكتاب ٤٦٧) .

(٢) راجع سفر التثنيه ٢ : ٤ — ٥ ، ٩ ، ١٨ — ١٩ .

(٣) تكوين ٢٩ : ١٦ — ٢٨ .

بالعشى أخذ ليئة ابنته وزفها عليه ودخل بها ، فلما كان بالغداة ورأى أنها ليئة قال للابان ماذا صنعت ؟ ألبس فى راحيلَ خدمتك فلم خدعتنى ؟! فقال لابان لا يصنع هكذا فى موضعنا أن نزوج الصغرى قبل الكبرى أكمل أسبوع هذه وأعطيك أيضا هذه بخدمة تخدمها سبع سنين أخرى ، وصنع يعقوب كذلك وأكمل أسبوع ليئة، وأعطى راحيل ابنته لتكون له زوجة قال أبو محمد : فى هذا الفصل آبدة(١) الدهر . وهى اقرارهم أن يعقوب — عليه السلام — تزوج راحيل فأدخل عليه غيرها ، فحصلت ليئة الى جنبه بلا نكاح ، وولد له منها ستة ذكور وابنة ، وهذا هو الزنا بعينه أخذ امرأة لم يتزوجها بخديعة وقد أعاذ الله — تعالى — نبيه من هذه(٢) السوأة، وأعاذ أنبياءه — عليهم السلام — موسى وهارون وداود وسليمان عليهم السلام من أن يكونوا من مثل هذه الولادة ،وهذا يشهد ضرورة أنها من توليد زنديق متلاعب بالديانات فإن قالوا لابد أنه قد تزوجها إذ علم أنها ليست التى تزوج.

قلنا : فهل أن نسمح لكم فى هذا فالنسخ ثابت ولا بد ، لأن نكاح أختين معا حرام فى توراتكم ، وقد قال لى بعضهم(٣) فى هذا لم تكن الشرائع نازلة من عند الله تعالى — قبل موسى — عليه السلام — فقلت له

---

(١) الآبدة : الداهية تبقى على الأبد ، والآبدة : الكلمة أو الفعلة الغريبة وجاء فلان بآبدة أى بداهية يبقى ذكرها على الأبد (لسان العرب ٣٨) .

(٢) السوأة : كل عمل وأمر شائن ، قال ابن الأثير : السوأة فى الأصل الفرج ثم نقل الى كل ما يستحيا منه إذا ظهر من قول وفعل (لسان العرب ٢٣٢/٢) .

(٣) ليس فى وسعنا تحديد هذا البعض الذى يشير إليه المؤلف .

هذا كذب ، أليس قد نص فى توراتكم(١) أن الله تعالى قال لنوح — عليه السلام — : كل دبيب حى يكون لكم مأكله كخضر العشب ، لكن اللحم بدمه لاتأكلوه . وأما دماؤكم فى أنفسكم فسأطلبها) فهذه شريعة اباحة وتحريم قبل موسى — عليه السلام — .

فصل خامس وعشرون : وبعد ذلك ذكر(٢) أن يعقوب رجع من عند خاله لابان بنسائه وأولاده ، قال : ولما أصبح أجاز امرأتيه وأمتيه ، وأحد عشر من ولده المخاضة(٣) .

وبقى وحده وصارعه رجل الى الصبح فلما عجز عنه ، ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه ، وقال له خلنى لانه قد طلع الفجر ، فقال لست أدعك حتى تبارك على . فقال له كيف اسمك ؟ قال يعقوب ، فقال له لست تدعى من اليوم يعقوب بل إسرائيل(٤) من أجل أنك كنت قويا على الله ، فكيف على الناس ؟ فقال له يعقوب عرفنى باسمك ، فقال له لم تسألنى عن اسمى ؟ وبارك عليه فى ذلك الموضع فسمى يعقوب ذلك الموضع فنيئيل(٥) .

---

(١) تكوين ١ : ٢٩ — ٣٠ .

(٢) تكوين ٣٢ : ٢٢ — ٣٢ .

(٣) هى مخاضة يبوق — كما فى الترجمة الحديثه ، وهى نهر معروف الآن بنهر الزرقاء ، ينبع بالقرب من عمان ويسيل أولا شرقا ثم يسيل غربا ويصب فى الأردن عند نقطة تبعد حوالى ٤٣ ميلا إلى الجنوب من بحيرة الجليل و ٢٣ ميلا إلى الشمال من البحر الميت (قاموس الكتاب ١٠٥١) .

(٤) إسرائيل : معنى هذا الاسم العبرى « يجاهد مع الله » أو « الله يصارع » (قاموس الكتاب ص ٦٩) .

(٥) فنيئيل : أو فنوئيل ، اسم عبرى معناه « وجه الله » وهو فى الأصل مخيم شرقى الأردن ، وقد اعطاه هذا الاسم أولا يعقوب ، لأنه هناك نظر=

وقال رأيت الله — تعالى — مواجهة وسلمت نفسي، وبزغت له الشمس بعد أن جاوز «فنيئيل» وهو يعرج من رجله، ولهذا لا يأكل بنو إسرائيل العقب الذي علـى حـق الفخذ إلى اليوم لمس الله تعالى وانقباضه.

قال أبو محمد: في هذا الفصل شنعة عفت(١) على كل ما سلف تقشعر منها الجلود، وبالله العظيم لولا أن الله — عز وجل — قص علينا / كفرهم بقولهم(٢): (يد الله مغلولة) وبقولهم(٣): (إن الله فقير ونحن أغنياء) لما نطقت ألسنتنا بحكاية هذه العظائم، لكنا نحكيه منكرين له، كما نتلوه فيما نصه، عز وجل، لنا تحذيرا من إفكهم(٤) وتبكيتا لهم.

قال أبو محمد: ذكر في هذا المكان أن يعقوب صارع الله، عز وجل تعالى الله عن ذلك وعن كل شبه لخلقه، فكيف عن لعب الصراع(٥)

= الله وجها لوجه، وفي عهد القضاة كان فيه مدينة وبرج (قاموس الكتاب ٦٩٨).

(١) عفت: أي زادت، يقال: عفا فلان على فلان في العلم إذا زاد عليه (لسان العرب ٢ / ٨٢٨).

(٢) بعض آية ٦٤ من سورة المائدة.

(٣) بعض آية ١٨١ من سورة آل عمران.

(٤) الافك: الكذب (لسان العرب ١ / ٧٥).

(٥) الصرع: الطرح بالأرض، والمصارعة والصراع: معالجتهما أيهما يصرع صاحبه (لسان العرب ٢ / ٤٣٠).

الذى لا يفعله إلا أهل البطالة ، وأما أهل العقول فلا يفعلونه لغير ضرورة ، ثم لم يكتفوا بهذه الشوهة[1] حتى قالوا أن الله — عزوجل — عجز عن أن يصرع يعقوب بنص كلام توراتهم[2] . وحقق ذلك قولهم عن الله — تعالى — أنه قال[3] له : كنت قويا على الله فكيف على الناس) ولقد أخبرنى[4] بعض أهل البصر بالعبرانية أنه سمى لذلك إسرائيل ، وإيل بلغتهم هو اسم الله — تعالى — بلاشك ولاخلاف فمعناه أسير الله تذكيرا بذلك الضبط الذى كان بعد المصارعة إذ قال له دعنى .

فقال له يعقوب لا أدعك حتى تبارك على ، ولقد ضربت بهذا الفصل وجوه المتعرضين منهم للجدال كاسماعيل بن يوسف بن النغرالى[5] وإسماعيل ابن يونس الأعور[6] الطبيب وعباس بن يحيى[7] الطبيب وغيرهم فثبتوا كلهم

---

(١) الشوهة : يقال شاهت الوجوه . يعنى قبحت ، ورجل أشوه وامرأة شوهاء إذا كانت قبيحة والاسم الشوهة .

(لسان العرب ٢/٣٨٥) .

(٢) راجع سفر التكوين ٣٢ : ٢٥ .

(٣) راجع سفر التكوين ٣٢ : ٢٨ .

(٤) أخذ بعض الباحثين من هذه العبارة أن الإمام على بن حزم كان لا يعرف العبرانيه ، والذى نراه أن هذا — لو صح — كان فى مطلع حياته ، ولكنه لم يلبث ن تعلم العبرية وغيرها لما رأى حاجته إليها فى مناقشته مع اليهود .

(٦) أورده الإمام ابن حزم فى كتابه « طوق الحمامة ص ٣٥» بقوله : (ولقد كنت يوما بالمرية ، قاعدا فى دكان إسماعيل بن يونس الطبيب الإسرائيلى =

أن نص التوراة أن يعقوب صارع الوهيم(١) ، واتفقوا على أن لفظة الوهيم يعبر بها عن الله وعن الملك . قالوا فإنما صارع ملكا من الملائكة .

فقلت لهم : سياق الكلام يبطل ما تقولون ضرورة ، لأن فيه : (كنت قويا على الله فكيف على الناس) وفيه أن يعقوب قال : (رأيت الله مواجهة وسلمت نفسى) ولا يمكن البتة أن يعجب من سلامة نفسه إذ رأى الملك ولا يبلغ من مس الملك لمأبض(٢) يعقوب أن تحرم على يعقوب ونسله أكل عروق الفخذ فى الأبد من أجل ذلك ، وفيه أنه سمى ذلك الموضع فنيئيل : لأنه قابل فيه إيل وهو الله عز وجل — بلا احتمال عندكم ، ثم لو كان ملكا كما تدعون / عند المناظرة لكان أيضا من الخطأ تصارع نبى وملك لغير معنى ، فهذه صفة المتحدين فى العنصر لا صفة الملائكة والأنبياء .

= وكان بصيرا بالفراسة محسنا لها . .) ولم أجد فيما بين يدى من المصادر ما يلقى ضوءا على شخصيته .

(٧) لم أعثر على ترجمته .

(١) فى ترجمة البروتستانت : أن يعقوب صارع (إنسانا) : وفى ترجمة الكاثوليك : أنه صارع (رجلا) وقد فسر صاحب السنن القويم (الإنسان) بأنه ملاك فى صورة إنسان ، وهذا لا يتفق مع بقية النص كما يقول ابن حزم .

(راجع السنن القويم ١/٢١٠) .

(٢) المأبض : كل ما يثبت عليه فخذك . وقيل المأبض : باطن الفخذين إلى البطن (لسان العرب ١/٦) .

وقال فى تاج العروس : المأبض كمجلس باطن الركبة . والجمع مآبض ، والإباض عرق فى الرجل (٢/٥) .

فإن قيل قد رويتم أن نبيكم صارع ركانه(١) ابن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وأنه أمر سمرة(٢) بن جندب أن يصارع رافع(٣) بن خديج — رضى الله عنهما — قلنا نعم لأن ركانة كان من القوة بحيث لا يجد أحدا يقاومه فى جزيرة العرب ، ولم يكن رسول الله — ﷺ — موصوفا بالقوة الزائدة فدعاه إلى الإسلام فقال له إن صرعتنى آمنت بك .

ورأى أن هذا من المعجزات فأمره — عليه السلام — بالتأهب لذلك ثم صرعه للوقت وعد ذلك ركانة سحرا ثم أسلم ركانة بعد مدة ، فبين الأمرين فرق كما بين العقل والحق ، ولكل مقام مقال ، ولكن إذا أكل

---

(١) كان ركانه من مسلمة الفتح . وكان من أشد الناس ، وهو الذى سأل رسول الله — ﷺ — أن يصارعه . وذلك قبل إسلامه ففعل وصرعه رسول الله ﷺ : مرتين أو ثلاثا ، وتوفى ركانة فى أول خلافة معاوية سنة ٤٢ هـ (الإستيعاب فى معرفة الأصحاب ٢/٥٠٧ وراجع سيرة ابن هشام ٣٩٠-٣٩١) .

(٢) سمرة بن جندب : يكنى أبا عبد الرحمن ، سكن البصرة ، وكان زياد يستخلفه عليها ستة أشهر وعلى الكوفة ستة أشهر ، وكان سمرة من الحفاظ المكثرين عن رسول الله — ﷺ — توفى بالبصرة فى خلافة معاوية سنة ثمان وخمسين .

(راجع الاستيعاب ٢-٦٥٣)

(٣) فى الأصل : رابع بن خديج . والصحيح رافع بن خديج ، عرض على النبي - صلى الله عليه - يوم بدر فاستصغره ، وأجازه يوم أحد ، فخرج بها وشهد ما بعدها ، مات سنة أربع وسبعين ، وهو ابن ست وثمانين سنة .

(راجع : ابن حجر الإصابة ٢-٤٣٦)

الملائكة عندكم كسر الخبز حتى تشتد بها قلوبهم والشوى والسمن واللبن والفطائر(١) فما يذكر لعبهم للصراع مع الناس فى الطرقات ، وهذه مصائب شاهدة بضلالهم وخذلانهم وصحة اليقين بأن توراتهم مبدلة .

وفى الفصل المذكور : إن الله تعالى قال(٢) ليعقوب : (لست تدعى من اليوم يعقوب لكن إسرائيل) ثم فى السفر الثانى من توراتهم . قال الله - تعالى - (قل لآل يعقوب وعرف بنى إسرائيل) فقد سماه الله تعالى بعد ذلك يعقوب وهذه نسبة الكذب إلى الله تعالى .

فصل سادس وعشرون : ثم قال(٣) (وبينا إسرائيل بذلك الموضع ضاجع رأوبين ابنه ، بلهة سرية أبيه) وهى أم دان ونفتالى أخويه ابنى يعقوب ثم أكد هذا بأن ذكر فى قرب آخر السفر الأول إذ ذكر موت يعقوب - عليه السلام - ومخاطبته لبنيه إبنا(٤) ابنا أن يعقوب قال لرأوبين(٥) ابنه :

---

(١) يشير إلى قصة الملائكة مع لوط «عليه السلام» (راجع سفر التكوين ١٩ : ١ ، ٣) .

(٢) راجع سفر التكوين ٣٥/٢٢ وراجع أيضا ٣٢،٢٨ .

(٣) راجع سفر التكوين ٣٥ : ٢٢ وبلهة: جارية راحيل تك (٢٩:٢٩) والسرية: الجارية المتخذة للملك والجماع ، والسر والسرور ، فسميت الجارية سرية لأنها موضع سرور (لسان العرب ٢/١٣١) .

(٤) راجع ماورد فى التوراة عن وصف يعقوب لأولاده ترى فيه كثيرا من الغرابة (سفر التكوين ٤٩ وراجع أيضا تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ص) .

(٥) راجع سفر التكوين ٣٩ : ٣ ، ٤

(إنك صعدت على سرير أبيك ووسخت فراشه وليس مما ابتذلت فراشه تخلص) بعد أن ذكر فى توراتهم(١) أن شكيم بن حمور الحوى أخذ دينه بنت يعقوب « عليه السلام » وافتضها غلبة ، ثم بعد ذلك خطبها إلى يعقوب أبيها إلى أن ذكر قتل لاوى وشمعون لحمور وشكيم ابنه وجميع أهل مدينته وإنكار يعقوب على ابنيه قتلهما لهم .

قال أبو محمد : معاذ الله أن يخذل نبيه ولا يعصمه فى حرمتيه امرأته وابنته من هذه الفضائح ثم لا يذكر ذلك بأكثر من هذا التعزير(٢) : الضعيف فقط .

قال أبو محمد : وفى هذا الفصل كذبة أخرى لاخفاء بها ، وقصة هى أقرب إلى الكذب منها إلى الإنكار ، فأما الكذبة الظاهرة فهى حكايته فى توراتهم(٣) : أنه لما اختتن جميع ذكور أهل المدينة واشتدت فى اليوم الثالث أوجاع جراحهم أخذ لاوى وشمعون .. ودخلا المدينة مطمئنين فقتلا كل ذكر كان فى المدينة ، فمن تأمل هذا عرف أنها خرافة سخيفة لأن

---

(١) تكوين ٣٤ .

(٢) التعزير عند الفقهاء هو ما عدا العقوبات المقررة فى الحدود ، فهو عقوبة يقدرها القاضى أو يقدرها القانون المتواضع عليه فى صورة تتفاوت شدتها حسب درجات الجريمة ومبلغ خطرها وحسب اختلاف المجرمين أنفسهم وما يكفى لردعهم ، ويكون بالحبس والجلد والنفى والتأديب ... وما إلى ذلك (أنظر فى ذلك كتب الفقه الإسلامى و « حقوق الإنسان فى الإسلام » للدكتور على وافى ص ١٥٠، ١٥٥، ١٥٦ وكتاب التعزير فى الإسلام للدكتور عبد العزيز عامر .

(٣) راجع الموضع السابق من سفر التكوين .

المحال الممتنع فى طبيعة العالم البتة قتل رجلين جميع أهل مدينة فى يوم ، والله لو كانت أيديهم مكتوفة لدفعوا بأجسادهم . وما بلغ من ألم جراح الختان ما يمنع من الدفاع عن الروح عند الإشراف على القتل فى المشاهد فى كل وقت بمقابلة (؟) من له الجراح الشديدة ومدافعته عن نفسه فكيف من ليس له قطع قلفته(١) فقط فكيف وقد كان فى نساء أهل المدينة كفاية فى إهلاك عشرة وعشرين فكيف اثنين ، ولا يمكنهم أن يقولوا إنها معجزة لأن يعقوب فى نص توراتهم أنكر ذلك عليهما حينئذ ، وحتى عند موته ، فصح أن ذلك الفعل لم يكن يرضاه ولا يرضاه الله — عز وجل — فهذه ثلاث كذبات فاضحة فى هذا الفصل .

وأما القصة البعيدة فقوله فى توراتهم أن شكيم بن حمور افتض دينه بنت يعقوب إذ رآها خرجت لترى فساد ذلك الموضع وسياق التوراة يدل على أنها كانت حينئذ بنت ست سنين أو نحو ذلك ومن كانت هذه سنها فبعيد أن تخرج لترى فساد ذلك الموضع وإنما تخرج للعب مع الصبيان(٤)

---

(١) القلفة والقلفة : جلدة الذكر التى ألبستها الحشفة ، وهى التى تقطع من ذكر الصبي (لسان العرب ٣/١٥٣ .

(٢) هذه الصفحة تكملة لسابقتها ، زيادة وردت فى مخطوطة الأزهر المتحف البريطانى .

(٣) فى المخطوطة : سخيم بن حماد .

(٤) فى ترجمة الكاثوليك الموجودة بين أيدينا الآن تكوين ٣٤ : (وخرجت دينه بنت ليئة التى ولدتها ليعقوب لتنظر بنات البلد) وفى ترجمة البروتستانت : (لتنظر بنات الأرض) ولعل الترجمة التى كانت فى عصر المؤلف كان فيها أن دينة خرجت لترى فساد ذلك الموضع — كما ذكر ابن حزم — فأتى =

وذلك أنه ذكر أنها كانت هذه القصة حين فراقه بعيسو أخيه (؟) فى رجوعه من عند خاله لابان ونزوله بمدينة سخيم(١) المذكورة ، وفى التوراة أيضا أنه رعى غنم خاله لابان سبع سنين ثم عند تمامها أنكحه ليئة وراحيل فى سبعة أيام ، وأنه رعى غنم خاله سبع سنين لعى (؟) ذلك مادما (؟) لراحيل ثم خدمته ست سنين ما حوره ورحل (؟) من عندة ، هذا نص توراتهم فصح يقينا أن جميع أولاده من ليئة ومن الأمتين(٣) ويوسف وحده إنما ولدوا له فى تلك السبع السنين فقط بنص توراتهم أولهم روبان ثم شمعون ثم لاوى ثم يهوذا ثم قعدت(٤) عن الولد ثم أطلقت له له راحيل منامها(٥) فى اللفاح(٦) التى أتى به روبان لحملت وولدت يساخار وولدت زابلون .

= عليها التغيير والتعديل وما أكثر التعديل والتبديل فى كتب اليهود والنصارى نسأل الله السلامة من كل بلاء .

(١) فى المخطوط : بعيصاو .

(٢) هى مدينة نابلس الآن .

(٣) راجع سفر التكوين ٢٩ : ١٨ : ٣٠ .

(٤) المراد بالأمتين «تثنية أمة» بلهة أمة راحيل ، وزلفة أمة ليئه .

(٥) تكوين .

(٦) أى ليئة عن الولد (راجع تكون ٢٩:٢٢،٣٥) .

(٧) هذه الكلمة غير واضحة المخطوطه .

(٨) اللفاح : نبات من العائلة البطاطية :

كانوا يعتقدون أنه تعويذه أو دواء يثير فى الشخص عاطفة الحب (تك ٣٠ : ١٤—١٦) وهو معدوم الساق تشبه أوراقه أوراق التبغ وأزهاره أزهار الباذنجان ويزهر فى الربيع ، ولهذا النبات رائحة طيبة يوجد فى وادى الأردن وعلى ضفاف الأنهر التى تصب فيه (قاموس الكتاب ٨١٨) .

ثم حملت وولدت دينة(١) فلا سبيل على هذا أصلا إلى أن يكون لديثا أكثر من ست سنين إذ لا يجوز بنص توراتهم أن تلد(٢) ليئة إلا فى آخر السبع سنين وإذ ذلك كذلك فلاشك ضرورة فى أن شمعون حينئذ ابن أقل من اثنى عشر عاما ولاوى ابن أقل من أحد عشر عاما لا يمكن غير ذلك ومن المحال الممتنع أخذ من هذه سنهما سيفيهن وقتلهما أهل المدينة بأسرها هذه خرافة سخيفة ظاهرة الكذب بيقين ، فاعجبوا لهذه الفضائح واعلموا أن فى هذا الفصل أربع كذبات .. ونعوذ بالله من الخذلان .

فصل سابع وعشرون: وبعد ذلك قال(٣) : (وأولاد يعقوب اثنا عشر فأولاد ليئة بكر ولده منها روبان وبعده شمعون ولاوى ويهوذا ويساخار وزبولون وأبناء راحيل يوسف وبنيامين وأبنا بلهة أمة راحيل دان ونفتالى وابنا زلفة أمة ليئة جاد وأشير هؤلاء بنو يعقوب الذين ولدوا له بفدان(٤) أرام) .

قال أبو محمد : وهذا كذب ظاهر ، لأنه ذكر قبل أن بنيامين لم يولد

---

(١) هذه الكلمة غير واضحة فى المخطوطه والمثبت من سفر التكوين ٣٠ ، ٢١ .

(٢) فى المخطوطه تولد والصحيح ما أثبتناه .

(٣) تكوين ٣٥ : ٢٢ - ٢٦

(٤) فدان أرام : إقليم يقع فى العراق الآن ، ويطلق على ارام « أرام النهرين » ويراد بهما دجلة والفرات ، وقد سكن تاحور بن تارح ونسله فى مدينة حاران فى فدان أرام ، وفى هذا الاقليم كانت تقع مدينتا « نصيبين » و « الرها » اللتين اشتهرتا كمركزين للثقافة والآداب السريانية . (قاموس الكتاب ٤٣) .

ليعقوب إلا بأفراته(١) بقرب بيت لحم على أربعة أميال من بيت المقدس بعد رحوله من فدان أرام بدهر ، والله تعالى — لا يعمد الكذب ولا ينسى هذا النسيان.

فصل ثامن وعشرون : وبعد ذلك قال(٢) : (وكان إسرائيل يحب يوسف لأنه كان ولد له فى شيخوخته) .

قال أبو محمد : هذه العلة توجب محبة بنيامين لأنه ولد له بعد يوسف بأزيد من ست سنين بنص توراتهم(٣) ، وتوجب مشاركة يساكر وزبولون فى المحبة ليوسف لأنه ذكر قبل هـــذا أن يعقوب قال للابان خاله(٤) : (خدمتك عشرين سنة من ذلك أربع عشرة سنة لابنتيك وست سنين لاذوادك)(٥) وذكر (٦) أن بعد سبع سنين أعطاه ليئة ، وبعد سبعة أيام أعطاه راحيل ، لم يكن بينهما إلا سبعة أيام وهو أسبوع ليئة فقط ، وأن ليئة ولدت له رأوبين ثم شمعون ثم لاوى ثم يهوذا ثم قعدت عن الولد ، وأن(٧)

---

(١) أفراته : كلمة عبريه معناها «مثمر» وهو الاسم الأصلى لبيت لحم فى اليهودية ، وتدعى فى بعض الأحيان « بيت لحم أفراته » (قاموس الكتاب ص٩٠) .

(٢) تكوين ٣٧ : ٣ (٣) تكوين .

(٤) تكوين ٣١ : ٤١ ولفظه :(وها أنذا لى عشرون سنة فى بيتك خدمتك أربع عشرة سنة بابنتيك وست سنين بغنمك وغيرت معى فى أجرتى عشر مرات)

(٥) الأذواد: جمع ذود ، والذود : للقطيع من الإبل الثلاث إلى التسع ، وقيل : ما بين الثلاث إلى العشر (تاج العروس ٢ /٤٣٧) .

(٦) تكوين ٢٩ : ١٨ — ٣٥

(٧) راجع سفر التكوين الفصل الثلاثون .

راحيل أعطت بعد ذلك يعقوب أمتها بلهة زوجة ، فولدت له دان ثم نفتالى ، ثم أعطت ليئة أمتها زلفة ليعقوب زوجة فولدت له جاد وأشير ، ثم أطلقت له راحيل مماسة(١) ليئه فى لفاح(٢) أخذتها منها فولدت له يساكر ثم زبولون ثم دينه ، ثم ولدت راحيل يوسف ثم بعد ولادة يوسف ابتدأ يعقوب بمعاملة خاله لابان على أجرة ذكرها لرعاية غنمه فرعاها له ست سنين هذا كله نص توراتهم لاتجاوز فى شيء من هذا قال فرعاها له ســـت سنين فصح يقينا أن يوسف كان له عند تمام الست سنين فقط بلاشك ، وأن جميع أولاد يعقوب حاش بنيامين فإنما ولدوا ولا بد فى السبع سنين التى كانت قبل الست سنين المذكورة بلاشك ، وأولاد ليئة سبعة فى كل عشرة أشهر ولدت ولدا لا يمكن أقل من هذا ، فلاشك فى أن زبولون لايزيد على يوسف إلا سنة واحدة فقط ، ولا يزيد عليه يساكر إلا سنتين فقط ، وأقل من هذا ، على أن تلغى المدة التى ذكرنا أن ليئة قعدت فيها عن الولد والمدة التى اعتزلها فيها يعقوب ولابد أن لها قدرا ما .

فعلى هذا فزبولون ويوسف ولدا معا ، والمدة المذكورة تضيق عن هذه القسمة فى هذا الخبر كذب مقطوع به ضرورة ولابد .

ولايجوز كثير الكذب ولاقليله على الله تعالى ولا على نبى من الأنبياء فصح أنها مفتعلة مبدلة ولو كان لهذا الخبر وجه وإن غمض ومخرج وإن بعد أو أمكنت فيه حيلة أو ساغ فيه تأويل ماذكرناه(٣) .

---

(١) المراد أن راحيل تركت زوجها يعقوب ينام عند ليئة بدل اللفاح الذى أخذته منها .

(٢) راجع ما كتبناه عنه ص ٣٨٧

(٣) هذه إشارة لمذهب المؤلف فى مناقشة أهل الكتاب وبيان لمذهبه ،=

ونسأل الله العافية ، وفى توراتهم[١] عند ذكر أولاد عيسو خبال شديد وتخليط فى الأسماء والولادات ، إلا أنه ربما خرج على وجـــوه بعيدة ضعيفة فلم نعتن بإيراده لذلك ، ولكننا نبهنا عليه فالأظهر الأغلب فيه الكذب وأنه إيراد جاهلى بتلك القضية بلاشك .

فصل تاسع وعشرون : ثم[٢] ذكر بيع أخوة يوسف ليوسف ، وأن أخوته كانوا مجتمعين حينئذ يرعون أذوادهم ، ثم قال[٣]: وفى ذلك الزمان اعتزل يهوذا عن اخوته وكان مع رجل من أهل عدلام يرعى[٤] اسمه/حيرة ، فتصبى[٥] فى ذلك الموضع بابنة رجل كنعانى اسمه / شـــوع فتزوجها وضاجعها فحملت وولدت له ولدا اسمه « عير » ثم حملت ووضعت ثانياً وسماه «أونان» .

= وقد أوضحنا فى غير هذا المكان عدم التزام المؤلف بذلك المنهج فى بعض الأحيان ، وأن سار على سننه فى أكثره .

(١) راجع سفر التكوين الفصل السادس والثلاثون .

(٢) راجع سفر التكوين ٣٧ : ١٢ ، ٢٨

(٣) راجع سفر التكوين ٣٨

(٤) عدلام : اسم عبرى معناه «ملجأ» وهى إحدى المدن التى كانت من نصيب سبط بنى يهوذا مع ضياعها وقد استوطنها اليهود بعد العودة من السبي وموقعها تل شيخ مذكور، ويقال إنها مغارة وادى قريطون (قرب بيت لحم) وطولها أكثر من مائة وستين متر ، وتسمى الآن مغاثر عيد الماء ، وتتسع لمئات الرجال (قاموس الكتاب المقدس صـ٦١٣) .

(٥) تصبى : أى حن لها ، مال إليها (لسان العرب ٢/٤٠٨) .

ثم حملت ووضعت ثالثا وسمته « شيلة » ثم أمسكت عن الولد فزوج يهوذا « عيرا » بكر ولده امرأة تسمى « ثامار » وكان عير هذا ـ بكر يهوذا ـ مذنبا بين يدى السيد ولهذا قتل ، فقال يهوذا لابنه أونان أدخل إلى امرأة أخيك وضاجعها لتحيي نسله ، فلما علم أنه لا ينسب إليه من ولد له منها دخل إلى امرأة أخيه وكان يعزل عنها لئلا يولد لأخيه منه . ولذلك أهلكه السيد للفاحشة التى أطلع عليها منه ، فعند ذلك قال يهوذا لكنته(١) ثامار كونى أرملة فى بيت أبيك إلى ان يكبر ابنى شيله وكان يتوقع أن يصيبه من الموت ما أصاب أخاه إن ضاجعها ، فسكنت فى بيت أبيها و بعد أيام كثيرة توفيت بنت شوع امرأة يهوذا فتصبر يهوذا وتسلى عنه حزنها وتوجه إلى جزاز أغنامه مع حيرة صديقه العدلامى إلى تمنة(٢) ، وقيل لثامار أن ختنك(٣) صاعد إلى تمنة ليجز أغنامه ، فألقت عن نفسها ثياب الأرامل وتقنعت وقعدت فى مجمع الطرق(٤) المسلوكة إلى تمنة ، فعلت ذلك إذ كبر شيلة ولم تزوج منه ،

---

(١) الكنة : بالفتح : امرأة الابن أو الأخ ، والجمع كنائن (لسان العرب ٣/٣٠٥) .

(٢) تمنة : اسم عبرى معناه : « القسم المعين » وهى مدينة فى جبال يهوذا إلى جنوبى حبرون . واسمها الحديث تبنة وتتصل بعد لام وعينايم على بعد ٤ أميال شرقى بيت نقيف (قاموس الكتاب ٢٢٣) .

(٣) فى التوراة التى بين أيدينا الآن : « حموك » وهو أصح ، قال فى لسان العرب : حمو المرأة وحموها وحماها : أبو زوجها وأخو زوجها ، وكذلك من كان من قبله (١/٧٣٠) والختن : أبو امرأة الرجل وأخو امرأته وكل من كان من قبل امرأته ، والجمع أختان ، فالأحماء من قبل الزوج . والأختان من قبل المرأة ، والصهر يجمعهما (لسان ١/٧٩١) .

(٤) فى الترجمة الحديثة : وجلست فى مدخل عينايم ، أو (مأتى العينين) عند

فلما رآها يهوذا ظنها زانية وكانت غطت وجهها لئلا تعرف فمال إليها وقال : ائذني بمضاجعتك ، وكان يجهل أنها كنته ، فقالت له : ماذا تعطيني إن امكنتك من مضاجعتي ؟ قال لها أبعث إليك جديا من الغنم ، فقالت له نعم أن أعطيتني عربانا إلى أن تبعث لى ما وعدت فقال لها يهوذا : وماذا اعربنك ؟ فقالت عربي(١) خاتمك وحزامك والعصا التي بيدك فحبلت من مضاجعة واحدة . ثم إنطلقت وألقت الشكل الذي كانت فيه وعادت إلى شكل الأرامل وبعث يهوذا(٢) الجدي مع صديقه العدلامي ليأخذ من المرأة الرهن الذي وضعه عندها فسأل عنها إذ لم يجدها من سكان ذلك الموضع ، فقال أين المرأة القاعدة في مجمع الطرق ؟ فقالوا له لم يكن في هذا الموضع زانية فانصرف إلى يهوذا وقال له : لم أجدها وقال لى سكان ذلك الموضع لم يكن ها هنا زانية ، فقال له يهوذا تأخذ ما عندها مخافة ان تكون ضحكة فاني قد أرسلت الجدي إليها وأنت تقول لم أجدها ، وبعد ثلاثة أشهر قيل ليهوذا : إن كنتك ثامار قد زنت وقد بدا بطنها يظهر، قال يهوذا أخرجوها لتحرق ، فلما أخرجت بعثت إلى يهوذا ، إنما حبلت من الذي له هذا ، فاعرف لمن هذا الخاتم والزنار(٣) والعصا ، فلما عرف قال هي أعدل مني

= الكاثوليك ، وعينايم : اسم عبري معناه «عينان» وهي بادة على الطريق إلى تمنة ، ولا يعرف مكانها اليوم على وجه التحقيق (راجع قاموس الكتاب ٦٥٢) .

(١) العربان والعربون والعربون : جزء من الدفع يسلم مسبقا كضمانة لتسليم الباقي في الموعد المعين (أعجمي أعرب) (راجع لسان العرب ٢، ٧٢٥ وقاموس الكتاب ٦١٥) وفي الترجمة الحديثة (رهنا) بدلها .

(٢) الجدي : الذكر من أولاد المعز (لسان العرب ١، ٤٢٢) .

(٣) الزنار : ما يلبسه الذمي يشده على وسطه (لسان العرب ٢، ٥١) وفي ترجمة الكاثوليك : «العمامة» وعند البروتستانت «عصابتك» .

إذ منعتها شيلة ولدى ، ولم يضاجعها بعد ذلك فلما أدركتها الولادة ظهر فيها توأمان ففي وقت خروجهما بدر أحدهما فأخرج يده فربطت القابلة(١) فى يده خيطا أرجوانا(٢) .

وقالت هذا يخرج أولا . فأدخل يده إلى نفسه وخرج الولد الآخر ، فقالت له القابلة لم افترصت(٣) أخاك ولهذا سمى فارصا وبعده خرج الذى ربط فى يده الخيط الأرجوان وسمى زارح تم الفصل(٤) .

قال أبو محمد : ثم بعد فصول وقصص ذكر(٥) أولاد يعقوب المولودين بالشام الذين دخلوا معه مصر إذ بعث يوسف عليه السلام فيهم كلهم ، فذكر يهوذا وبنيه الثلاثة الأحياء شيلة وفارص وزارح ، وذكر لفارص هذا نفسه اثنين ، وهما حصرون وحامول ابنا فارص بن يهوذا المذكور .

قال أبو محمد : فى هذا الكلام عار وفضيحة مكذوبة وكذب فاحش مفرط القبح فأما العار الذى ذكر عن يهوذا أنه طلب الزنا بإمرأة لقيها فى الطريق على أن يعطيها جديا ، ثم جوره فى الحكم عليها بالحرق. فلما علم أنه صاحب الخصلة(٦) أسقط الحكم عن نفسه وعنها ، ثم

(١ ، ٢) القابلة من النساء معروفة ، والأرجوان : الصبغ الأحمر ، والثوب المصبوغ فيه يقال : أحمر أرجوانى : قانٍ (المعجم الوسيط ١ ،١٣)

(٣) افترصت : قال فى لسان العرب (٢ ،١٠٧٦) الفرصة : النهزة ، وقد فرصها فرصا وافترصها أصابها ، وقد افترصت وانتهزت : وأفرصتك الفرصة : أمكنتك . وأفرصتنى الفرصة أى أمكنتنى ، وافترصتها واغتنمتها .

(٤) زراح : زرح كفرح زال من مكان إلى آخر . والزراح كرمان للنشيط والحركات (تاج العروس ٣ ،١٥٥) .

(٥) راجع سفر التكوين ٤٦ : ٦ — ١٢

(٦) الخصلة : الفضيلة والرذيلة تكون فى الإنسان ، وجمعها خصال (لسان العرب ١ ،٨٤٣) .

شنعة(١) أخرى وهى قوله : إن أونان بن يهوذا لما عرف أنه لا ينسب إليه من يولد له من امرأته التى تزوجها بعد موت أخيه جعل يعزل عنها ، وهذا عجب جداً أن تلد امرأة رجل من زوجها من لا ينسب إليه لكن إلى غيره ممن قد مات قبل أن يتزوجها هذا ، فلعل فيهم الآن ولادات وأنساب فى كتبهم مثل هذه ، فهذه والله أمور سمجة(٢) .

ثم دع يهوذا فليس يهوذا نبيا وليس يبعد عمن ليس نبيا مثل هذا ، إنما الشأن كله والعجب فى أنهم مصفقون بأجمعهم قطعا على أن سليمان بن داود — عليهما السلام — ابن أشاى بن عوبيد بن يوعز بن أشلومون بن نحشون ابن عميناداب بن أرام بن حصرون بن فارص المذكور ابن يهوذا ، فجعلوا الرسولين الفاضلين مولودين من ملك الولادة الخبيثة وراجعين إلى ولادة الزنا ، ثم أقبح ما يكون من الزنا رجل مع امرأة ولديه ، حاش لله من هذا الافك المفترى ، ولقد قال لى بعضهم إذ قررته على هذا الفصل : إن هذا كان مباحا حينئذ ، فقلت له : فلم امتنع من مضاجعتها بعد ذلك ؟ وكيف يكون مباحا حينئذ وهى لم تعرفه بنفسها ولا عرفها عند تلك المعاملة الخبيثة بالجدى المسخوط ، والعربان المعلون ؟ ؛ وإنما وطئها على أنها زانية إذ اغتلم(٣) إليها ، لا على أنها امرأة ولده الميت ، إلا أن قلتم إن الزنا جملة كان مباحا حينئذ فقد قرت عيونكم فسكت خزيان كالحا ، وبالله ما رأيت قط أمة تقر بالنبوة وتنسب إلى الأنبياء

---

(١) الشناعة : الفظاعة ، شنع الأمر أو الشيء شناعة وشنعا وشنوعا : قبح ، فهو شنيع ، والاسم الشنعة (لسان العرب ٢-٣٦٨)

(٢) سمج الشيء ، بالضم : قبح (لسان العرب ٢، ١٩٧)

(٣) غلم الرجل وغيره ، بالكسر ، يغلم غلما واغتلم اغتلاما إذا هاج . وفى المحكم : إذا غلب شهوة (لسان العرب ٢، ١٠١) .

— عليهم السلام — ماينسبه هؤلاء الأنذال الكفرة ، فتارة ينسبون[١] إلى إبراهيم -عليه السلام- أنه تزوج أخته فولدت له اسحاق -عليه السلام- ثم ينسبون[٢] إلى يعقوب أنه تزوج امرأة فدست إليه أخرى ليست امرأته، فولدت له أولادا منهم انتسل موسى وهارون وداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء — عليهم السلام — ثم ينسبون[٣] إلى روبان بن يعقوب أنه زنى بربيبته[٤] زوجة النبي أبيه وأم أخوته ، ثم ينسبون إلى أبيه يعقوب — عليه السلام — أنه فسق بها كرها وافتضت غلبة، ثم ينسبون إلى يهوذا ما ذكرناه من زناه بامرأة ولديه فحملت وولدت من الزنا ولدا منه انتسل داود وسليمان - عليهما السلام - ثم ينسبون[٥] إلى يوشع بن نون أنه تزوج رحب[٦] الزانية المشهورة الموقفة نفسها للزنا لكل من دب[٧] ودرج

---

(١) راجع سفر التكوين ٢ : ٢ - ٤ .

(٢) راجع سفر التكوين ٢٩ : ١٥ - ٢٨ .

(٣) راجع سفر التكوين ٣٥ : ٢٢ ، ٤٩ : ٣ - ٤ .

(٤) ربيبة الرجل بنت امرأته من غيره . والربيب أيضا يقال لزوج الأم لها ولد من غيره ، يقال لامرأة الرجل إذا كان له ولد من غيره : ربيبة (لسان العرب ١١٠٠/١) .

(٥) راجع سفر يشوع ٢ : ١ .

(٦) رحب : اسم عبرى معناه « متسع » وفى الترجمة الحديثة للتوراة : « رحاب » وهى امرأة زانية من أريحا (قاموس الكتاب المقدس ٣٨٩) .

(٧) دب الشيخ : أى : مشى مشيا رويدا ، قال فى لسان العرب (٩٣٨/١) قولهم أكذب من دب ودرج أى أكذب الأحياء والأموات . ودرج الصبى والشيخ ، مشى مشيا ضعيفا . فالتعبير يقصد به الشمول والعموم .

فى مدينة أريحا(١)، ثم ينسبون(٢) إلى عمران بن قاهات ابن لاوى أنه تزوج عمته وأخت والده، واسمها يوخابذ ولدت لجده بمصر فولد له منها هارون وموسى ـ عليهما السلام ـ هكذا ذكر نسبهما فى قرب آخر السفر الرابع، ثم ينسبون(٣) إلى داود ـ عليه السلام ـ أنه زنى جهارا بامرأة رجل من جنده محصنة وزوجها حى، وأنها ولدت منه من ذلك الزنا ولدا ذكرا ثم مات ذلك الفرخ الطيب ثم تزوجها وهى أم سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ

---

(١) أريحا: معناها «مدينة القمر» أو «مكان الروائح العطرية» وهى مدينة تقع على مسافة خمسة أميال غربى نهر الأردن، وعلى مسافة سبعة عشر ميلا شمال شرقى أورشليم. أما أريحا التى ورد ذكرها فى العهد القديم فموضعها تل السلطان، الذى يقع على بعد مسافة ميل من مدينة أريحا الحديثة التى تدعى الآن «الريحا» وتلول أبو العليق التى تقع على مسافة ميل غربى أريحا الحديثة هى بقايا الحى الراقى الفنى من أريحا فى عصر العهد الجديد، وتقع أريحا فى منخفض يبلغ ٨٢٥ قدما تحت مستوى سطح البحر ولذا فجوها حار (راجع قاموس الكتاب المقدس ٥٨).

(٢) راجع سفر العدد ٢٦ : ٥٩.

(٣) راجع هذه القصة فى الإصحاحين ١١ و١٢ من السفر الثانى من سفرى صموئيل، والقصة على هذا الوضع الذى وردت به فى السفر المذكور محض افتراء ولا يتصور صدور وقائعها من رجل عادى ذى خلق، فضلا عن نبى كريم، وقد أخطأ بعض المفسرين خطأ كبيرا، إذ فسروا ما جاء فى القرآن الكريم فى سورة ص (٩٠) عن داود والخصمين اللذين اختصما إليه على النحو الذى ورد فى سفر صموئيل، مع أن العبارات التى ذكرت بها القصة فى القرآن الكريم لا تدل صراحة على شىء من ذلك، ولذلك كان على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ يقول: «من حدث بحديث داود على مايرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة» ويقصد بذلك أن من يتحدث هذا =

ثم ينسبون إلى أمنون(١) بن داود ـ عليه السلام ـ أنه فسق بسرارى أبيه داود علانية أمام الناس ، ثم ينسبون(٢) إلى سليمان ـ عليه السلام ـ العهر وأنه تزوج نساء لا يحل له زواجهن وأنه بنى لهن بيوت الأوثان وقرب لهن القرابين للأوثان مع ماذكرنا من قبل ونذكر إن شاء الله تعالى من نسبتهم الكذب إلى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف ـ عليهم السلام ـ ولكن أين هذا مما فى توراتهم(٣) من نسبة الصراع إلى الله تعالى مع يعقوب والكذب المحض فيما وعده وأخبر به ، فعلى كل من يصدق بشىء من كل هذا الإفك لعنة الله وغضبه ، فاعجبوا لعظيم كفر هؤلاء القوم وما افتراه الكفرة أسلافهم الأنتان على الله وعلى رسله ـ عليهم السلام ـ ثم على كل كتاب حقق فيه شىء من هذا وعلى كاتبه لعنة الله تعالى ـ وغضبه عدد كل شىء خلق الله ، فاحمدوا الله معاشر المسلمين على ماهداكم له من الملة الزاهرة(٤) التى لم يشبها تبديل ولا تحريف والحمد لله رب العالمين .

= الحديث فإنه يرتكب جريمة القذف ، وحد القذف العادى فى الإسلام ثمانون جلدة ، ولكن إذا تناول القذف نبيا كريما كان مرتكبه خليقا بأن يضاعف له هذا الحد ضعفين (راجع تفسير البيضاوى ـ مثلا ـ عند هذه الآيات والأسفار المقدسة ٤٤ ـ ٤٦ وقصص الأنبياء ٣١٢ ـ ٣١٤) .

(١) راجع سفر صموئيل الثانى الإصحاح ١٣ ، أمنون : اسم عبرى معناه «أمين» وهو ابن داود من أخينوعم اليزر عيليه ، وقد ولد فى حبرون لما كانت هذه المدينة عاصمة ملك أبيه (راجع قاموس الكتاب ١١٩) .

(٢) راجع سفر الملوك الأول ١١ : ٢ـ٨ وقصص الأنبياء ٣٢٤ ـ ٣٣٠ .

(٣) راجع سفر التكوين ٢٣ : ٢٢ ـ ٣٢ وراجع ـ أيضا ـ ص من هذا الكتاب .

(٤) راجع ٣٢٢

قال أبو محمد : وأما الكذبة المفضوحة الفاحشة التي هي من المحال المحض ، والافتراء المجرد فهو ما أذكره عنهم إن شاء الله تعالى - فتأملوه تروا عجبا : ذكر في توراتهم(١) نصا أن يهوذا بن يعقوب كان مع إخوته يرعون أذوادهم إذ باعوا أخاهم يوسف ، وأن يهوذا أشار عليهم ببيعه وإخراجه من الجب ليخلصه بذلك من الموت ، ثم ذكر بعد ذلك(٢) أن يهوذا اعتزل عن إخوته وصار مع حيرة العدلامي ، ورأى ابنة رجل كنعاني اسمه شوع فتزوجها وولدت له ولدا اسمه عير ثم ولدا آخر اسمه أونان ثم ولد آخر اسمه شيلة كما ذكرنا آنفا حرفا حرفا(٣) ، وذكر بعد ذلك أن عير تزوج امرأة اسمها تامار ودخل بها وكان مذنبا فقتله الله تعالى ، فزوجها من أخيه أونان فكان يعزل عنها فمات لذلك وبقيت أرملة ليكبر شيلة وتزوج منه ، وأن شيلة كبر ولم تزوج منه ، وقد اعترف بذلك يهوذا إذ قال هي أعدل مني إذ منعتها شيلة ولدي ، وذكر بعد ذلك أنها تحيلت حتى زنت بيهوذا نفسه والد زوجها وحبلت منه وولدت منه توأمين فارص وزارح كما ذكرنا قبل ، ثم ذكر بعد ذلك(٤) نسل يعقوب - عليه السلام - وأولاد أولاده المولدين بالشام ودخلوا معه مصر فذكر فيهم حصرون وحامول ابني فارص ابن يهوذا . فاضبطوا هذا ، وذكر في توراتهم(٥) أن يوسف - عليه السلام - إذ بلغ سبع عشرة سنة كان يرعى ذودا مع أخوته ، وأنه بغى عليه إخوته عند أبيه ، وأنهم باعوه ، فصح أنه كان ابن سبع عشرة سنة إذ باعوه ،

---

(١) راجع قصة بيع إخوة يوسف لأخيهم في سفر التكوين ٣٧ : ٢٥ - ٢٩ .

(٢) راجع سفر التكوين الباب الثامن والثلاثون .

(٣) راجع ص ٣٩٢

(٤) راجع سفر التكوين .

(٥) راجع سفر التكوين ٣٧ : ٢

وهــكذا ذكر فى نص توراتهم ، ثم ذكر(١) فى توراتهم أن يوسف عليه السلام ـ كان إذا دخل على فرعون وفسر له رؤياه فى البقرات والسنابل وولاه أمر مصر ابن ثلاثين سنة ، ثم ذكر فى توراتهم أن يوسف — عليه السلام — كان إذا دخل أبوه يعقوب مصر مع جميع أهله ابن تسع وثلاثين سنة ، هذا منصوص فيها بلا خلاف من أحد منهم ، فصح يقينا أنه لم يكن بين دخول يعقوب مع نسله مصر وبين بيع يوسف إلا إثنان وعشرون سنة وربما أشهر زيادة دون العام لا أكثر البته ، هذا حساب ظاهر لا يخفى على جاهل فكيف على عالم ؟ وقد ذكر فى توراتهم أن فى هذه المدة تزوج يهوذا بنت شوع وولدت له ولدا ثم ولدا ثانيا ثم ثالثا ، وأن الأكبر بلغ فزوج زوجة ثم مات بعد دخوله بها فزوجت بعده من أخيه وكان يعزل عنها فمات وبقيت مدة حتى كبر الثالث ولم تزوج منه فزنت بيهوذا والد زوجها فولد له منها توأمان ثم ولد لأحد ذينك التوأمين اثنان ، وهذا محال ممتنع لا خفاء به ، لا يمكن البتة فى طبيعة بشر ولا سبيل إليه فى الجبلة(٢) والبنية بوجه من الوجــوه .

هبك أن يهوذا اعتزل عن إخوته وتزوج بنت شوع إثر بيع يوسف بيوم وحبلت زوجته وولدت له الولد الأكبر وهو عبير فى ذلك العام ثم ولدت الثانى وهو أونان فى العام الثانى ثم ولدت الثالث وهو شيله فى العام الثالث .

وهبك أن الأكبر زوج وله اثنا عشر عاما فهذه ثلاثة عشر عاما من جملة اثنين وعشرين عاما وبقى معها ما بقى ثم تزوجت الثانى وله اثنا عشر عاما فبقى يعزل عنها لئلا ينسب إلى أخيه من يولد له منها ، ثم مات وبقيت

---

(١) تكوين ٤١ : ٤٦

(٢) الجبلة : الخلقة (لسان العرب ١/٣٩٨) .

فتنتظر أن يكبر شيله وتزوج منه حتى طال عليها ورأت أنه قد كبر ولم تزوج منه وهذا لا يكون البتة فى أقل من عام .

فهذه أربعة عشر عاما ، ثم زنت بيهوذا فحملت، فولدت فهذا عام أو أقل بيسير فلم يبق من الأثنين وعشرين عاما إلا سبعة أعوام إلى ثمانية أعوام لا أكثر البتة .

فمن المحال الممتنع فى العقل أن يولد لرجل ابن ثمان سنين أو سبع سنين ولدان ! ما رأيت أجهل بالحساب من الذى عمل لهم التوراة وحاش لله أن يكون هذا الخبر البارد الكاذب عن الله تعالى أو عن موسى ــ عليه السلام ــ لا ولا عن إنسان يعقل ما يقول ويستحى من تعمد الكذب الفاضح ونسأل الله العافية .

فصل موفى ثلاثون : وبعد ذلك ذكر(١) عدد بنى يعقوب المولودين له بالشام عند خاله لا بان الداخلين معه بمصر ، فذكر الذين ولدت له ليئة ، وهم ست ذكور وابنة واحدة ، وذكر أولاد هؤلاء الستة وسماهم فذكر لروبان أربعة ذكر ولشمعون ستة ذكور وللاوى ثلاثة ذكور ، وليهوذا ثلاثة ذكور ، وابنى ابن له فهم خمسة ، ولساخار أربعة ذكور ، ولزابولون ثلاثة ذكور المجتمع من بنى ليئة ستة ذكور وابنه سابعهم وخمسة وعشرون أولاد الأولاد فهــــؤلاء اثنان وثلاثون ، وقال فى نص توراتهم عقب تسميتهم هؤلاء بنو ليئة وعــدد أولادها وبناتها ثلاثة وثلاثون هكذا نصا . . وهو خطأ فى الحساب ــ تعالى الله عن أن يخطىء فى الحساب أو أن يخطىء فيه موسى ــ عليه السلام ــ فصح أنها من توليد جاهل غث أو من عابث سخر بهم وكشف سوءاتهم .

---

(١) تكوين ٤٨ : ٨ ــ ١٥

فصل حادى ثلاثين : قال أبو محمد — رضى الله عنه — ثم ذكر (٢) بعد هذا أولاد زاحيل ، فذكر يوسف وبنيامين وبنيهم قال وهم أربعة عشر . وذكر أولاد زلفى عاد وأشار وبنيهم قال وهم ستة عشر ، وذكر أولاد بلهة دانى ونفتالى وبينهم قال وهم سبعة ثم وصل ذلك بأن قال : وعدد نسل يعقوب الذين دخلوا معه مصر سوى نساء أولاده ستة وستون وابنا يوسف اللذان ولدا له بمصر اثنان فجميع الداخلين معه إلى مصر سبعون .

قال / أبو محمد : هذا خطأ فاحش لأن المجتمع من الأعداد المذكورة تسعة وستون لايجهل هذا أحد يدرى يحسب بالحصى فضلا عن أصابعه ، إذا أسقطت منهم ولدى يوسف اللذين ولداله بمصر بقى سبعة وستون وهم يقولون ستة وستون ، فهذه كذبة ، ثم قال فجميع الداخلين معه إلى مصر سبعون فهذه كذبة ثانية ، وقد قلنا أن الذى عمل لهم توراتهم كان ضعيف البصارة فى الحساب ، وليست هذه صفة الله — عز وجل - ولا صفة نبى ، ولا صفة من معه مسكة (١) عقل يردعه عن الكذب وتعمده على الله - تعالى - وعن تكلف مالا يحسن ولا يقوم به ، فى هذا الفصل كذبتان .

قال أبو محمد : وفى هذا الفصل قصة أخرى فيها اعتراض إلا أنها تخرج على وجه ما فلذلك لم نفرد لها فصلا ، وهى أنه ذكر أولاد بنيامين فقال بالع وباكر وأشبيل وجيرو نعمان وأبجى وروش ومفيم وحفيم وأزد ، ثم ذكرهم فى السفر الرابع من توراتهم فذكر بالع وأشبيل وأجير ومفيم وحفيم

---

(١) تكوين ٤٨:١٩ - ٢٧ ،

(٢) رجل ذو مسكة ومسك أى رأى وعقل يرجع إليه ، وهو من ذلك وفلان لامسكة له أى لاعقل له ، ويقال : مابفلان مسكة أى مابه قوه ولا عقل ويقال : فيه مسكة من خير ، بالضم أى بقية .

(لسان العرب ٣:٤٨٥) .

فقط ، ثم قال وابنا بالع ازد ونعمان ، فإن لم يكن هذا على أنه لم ينسل من أولئك العشرة إلا خمسة الذين ذكر فى الرابع ، وأن ازد ونعمان ابنى بالع هما أزد ونعمان ابنى بنيامين وإلا فهى كذبه ، وقد قلنا إن كل ما يمكن تخريجه بوجه وإن بعد فلسنا نخرجه فى فضائح كتابهم المكذوب .

فصل ثانى ثلاثين : ثم ذكر (١) بركة يعقوب — عليه السلام — على بنيه وأنه وضع يدة اليمنى على رأس إفرايم بن يوسف واليسرى على رأس منشا ابن يوسف ، وأن ذلك شق على يوسف — عليه السلام — وقال : لا يحسن هذا يا أبى لأن هذا بكر ولدى فاجعل يمينك على رأسه ، يعنى منشا ، فكره ذلك يعقوب وقال : علمت يا بنى علمت وستكثر ذرية هذا وتعظم ، ولكن أخوه الأصغر يكون أكثر منه نسلا وعددا ، يعنى إن افرايم يكون عدد نسله أكثر من / عدد نسل منشا .

ثم ذكر فى مصحف يوشع أن بنى منشا كانوا إذ دخلوا الشام معه وقسمت عليهم أرض الأردن وفلسطين أثنين وخمسين ألف مقاتل وسبعمائة مقاتل ، وذكر أن بنى افرايم كانوا حينئذ اثنين وثلاثين ألفا وخمسمائة مقاتل ، وذكر فى كتاب لهم معظم عندهم اسمه شفطيم — وهو عندهم كمثل التوراة وأحد الأربعة وعشرين سفرا التى هى عندهم كتب النبوة — أنه دبر بنى إسرائيل قبل داود ـ عليه السلام ـ أربعة من ملوك بنى منشا وأربعة من بنى إفرايم ، وأن من جملة الأربعة الذين من بنى منشا المذكورين رجلا اسمه يفتاح بن معاد قتل من بنى افرايم اثنين وأربعين ألف رجل حتى كاد يستأصلهم وفى كتاب لهم آخر معظم عندهم أيضا اسمه ملاخيم ـ وهو عندهم أحد الاسفار التى يسمونها كتب النوراة ـ أنه ملك عشرة أسباط من بنى اسرائيل بعد سليمان ـ عليه السلام ـ إلى أن انقطعت دولة الأسباط وسبوا من بنى افريم

---

(١) تكوين ٤٨ : ١٣-٢٠ .

ملكين كانت مدتهما جميعاً ستة وعشرين سنة فقط ، وهما ياريعام بن ناباط وابنه ناباط ووليهم من بنى منشا وخمسة ملوك واتصلت دولتهم مائة عام وعامين هما زحزيا بن بريعام بن يواش بن يهويا حاز بن يلهو كلهم ملك ابن مالك بن ملك ابن ملك ولم يكن فى زمن ملك الأسباط العشرة أقوى ملكا من هؤلاء المنشائين .

وهذا كله ضد قول يعقوب وخلاف خبره الذى أنذر به فيما حكوه عنه فى توراتهم ، وحاش لله أن يكذب نبى فيما ينذر به عن الله — عز وجل — فإن قالوا إن يوشع بن نون ودبور النبيه وميخا المورشى النبى كلهم كان من بنى افراييم وكان بنو افراييم إذا خرجوا من مصر أربعين مقاتل وخمسمائة مقاتل . وكان بنو منشأ يومئذ اثنين وثلاثين ألف مقاتل .

قلنا : لم تذكروا فى توراتكم أن يعقوب قال يكون الشرف فى نسل افراييم إنما حكيتم أنه قال إن أفرييم يكون أكثر نسلا وعددا من منشأ ، أطلق ذلك على التأييد والعموم والتفضيل وإيصال : البركة لا على وقت خاص قليل ثم يعود الأمر بخلاف ذلك فتبطل البركة ويصير المبارك مدبرا ، والمدبر مباركا فى الأبد .

فصل ثالث ثلاثين . ثم ذكر(١) أن يعقوب — عليه السلام — قال لابنه روبان فى ذلك الوقت أنت أول المواهب مفضل فى الشرف مفضل فى العز ، ولا تفضل بنهلة ماء .

قال أبو محمد : على بن أحمد بن حزم رضى الله عنه : هذا كلام يكذب آخره أوله .

---

(١) تكوين ٤٩ : ٣ — ٤ ولفظه : (رأوبين أنت بكرى قوتى فاضل فى الشرف ، فاضل ، فى العز : فرت كالماء لا تفضل)

فصل رابع وثلاثين : ثم ذكر أنه — عليه السلام — قال ليهوذا(١) حينئذ لا ينقطع من يهوذا المخصرة(٢) ولا من نسله قائد حتى يأتى المبعوث الذى هو رجاء الأمم .

قال أبو محمد على بن أحمد : وهذا كذب قد انقطعت من ولد يهوذا المخصرة وانقطع من نسله القواد ولم يأت المبعوث الذى هو رجاؤهم ، وكان انقطاع الملك من ولد يهوذا من عهد بخت نصر مذ أزيد من ألف عام وخمسمائة عام إلا مدة يسيرة وهى مدة رزبائيل بن صلتيال فقط .

---

(١) الذى قاله يعقوب — عليه السلام — ليهوذا فى نفس الفصل(٤٩) نصه : (يهوذا إياك يحمد إخوتك . تدل على قذل أعدائك ، يسجد لك بنو أبيك) وقذل وأقذ له جمع قذال : وهو جماع مؤخر الرأس من الإنسان (لسان العرب ٣ / ٤١) .

وفى ترجمة البروتسانت « يدك على قفا أعدائك » . أما ماأورده أبو محمد من قوله ليهوذا لاتنقطع من يهوذا المخصرة . . . الخ فلا يوجد فى الفصل المذكور ولعله فى مكان آخر . !

(٢) المخصرة : شىء يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه مثل العصا ونحوها ، والمخصرة : كانت من شعار الملوك والجمع المخاصر (لسان العرب ١ / ٨٤)

(٣) بختنصر : الكلدانى أو البابلى الذى يسمى بالفارسية كما قيل « بختر شه » (ملك الشرق) كان باجماع مؤرخى العرب ـ مرزبانا من قبل (لهراسب) هذا الاقليم عظيم كان يمتد من الأهواز إلى أرض الروم ولم يكن ملكا كما يزعم بعض المؤرخين » . .

يقول المسعودى فى كتابه « مروج الذهب » : وقد ذكر كثير ممن عنوا بأخبار الفرس أن البختنصر مرزبان العراق والمغرب كان من قبل =

ولقد قررت على هذا الفصل أعلمهم وأجد لهم وهو إسماعيل بن يوسف الـكاتب المعروف بابن النغرالى(١) فى سنة أربع وأربعمائة فقال لى لم تزل رؤس الجواليت يتصلون من ولد داود وهم من بنى يهوذا وهى قيادة وملك ورياسة . .

فقلت هذا خطأ لأن رأس الجالوت لا ينفذ أمره على أحد من اليهود ولا من غيرهم . وإنما هى تسمية لا حقيقية لها ، ولا له قيادة ولا بيده مخصرة ، فـكيف وبعد أخزيا بن يورام لم يكن من بنى يهوذا وال أصلا مدة ستة أعوام .

ثم بعد منشأ المقلب صدقيا بن يوشيا لم يكن منهم أحد له معنى . ولا من يملك على اثنين فـكيف على أكثر مدة سبعين عاما متصلة حتى رلى زربائيل المذكور آنفا

ثم انقطع الولاة منهم جملة لا رأس الجالوت ولا غيره مدة ولاة الهارونيين ملكا ملكا مائتين من السنين ليس لأحد من بنى يهوذا فى ذلك أمر إلى دولة

= هذا الملك (لهراسب) وهو الذى فتح بيت المقدس . وسبى بنى إسرائيل وأكثر الأخباريين والقصاص يغالون فى اخباره ويبالغون فى وصفه . . وأهل التواريخ فى كتبهم يجعلونه ملـكا . وإنما كان مرزبانا عل ماوصفنا الملوك ممن ذكرنا ، وتفسير مرزبان يراد به صاحب ربع من المملـكة ، وصاحب ناحية وواليها .) وكان بختنصر الـكلدانى قد حمل اليهود أسرى إلى بابل بعد تخريب أورشليم وهدم الهيكل الأول سنة ٥٨٦ ق م) وقد تولى بختنصر ثلاثا وأربعين سنة ، وكان موته سنة ٥٦٢ ق . م

(راجع زرادشت الحـكيم ص ١٢ وقاموس الـكتاب ص ٩٦٤)

المسلمين أو قبلها بيسير ، فأوقعوا اسم رأس الجالوت على رجل من بنى داود إلى اليوم ، إلا أن بعض المؤرخين القدماء ذكروا أن هرودس(١) وابنيه وابن ابنه أغريفاس بن أغريفاس كانوا من بنى يهوذا ، والأظهر أنهم كانوا من الروم عند كل مؤرخ ، فظهر كذب هذا الأنذال بيقين وحاش لله أن يكذب نبى فيما ينذر به .

فصل خامس وثلاثين : ثم ذكر أن يعقوب — عليه السلام — قال(٢) للاوى وشمعون سأبددهما فى يعقوب وأفرقهما فى إسرائيل) .

قال أبو محمد : أما لاوى فكان نسله مبددا فى بنى إسرائيل كما ذكر ، وأما بنو شمعون فلا ، بل كانوا مجتمعين فى البلد الذى وقع لهم كسائر الأسباط ولا فرق ، وليس إنذار النبوة مما يكذب فى قصة ويصدق فى أخرى ، هذه صفات إنذارات الحساب القاعدين عــلى الطرق للنساء ولمن لا عقل له .

فصل سادس ثلاثين : وقال فى السفر(١) الثانى من توراتهم إن الله تعالى

---

(١) هيرودس : هو ابن أرسطو بولس ، وحفيد هيرودس الكبير وامرأته مريمنه ، وقد عاش طويلا فى روما ، ثم رجع وعين حاكما على بعض فلسطين سنة ٣٩ م وكان موته فى سنة ٤٤ م وكان عمره (إذ ذاك ٥٤ سنة) .

أما هيرودس أغريباس الثانى : فهو ابن هيرودس أغريباس الأول .. مات سنة ١٠٠ م (راجع قاموس الكتاب المقدس ١٠١٠ — ١٠١٢) .

(٢) تكوين ٤٩ : ٧ ولفظه : (أقسمهما فى يعقوب وأبددهما فى إسرائيل) .

(١) خروج ٤ : ٢٢ — ٢٣ ولفظه : (وقل لفرعون كذا قال الرب .

قال لموسى — عليه السلام — قل لفرعون : السيد يقول إسرائيل بكر ولدى ويقول لك ائذن لولدى ليخدمنى وإن كرهت الإذن له سأهلك بكر ولدك) .

قال أبو محمد : هذا عجب ناهيك به ، ليت شعرى ماذا ينكرون على النصارى بعد هذا ؟ وهل طرق للنصارى سبيل الكفر فى أن يجعلوا لله ولدا ، ونهج لهم طريق التثليث على ما ذكرنا قبل هذا إلا هذه الكتب الملعونة المبدلة ؟ ! إلا أن النصارى لم يدعوا بنوة لله — عز وجل — إلا لواحد أتى بمعجزات عظيمة .

وأما هذه الكتب السخيفة وكل من يؤمن بها فإنهم ينسبون بنوة الله إلى جميع بنى إسرائيل وهم أوسخ الأمم وأرذلهم جملة ، فكفرهم أوحش وجهلهم / أفحش ، والحمد لله رب العالمين .

فصل سابع ثلاثين : ثم ذكر(٢) أن هارون ألقى العصا بين يدى فرعون وعبيده فصارت حية فدعى فرعون العلماء والسحرة وفعلوا بالرقى المصرى مثل ذلك ، ولكن عصا موسى ازدردت عصيهم ، ثم ذكر(٣) أن موسى وهارون فعلا ما أمرهما السيد فرفع العصا وضرب بها ماء النهر بين يدى فرعون وعبيده فعاد دما ومات كل حوت فيه ونتن النهر ولم يجد المصريون سبيلا إلى الشرب منه وصار الماء فى جميع أرض مصر دما ، ففعل مثل ذلك سحرة مصر برقاهم . ثم ذكر(١) أن هارون مد يده بالعصا على مياه مصر

= إسرائيل إبنى البكر ، قلت لك أطلق ابنى ليعبدنى وإن أبيت أن تطلقه فها أنذا قاتل ابنك البكر) .

(٢) خروج ٧ : ١٠ — ١٢

(٣) خروج ٧ : ٢٠ — ٢٢

(٣) خروج ٨ : ٦ — ٧

. جت الضفادع منها وغطت أرض مصر ففعل السحرة برقاهم مثل ذلك وأقبلوا بالضفادع على أرض مصر ، ثم ذكر(٢) أن هارون مد يده بالعصا وضرب بها غبار الأرض فتخلق منها بعوض فى الآدميين والأنعام وعاد جميع الغبار بعوضا فى جميع أرض مصر، فلم يفعل السحرة مثل ذلك برقاهم وراموا اختراع البعوض فلم يقدروا عليه ، فقال السحرة لفرعون هذا صنع الله .

قال أبو محمد : هذه الآبدة(٣) المصمئلة ، والصيلم المطبقة .ولو صح هذا لبطلت نبوة موسى — عليه السلام — بل نبوة كل نبي ، ولو قدر السحرة على شيء من جنس ما يأتى به النبي لكان باب السحرة وباب النبوة واحدا، ولما انتفع موسى بازدراد عصاه لعصيهم ، ولا بعجزهم عن البعوض وقد قدروا على قلب العصا حيات وعلى إعادة الماء دما، وعلى المجيء بالضفادع ولما كان لموسى — عليه السلام — عنهم بنبوته من أنه أعلم بذلك العمل منهم فقط .

ولو كان ما قال هؤلاء الكذابون الملعونون حقا لكان فرعون صادقا فى قوله(٤) : (إنه لكبيركم الذى علمكم السحر) ولا منفعة لهم فى قول السحرة . فى البعوض / هذا صنع الله لأنه يقال لبنى إسرائيل فعلى موجب قول السحرة لم يكن من صنع الله قلب العصا حية ، والمياه دما ، والمجيء بالضفادع .

---

(١) خروج ٨ : ١٧ — ١٩

(٢) الآبدة : الداهية تبقى على الأبد (لسان العرب ١ /٣) والصيلم : الداهية والأمر المستأصل .

(٣) بعض آية ٤٩ من سورة الشعراء ، وبعض آية ٧١ من سورة طه

بل من غير صنع الله ، وهذه عظيمة تقشعر منها الجلود ، أين هذا الإفك المفترى البارد من نور الحق الباهر؟ إذ يقول(١) الله عز وجل (إنما صنعوا كيد ساحر) وإذ يقول (٢) تعالى (وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين ، قال نعم وإنكم لمن المقربين قالوا ياموسى إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ، وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هى تلقف ما يأفكون ، فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وألقى السحرة ساجدين . قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون).

وإذا يقول تعالى (فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) فأخبر — عز وجل — أن الذى عمل موسى حق ، وأن عصاه صارت ثعبانا على الحقيقة بقوله تعالى (فإذا هى ثعبان مبين) (٣) فصح أنه تبين ذلك لكل من رآه يقينا ، وأخبر تعالى أن الذى عمل السحرة إنما هو إفك وتخييل وكيد ساحر (٤).

وهذا هو الحق الذى تشهد به العقول لا ما فى الكتاب المبدل المحرف ، فصح أن فعل السحرة حيلة مموهة لا حقيقة لها ، وهذا هو الذى يصححه البرهان ، إذ لا يحيل الطبائع إلا خالقها شهادة لرسله وأنبيائه وفرقا بين الصدق والكذب ، لا قولهم عمل السحرة مثل ما عمل موسى فى وقت

(١) بعض آية ٦٩ من سورة طه .

(٢) سورة الأعراف : الايات ١١٣ — ١٢٢

(٣) بعض آية ٦٦ من سورة طه

(٤) راجع ما كتبه المؤلف عن السحر وحقيقة فى الفصل ٥/٢ وانظر أيضا معارج القبول ١/٥٥ - ٥٢٩ وتفسير الفخر الرازى عند هذه الآيات

تكليفه برهانا على صدق قوله وعند تحديه لهم على أن يأتوا بمثله إن كانوا صادقين وهو كاذب فأتوا بمثله ، فانظروا النتيجة يرحكم الله ، هذه سوأة تشهد شهادة / قطع صادقة بأن صانع ذلك الكتاب الملعون المكتوب الذى يسمونه (الحاش) ويدعون أنه توراة موسى — عليه السلام — إنما كان زنديقا مستخفا بالبارى تعالى ورسله وكتبه ، وحاش لموسى — عليه السلام — منه وأنهم إلى الآن يزعمون أن إحالة الطبائع وقلب الأجناس عن صفاتها الذاتية إلى أجناس أخرى ، واختراع الأمور المعجزات فى البنية يقدر على ذلك بالرقى والصناعات .

واعلموا أن من صدق بهذا فهو مبطل للنبوة بلا مرية ، إذا لا فرق بين النبي وغيره إلا فى هذا الباب ، فإذا أمكن لغير النبي فلم يبق إلا دعوى لا برهان عليها ، ونعوذ بالله من الضلال ،

تم القسم الأول ويليه القسم الثانى بمشيئة الله

رقم الإيداع بدار الكتب
٢١٠١ / ١٩٨٢ م